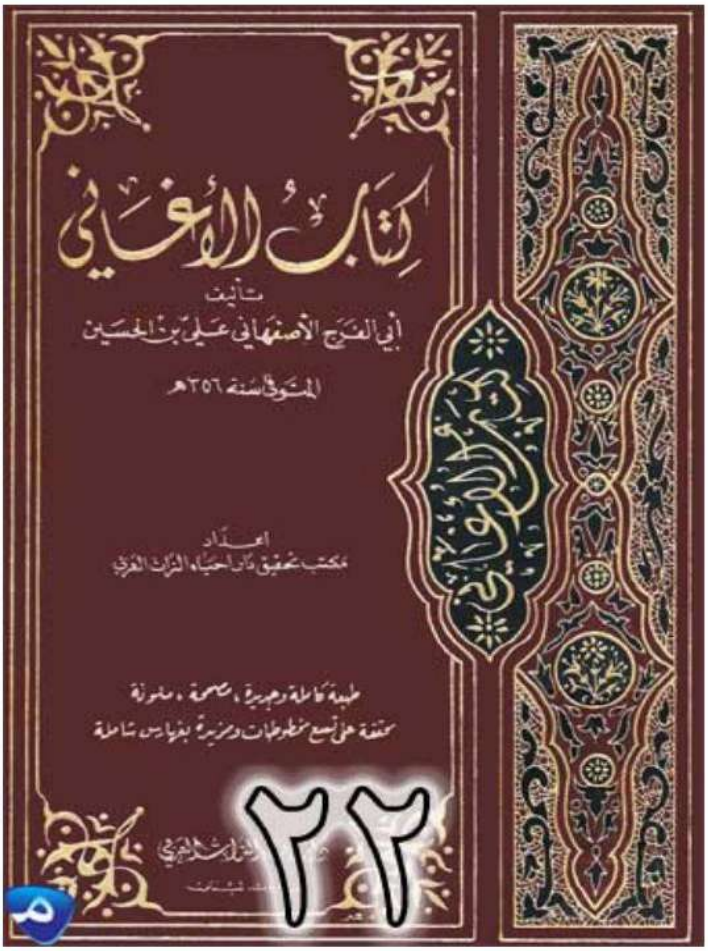

http://www.masaha.org

الأغاني

الجزء الثاني والعشرون

تأليف

ابو الفرج علي بن الحسين الأصفهاني

جميع الحقوق محفوظة لفريق مساحة حرة

http://www.masaha.org

الجزء الثاني و عشرون

تتمة التراجم

بِسْمِ اَللَّهِ اَلرَّحْمَنِ اَلرَّحِيمِ*

1-أخبار خالد بن عبد اللّه

نسبه

/هو خالد بن عبد اللّه بن يزيد بن أسد بن كرز بن عامر بن عبد اللّه بن عبد شمس بن غمغمة بن جرير بن شقّ بن صعب-و شقّ بن صعب هذا هو الكاهن المشهور-بن يشكر بن رهم بن أقزل[1]-و هو سعد الصبح-بن زيد بن قسر ابن عبقر بن أنمار بن إراش بن عمرو بن لحيان بن الغوث بن القرز، و يقال: الفرز بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان ابن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان.

فأما غلبة بجيلة على هذا النسب في شهرته بها فإن بجيلة ليست برجل، إنما هي امرأة قد اختلف في نسبها، فقال ابن الكلبي: يقال لها بجيلة بنت صعب بن سعد العشيرة، تزوجها أنمار بن إراش فولدت له الغوث و وداعة و صهيبة و جذيمة و أشهل و شهلاء و طريفا و الحارث و مالكا و فهما و شيبة. قال ابن الكلبي: و يقال: إن بجيلة امرأة حبشيّة كانت قد حضنت بني أنمار جميعا غير خثعم، فإنه انفرد، فصار قبيلة على حدته، و لم تحضنه بجيلة، و احتج من قال هذا القول بقول شاعرهم[2]: و ما قربت بجيلة منك دوني # بشيء غير ما دعيت بجيلة[3]

و ما للغوث عندك أن نسبنا # علينا في القرابة من فضيله[4]

و لكنّا و إيّاكم كثرنا # فصرنا في المحلّ على جديله

جديلة هاهنا موضع لا قبيلة، و هم أهل بيت شرف في بجيلة، لو لا ما يقال في عبد اللّه/بن أسد؛ فإن أصحاب المثالب ينفونه عن أبيه[5]، و يقولون فيه أقوالا أنا ذاكرها في موضعها من أخبار خالد المذمومة في هذا الموضع من كتابنا-إن شاء اللّه-و على ما قيل فيه أيضا؛ فقد كان له[6]و لابنه خالد سؤدد و شرف وجود.

[1]في بعض النسخ: «أفرك» و في آخر اختلاف في نسبة أفرك هذا عما هو وارد في هذا الأصل.

[2]شاعرهم: شاعر خثعم على ما يبدو.

[3] «ما» من قوله

«غير ما دعيت بجيلة»

مصدرية، أي أنت لا تمت إلى بجيلة بقربى غير مجرد الدعوى، فإنها ليست أمي و لا أمك

[4]الغوث: من أجداد خالد، راجع سلسلة النسب.

[5]في هج: «عن أمه» .

[6]ضمير له يعود على عبد اللّه من قوله: «لو لا ما يقال في عبد اللّه» .

جده كرز

و كان يقال لكرز كرز الأعنّة، و إياه عنى قيس بن الخطيم بقوله-لما خرج يطلب النصر على الخزرج-: فإن تنزل بذي النّجدات كرز # تلاق لديه شربا غير نزر[1]

له سجلان سجل من صريح # و سجل رثيئة بعتيق خمر[2]

و يمنع من أراد و لا يعايا # مقاما في المحلة وسط قسر[3]

جده أسد بن كرز

و كان أسد بن كرز يدعى في الجاهلية ربّ بجيلة، و كان ممن حرّم الخمر في جاهليته تنزّها عنها، و له يقول القتّال السّحميّ: فأبلغ ربّنا أسد بن كرز # بأنّ النأي لم يك عن تقالي

و له يقول القتّال يعتذر:

فأبلغ ربّنا أسد بن كرز # بأنّي قد ضللت و ما اهتديت

/و له يقول تأبّط شرّا:

وجدت ابن كرز تستهلّ يمينه # و يطلق أغلال الأسير المكبّل[4]

جده أسد و بنو سحمة

و كان قوم من سحمة عرضوا لجار لأسد بن كرز، فأطردوا إبلا له، فأوقع بهم أسد وقعة عظيمة في الجاهلية، و تتبعهم حتى عاذوا به، فقال القتّال فيه عدة قصائد يعتذر إليه لقومه، و يستقيله فعلهم[5]بجاره، و لم أذكرها هاهنا لطولها، و أنّ ذلك ليس من الغرض المطلوب في هذا الكتاب، و إنما نذكر هاهنا لمعا[6]و سائره مذكور في جمهرة أنساب العرب الذي جمعت فيه أنسابها و أخبارها، و سمّيته كتاب التعديل و الانتصاف. و لبني سحمة يقول أسد بن كرز/في هذه القصة، و كان شاعرا فاتكا مغوارا: ألا أبلغا أبناء سحمة كلّها # بني خثعم عني و ذلّ لخثعم[7]

[1]شربا: جمع شارب، كسفر و ركب.

[2]سجلان: تثنية سجل، و هو الدلو العظيمة، صريح: لبن صريح، الرثيئة: اللبن المحلوب على حامض، فلعله يريد أنه كان يقدم هذا المشروب ممزوجا بالخمر، أو يريد أنه يقدم دلو الرثيئة مملوءا بالخمر لا بالرثيئة، و في هج. هد «وثيلة» بدل «رثيئة» و لا وجه له، و في بعض النسخ «ربيلة» و الربيلة: الخفض و النعمة، و التخريج على هذا المعنى مقبول.

[3]لا يعايا: من المعاياة بمعنى لا يضار، قسر: بطن من بجيلة، نائب فاعل «معايا» ضمير من أراد، مقاما: تمييز، و في هج «مقيم» بدل «مقاما» و عليه تكون كلمة «مقيم» نائب فاعل معايا، و في هد «مقيما» على الحالية من «أراد» نحوى البيت أن كرزا يمنع النزيل، فلا تلحقه مضارة ما دام نازلا وسط قسر.

[4]تستهل يمينه: تجود، مأخوذ من استهل المطر: بمعنى تدفق.

[5]يستقيله فعلهم: يطلب إليه إقالتهم من عقوبة ذنبهم.

[6]لمعا: جمع لمعة: بمعنى بلغة من العيش، شبه بها النتف من الأخبار.

[7]بني خثعم: بدل من أبناء سحمة، و في الأصل «فتى خثعم» بدل «بني خثعم» .

فما أنتم منّي و لا أنا منكم # فراش حريق العرفج المتضرّم[1]

فلست كمن تزري المقالة عرضه # دنيئا كعود الدوحة المترنّم[2]

و ما جار بيتي بالذليل فترتجى # ظلامته يوما و لا المتهضّم

و أقزل آبائي و قسر عمارتي # هما ردّياني عزّتي و تكرّمي

و أحمس يوما إن دعوت أجابني # عرانين منهم أهل أيد و أنعم[3]

/فمن جار مولى يدفع الضيم جاره # إذا ضاع جاري يا أميمة أو دمي[4]

و كيف يخاف الضيم من كان جاره # مع الشمس ما إن يستطاع بسلم

و هي قصيدة طويلة.

و لأسد أشعار كثيرة ذكرت هذه منها هاهنا لأن تعلم إعراقهم في العلم و الشعر، و سائرها يذكر في كتاب النسب مع أخبار شعراء القبائل، إن شاء اللّه تعالى.

إسلام جده أسد و ابنه يزيد

و أدرك أسد بن كرز الإسلام هو و ابنه يزيد بن أسد، فأسلما، فأما أسد فلا أعلمه روى عن رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم و آله رواية كثيرة، بل ما روى شيئا.

و أما يزيد ابنه فروى عنه رواية يسيرة، و ذكر جرير بن عبد اللّه خبر إسلامه، حدّث بذلك عنه خالد بن يزيد عن إسماعيل بن أبي خالد، عن قيس بن أبي حازم، عن جرير بن عبد اللّه، قال: أسلم أسد بن كرز، و معه رجل من ثقيف، فأهدى إلى النبي صلى اللّه عليه و سلم قوسا، فقال له: يا أسد، من أين لك هذه النّبعة؟فقال: يا رسول اللّه تنبت بجبلنا بالسراة، فقال الثّقفيّ: يا رسول اللّه، الجبل لنا أم لهم؟فقال: بل الجبل جبل قسر، به سمى أبوهم[5]قسر عبقر. فقال أسد: يا رسول اللّه، ادع لي. فقال: اللهم اجعل نصرك و نصر دينك في عقب أسد بن كرز. و ما أدري ما أقول في هذا الحديث، و أكره أن أكذّب[6]بما روي عن رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم، [7]و لكن ظاهر الأمر يوجب أنه[7]لو كان رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم دعا له بهذا الدعاء لم يكن ابنه مع معاوية بصفّين على عليّ أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب صلوات اللّه عليه. و لا كان ابن ابنه خالد يلعنه، على/المنبر. و يتجاوز ذلك إلى ما ساء ذكره من شنيع أخباره-قبحه اللّه و لعنه-إلا أني أذكر الشيء كما [1]العرفج: شجر يتخذ منه الوقود، كأنه يقول: بيني و بينكم فراش حريق العرفج المتضرم.

[2]المترنم: من الرنمة، و هي نبات دقيق، يقول: لست ممن تدنس أعراضهم قالة السوء، و ليس عرضي حقيرا كعود الشجرة الواهي الدقيق.

[3]عرانين: جمع عرنين: السيد الشريف، الأيد: القوة و البطش.

[4]دمي: الدم الذي أطلبه في ثأر و نحوه، و في الأصل كان المصراع الثاني من هذا البيت مع المصراع الأول من البيت التالي، و كان المصراع الثاني من البيت التالي مكانه، و هو خطأ.

[5]في الأصل بدل «أبوهم» «ابراهيم» و هو تحريف.

[6]في هج: «و أكره أن أكذب من روى عن... الخ» .

(7-7) تكملة من «هج» .

روي، و من قال على رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم و آله ما لم يقل فقد تبوّأ مقعده من النار. كما وعده عليه السلام.

منافرة بين جده جريد و قضاعة

و كان جرير بن عبد اللّه نافر[1]قضاعة، فبلغ ذلك أسد بن عبد اللّه، و كان بينه و بينه-أعني جريرا-تباعد، فأقبل في فوارس من قومه ناصرا لجرير و معاونا له و منجدا، فزعموا أن أسدا لما أقبل في أصحابه، فرآه جرير، و رأى أصحابه في السلاح ارتاع، و خافه، فقيل له: هذا أسد جاءك ناصرا لك، فقال جرير: ليت لي بكل بلد ابن عم عاقّا مثل أسد، فقال جعدة بن عبد اللّه الخزاعي يذكر ذلك من فعل أسد:

تدارك ركض المرء من آل عبقر # جريرا و قد رانت عليه حلائبه[2]

فنفّس و استرخى به العقد بعد ما # تغشّاه يوم لا توارى كواكبه[3]

/وقاك ابن كرز ذو الفعال بنفسه # و ما كنت وصّالا له إذ تحاربه

إلى أسد يأوي الذليل ببيته # و يلجأ إذ أعيت عليه مذاهبه

فتى لا يزال الدهر يحمل معظما # إذا المجتدى المسئول ضنّت رواجبه[4]

جده يزيد يروي حديثا

و أما يزيد بن أسد فقد ذكرت إسلامه و قدومه مع أبيه على النبي صلى اللّه عليه و سلم، و قد روي عنه أيضا حديثا ذكره هشيم بن بشر الواسطيّ عن سنان بن أبي الحكم قال:

سمعت خالد بن عبد اللّه القسريّ، و هو على المنبر يقول:

/حدثني أبي عن جدّي يزيد بن أسد، قال: قال رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم: يا يزيد، أحبب للناس ما تحبّه لنفسك. و خرج يزيد بن أسد في أيام عمر بن الخطاب في بعوث المسلمين إلى الشام، فكان بها، و كان مطاعا في اليمن عظيم الشأن.

جده يزيد يخف لنصرة عثمان و خطبة جده يزيد في صفين

و لما كتب عثمان إلى معاوية حين حصر يستنجده بعث معاوية إليه بيزيد بن أسد في أربعة آلاف من أهل الشام، فوجد عثمان قد قتل. فانصرف إلى معاوية، و لم يحدث شيئا، و لما كان يوم صفّين قام في الناس فخطب [1]نافره: خاصمه و فاخره.

[2]الركض: العدو السريع، رانت عليه: غلبت عليه، و الضمير يعود على المرء لا على جرير، و المراد أنه غلب عليه لبن الرضاع، فتدارك ذا رحمه، على ما بينهما من شقاق.

[3]نفس: تنفس، و الفاعل ضمير جرير، توارى: أصله تتوارى، و كنى بقوله: لا توارى كواكبه عن طول الليل، و كنى بطويل الليل عن الهم و الأرق.

[4]الرواجب: أصول الأصابع، معظما: عظيما من الأعطية و الديات و نحوها، ضنت رواجبه: بخلت يده: و في الأصل المجدول بدل المسئول، و المثبت من هد، هج.

خطبة مذكورة، حرضهم فيها. فذكر من روى عنه خبره في ذلك الموضع أنه قام و عليه عمامة خزّ سوداء، و هو متّكئ على قائم سيفه، فقال بعد حمد اللّه تعالى و الصلاة على نبيه صلى اللّه عليه و سلم: و قد كان من قضاء اللّه جل و عز أن جمعنا و أهل ديننا في هذه الرقعة من الأرض، و اللّه يعلم أني كنت لذلك كارها، و لكنهم لم يبلعونا ريقنا، و لم يدعونا نرتاد لديننا و ننظر لمعادنا، حتى نزلوا في حريمنا و بيضتنا[1]. و قد علمنا أنّ بالقوم حلماء و طغاما. فلسنا نأمن طغامهم على ذرارينا و نسائنا، و قد كنا لا نحب أن نقاتل أهل ديننا، فأخرجونا حتى صارت الأمور إلى أن يصير غدا قتالنا حميّة، فإنا للّه و إنا إليه راجعون، و الحمد للّه رب العالمين، و الذي بعث محمدا بالحق لوددت أنّي متّ قبل هذا، و لكن اللّه تبارك و تعالى إذا أراد أمرا لم يستطع العباد ردّه، فنستعين باللّه العظيم، ثم انكفأ.

خمول أبيه عبد اللّه و خنوثته منذ نشأته

و لم تكن لعبد اللّه بن يزيد نباهة من ذكرت من آبائه، و أهل المثالب يقولون: إنه دعيّ، و كان مع عمرو بن سعيد الأشدق على شرطته أيام خلافة عبد الملك بن مروان، فلما قتل عمرو هرب حتى سألت اليمانية عبد الملك فيه لما أمّن الناس عام الجماعة، فأمّنه، و نشأ خالد بن عبد اللّه بالمدينة، و كان في حداثته يتخنّث، و يتتبع المغنين و المخنثين و يمشي بين عمر بن أبي ربيعة و بين النساء في رسائلهن إليه و في رسائله إليهن، و كان يقال له خالد الخرّيت[2]/فقال مصعب الزبيري: كل ما ذكره عمر بن أبي ربيعة في شعره، فقال: أرسلت الخرّيت أو قال: أرسلت الجريّ[3]فإنما يعني خالدا القسريّ، و كان يترسل بينه و بين النساء.

يظلل بن أبي ربيعة و عشيقته

أخبرني بذلك الحرميّ و محمد بن مزيد و غيرهما، عن الزبير، عن عمه، و أخبرني عمي: قال: حدثني الكراني، عن العمريّ، عن الهيثم بن عديّ، قال: بينما عمر بن أبي ربيعة ذات يوم يمشي و معه خالد بن عبد اللّه القسري، و هو خالد الخزاعي الذي يذكره في شعره إذا هما بأسماء و هند اللتين كان عمر يشبّب بهما، و هما يتماشيان فقصداهما، و جلسا معهما مليّا، فأخذتهم السماء، و مطروا، فقام خالد و جاريتان المرأتين، فظلّلوا عليهم بمطرفة[4]و بردين له، حتى كفّ المطر، و تفرقوا، و في ذلك يقول عمر بن أبي ربيعة: /

أ في رسم دار معك المترقرق # سفاها و ما استنطاق ما ليس ينطق؟

بحيث التقى جمع و مفضى محسّر # معالم قد كادت على الدهر تخلق[5]

ذكرت بها ما قد مضى من زماننا # و ذكرك رسم الدّار مما يشوّق

[1]البيضة: الحوزة و الحمى.

[2]الخريت: الدليل الماهر في أمر الدلالة.

[3]الجري: الرسول، أو الوكيل.

[4]المطرفة: رداء من خز مربع فيه أعلام.

[5]محسر: اسم مكان، و في هد «فنان» «بدل» «معالم» و بها يختل الوزن، نخلق: تبلى.

مقاما لنا عند العشاء و مجلسا # لنا لم يكدّره علينا معوّق

و ممشى فتاة بالكساء يكنّها # به تحت عين برقها يتألّق[1]

يبلّ أعالي الثوب قطر و تحته # شعاع بدا يعشي العيون و يشرق[2]

فأحسن شيء بدء أول ليلة # و آخرها حزن إذا نتفرق

/الغناء في هذه الأبيات لمعبد خفيف ثقيل أول بالسبابة و الوسطى عن يحيى المكي؛ و ذكر الهشامي أنه منحول.

هو و ابن أبي عتيق يستنجزان ابن أبي ربيعة وعده

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال: حدثني أبو العباس المروزيّ، قال: حدثنا ابن عائشة قال: حضر ابن أبي عتيق عمر بن أبي ربيعة يوما و هو ينشد قوله: و من كان محروبا لإهراق دمعة # و هي غربها فليأتنا نبكه غدا[3]

نعنه على الإثكال إن كان ثاكلا # و إن كان محزونا و إن كان مقصدا[4]

قال: فلما أصبح ابن أبي عتيق أخذ معه خالدا الخرّيت، و قال: قم بنا إلى عمر، فمضيا إليه، فقال له ابن أبي عتيق: قد جئنا لموعدك، و أي موعد بيننا؟قال: قولك.

فليأتنا نبكه غدا.

قد جئناك لموعدك، و اللّه لا نبرح أو تبكي إن كنت صادقا في قولك، أو ننصرف على أنّك غير صادق، ثم مضى و تركه[5].

قال ابن عائشة: خالد الخريت هو خالد القسري.

يجمع بين ابن أبي ربيعة و معشوقاته

أخبرنا علي بن صالح بن الهيثم: قال: حدثنا أبو هفّان عن إسحاق، و أخبرنا محمد بن مزيد، عن حماد، عن أبيه، عن الحزاميّ و المثنى و محمد بن سلام، قالوا: خرجت هند و الرّباب إلى متنزّه لهما بالعقيق في نسوة فجلستا هناك تتحدثنا مليّا، ثم أقبل إليهما خالد القسريّ، و هو يومئذ غلام مؤنث، يصحب المغنّين و المخنّثين، و يترسّل بين عمر بن أبي ربيعة و بين النساء. فجلس إليهما. فذكرتا عمر بن أبي ربيعة، /و تشوقتاه، فقالتا لخالد: يا خرّيت-و كان يعرف بذلك-لك عندنا حكمك إن [1]ممشى: معطوف على «مقاما و مجلسا» يكنها: يسترها، يريد أن الكساء يستر جسمها لا عينها الشبيهة بالبرق المتألق.

[2]سكن ياء (أعالي) لضرورة الشعر، يعشي العيون: يجعلها لا تبصر، و في هد: «يغشي العيون»

.

[3]الغرب: مسيل الدمع من العيون، و في هد:

«و من كان محزونا لإهراق دمعة»

. نبكه-بفتح النون أو ضمها-بمعنى تبكي بدله أو نجعله يبكي، كلا الوجهين مقبول.

[4]المقصد: من أقصد فلان فلانا. طعنه فلم يخطئ مقاتله.

[5]كان السياق يقتضي «ثم مضيا و تركاه» .

جئتنا بعمر بن أبي ربيعة من غير أن يعلم أنا بعثنا بك إليه، فقال: أفعل فكيف تريان أن أقول له؟قالتا: تؤذنه[1]بنا، و تعلمه أنا خرجنا في سرّ منه، و مره أن يتنكر، و يلبس لبسة الأعراب، ليرانا في أحسن صورة، و نراه في أسوإ حال، فنمزح بذلك معه، فجاء خالد إلى عمر، فقال له: هل لك في هند و الرباب و صواحبات لهما قد خرجن إلى العقيق على حال حذر منك و كتمان لك أمرهما[2]؟قال: و اللّه إني إلى لقائهن لمشتاق، قال: فتنكر، و البس لبسة الأعراب، و هلمّ نمض إليهن، ففعل ذلك عمر، و لبس ثيابا جافية، و تعمّم عمّة الأعراب، و ركب قعودا له على رحل غير جيد، و صار إليهن، فوقف منهن قريبا، و سلّم، فعرفنه، فقلن: هلمّ إلينا يا أعرابيّ، فجاءهن، و أناخ قعوده، و جعل يحدثهن، و ينشدهن، فقلن له: يا أعرابي: ما أظرفك، و أحسن إنشادك!فما جاء بك إلى هذه الناحية؟قال: جئت أنشد ضالّة لي، فقالت له هند: انزل إلينا، و احسر عمامتك عن وجهك، فقد عرفنا ضالّتك، و أنت الآن تقدّر أنّك قد احتلت علينا، و نحن و اللّه احتلنا عليك و بعثنا إليك بخالد/الخرّيت، حتى قال لك ما قال، فجئتنا على أسوإ حالاتك، و أقبح ملابسك، فضحك عمر، و نزل إليهن، فتحدّث معهن، حتى أمسوا، ثم إنهم تفرقوا، ففي ذلك يقول عمر بن أبي ربيعة:

صوت

أ لم تعرف الأطلال و المتربّعا # ببطن حليّات دوارس بلقعا[3]

إلى السّرح من وادي المغمّس بدّلت # معالمه و بلا و نكباء زعزعا[4]

/فيبخلن أو يخبرن بالعلم بعد ما # نكأن فؤادا كان قدما مفجّعا[5]

لهند و أتراب لهند إذ الهوى # جميع و إذ لم نخش أن يتصدّعا

في هذه الأبيات ثقيل أول لمعبد:

تبالهن بالعرفان لمّا رأيتني # و قلن امرؤ باغ أكلّ و أوضعا[6]

و قرّبن أسباب الهوى لمتيّم # يقيس ذراعا كلّما قسن إصبعا

كان جده عبدا آبقا

أخبرني الحسن بن علي، قال: حدثنا أحمد بن الحارث، عن المدائني، و ذكر مثل ذلك أبو عبيدة معمر بن المثنى: [1]تؤذنه: تعلمه.

[2]أمرهما: مفعول للمصدر «كتمان» .

[3]حليات: جمع حلية، و هي ما ابيض من يبس النصي، و هو نبت سبط من أجود المراعي، و في هج؛ «حليات» -بالحاء المعجمة- «دوارس بلقعا» حالان من الأطلال لا صفتان لحليات، و في هج: «أ لم تسأل» بدل «أ لم تعرف» .

[4]في هج: «السفح» بدل «السرح» ، المغمس: مكان. النكباء. الزعزع: الريح العاتية.

[5]نكأن فؤادا: من نكأ الجرح، قشرة قبل أن يبرأ، فدمي.

[6]تبالهن: تظاهرن بالبله، أكل: أرهق دابته، أوضع: أسرع بدابته حتى أنهكها، و المراد أنهن تظاهرن بعدم معرفته، و قلن؛ أعرابي أجهده السير، و أجهد راحلته.

أنّ كرز بن عامر جدّ خالد بن عبد اللّه عبد كان آبقا عن مواليه عبد القيس من هجر، و يقال: إن أصله من يهود تيماء، و كان أبق[1]، فظفرت به عبد شمس فكان فيهم عند غمغمة بن شقّ الكاهن، ثم وهبوه لقوم من بني طهيّة، فكان عندهم حتى أدرك، و هرب، فأخذته بنو أسد بن خزيمة، فكان فيهم، و تزوج مولاة لهم يقال لها زرنب، و يقال: إنها كانت بغيّا، فأصابها، فولدت له أسد بن كرز، سماه باسم أسد بن خزيمة لرقّة[2]كانت فيهم، ثم أعتقوه، ثم إن نفرا من أهل هجر مرّوا به، فعرفوه، فلما رجعوا إلى هجر أخذوا فداءه، و صاروا إلى مواليه فاشتروه و ابنه فلم يزل فيهم، حتى خرج معهم في تجارة إلى الطائف، فلما رأى دار بجيلة أعجبته، فاشترى نفسه و ابنه، فجاء، فنزل فيهم، فأقام مدة، ثم ادّعى[3]إليهم و عاونه على ذلك حيّ من أحمس يقال لهم: /بنو منبّه[4]، فنفاهم أبو عامر ذو الرقعة-سمّي بذلك لأن عينه أصيبت. فكان يغطيها بخرقة-و هو ابن عبد شمس بن جوين بن شقّ، فنزل كرز في بني سحمة هاربا من ذي الرّقعة، ثم وثب على ابن عم للقتّال بن مالك السّحميّ فقتله، و هرب إلى البحرين مع التجار، فأقام مدة، ثم مات، و نشأ ابنه يزيد بن أسد يدّعي في بجيلة، و لا تلحقه إلى أن مات، و نشأ ابنه عبد اللّه بن يزيد، ثم مضى إلى حبيب بن مسلمة الفهري، و كتب له، و كان كاتبا مفوّها، و ذلك في إمارة عثمان بن عفان.

ابوه خطيب الشيطان

فنال حظا و شرفا، و كان يقال له: خطيب الشيطان، و وسم[5]خيله: القسريّ، ثم تدسّس ليملك خيلا[6]في بلاد قسر، فمنعته بجيلة ذلك أشدّ المنع، فلم يقدر[7]عليه، حتى عظم أمره، و نشأ ابنه خالد، و مات هو، فكان خالد في مرتبته، ثم ولي العراق، و قال قيس بن القتال له في هذا المعنى:
و من سمّاك باسمك يا بن كرز؟ # و أين المولد المعروف تدري؟[8]

و قال بجير بن ربيعة السّحميّ:

نفته من الشّعبين قسر بعزّها # إلى دار عبد القيس نفى المزنّم[9]

[1]أبق يأبق-من باب ضرب و علم-هرب يهرب.

[2]كذا في النسخ، و لعل الصواب «لرفه كان فيهم» بدل «لرقة كانت فيهم» .

[3]ادعى: انتسب.

[4]في بعض النسخ «منبه» بدل «منية» و في بعضها «أمية» .

[5]وسم خيله القسرى: وضع عليها علامة قبيلة قسر، و يبدو أن القبائل كانت تسم الخيل بما يميز خيل كل قبيلة عن خيل سواها.

[6]في هد. هج: ليملك أرضا.

[7]العلها «تقدر» أو «يقدروا» «بدل» «يقدر» و لا مانع أن تكون «يقدر» بالبناء للمجهول، و المراد-كما يبدو-أنه استطاع أن يمتلك الخيل أو الأرض على رغم منع بجيلة له من ذلك.

[8]في رواية:

«و أين المولد المعرف أنى؟»

.

[9]المزنم: الدعي في قوم ليس منهم.

بين أبيه و أبي موسى بن نصير

/قال أبو عبيدة: و كان بين عبد اللّه بن يزيد بن أسد بن كرز و بين أبي موسى بن نصير كلام عند عبد الملك بن مروان. فقال له عبد اللّه: إنما أنت عبد لعبد القيس، فقال: اسكت، /فقد عرفناك إن لم تعرف نفسك، فقال له عبد اللّه: أنا ابن أسد بن كرز، نحن الذين نضمن الشّهر[1]، و نطعم الدهر، فقال له: تلك قسر، و لست منهم، و إنّما أنت عبد آبق، قد كنت أراك تروم مثل ذلك، فلا تقدر عليه، ثم[2]نفاه جرير بن عبد اللّه إلى الشام، فأقام بها مدة، ثم مضى إلى حبيب، فقال له: دع ذكر البحرين لفرارك، أتراك منهم و أنت عبد، و أهلك من يهود تيماء فأسكتهما عبد الملك، و لم يسرّه ما قال عبد اللّه لأبي موسى بن نصير، لأنه كان على شرطة عمرو بن سعيد يوم قتله، فقال في ذلك أبو موسى بن نصير: جاريت غير سئوم في مطاولة # يا بن الوشائط من أبناء ذي هجر[3]

لا من نزار و لا قحطان تعرفكم # سوى عبيد لعبد القيس أو مضر

تتوارث أسرته الكذب كابرا عن كابر

و قال أبو عبيدة: فأخبرني عبد اللّه بن عمر بن زيد الحكمي قال:

كان يزيد بن أسد يلقب خطيب الشيطان، و كان أكذب الناس في كل شيء معروفا بذلك، ثم نشأ ابنه عبد اللّه فسلك منهاجه في الكذب، ثم نشأ خالد ففاق الجماعة إلا أن رئاسة و سخاء كانا فيه سترا ذلك من أمره.

قال عمر بن زيد: فإني لجالس على باب هشام بن عبد الملك إذ قدم إسماعيل بن عبد اللّه أخو خالد بخبر المغيرة بن سعد و خروجه بالكوفة، فجعل يأتي بأحاديث أنكرها، فقلت له: من أنت يا بن أخي؟قال إسماعيل بن عبد اللّه/بن يزيد القسريّ. فقلت: يا بن أخي. لقد أنكرت ما جرى حتى عرفت نسبك[4]. فجعل يضحك.

يطلب على المنبر أن يطعموه ماء

أخبرني اليزيديّ، عن سليمان بن أبي شيخ، عن محمد بن الحكم، و ذكره أبو عبيدة-و اللفظ له-قالا: كان خالد بن عبد اللّه من أجبن الناس، فلما خرج عليه المغيرة عرف ذلك و هو على المنبر، فدهش و تحيّر، فقال: أطعموني ماء، فقال الكميت في ذلك، و مدح يوسف بن عمر: [1]لعله يريد نضمن شهر السيوف عند الحرب، أو نضمن شهر اسم من نريد رفعته.

[2]كان سياق الكلام يقتضى أن يقول: ثم نفاك... الخ بكاف الخطاب، و لكن على الرواية التي بين أيدينا ينبغي أن نعيد ضمير نفاه إلى كلمة عبد من قوله: «أنت عبد آبق» و قد يكون في العبارة خرم.

[3]الوشائط: الدخلاء ينتمون إلى قوم ليسوا منهم.

[4]يريد أنه إذا عرف السبب بطل العجب، فهو من أسرة يجري الكذب في دمائها.

خرجت لهم تمشي البراح و لم تكن # كمن حصنه فيه الرّتاج المضبّب[1]

و ما خالد يستطعم الماء فاغرا # بعدلك و الداعي إلى الموت ينعب[2]

أولى كذبات ابن الكلبي

و قال ابن الكلبي: أول كذبة كذبتها في النسب أن خالد بن عبد اللّه سألني عن جدته أم كرز، و كانت أمة بغيّا لبني أسد يقال لها: زرنب. فقلت له: هي زينب بنت عرعرة بن جذيمة بن نصر بن قعين، فسرّ بذلك، و وصلني.

بنو أسد ينكرونه

:

قال: قال خالد ذات يوم لمحمد بن منظور الأسدي: يا أبا الصباح، قد ولدتمونا، فقال: ما أعرف فينا ولادة لكم، و إن هذا لكذب. فقيل له: لو أقررت للأمير بولادة ما ضرّك، قال: أ أفسد و أستنبط[3]ما ليس مني، و أقرّ بالكذب/على قومي؟فأمر خالد خداشا الكنديّ-و كان عامله-بضرب مولى لعبّاد بن إياس الأسديّ، فقتله، فرفع إلى خالد، فلم يقده، فوثب عبّاد على خداش فقتله، و قال: لعمري لئن جارت قضية خالد # عن القصد ما جارت سيوف بني نصر

يتطاول على السماء

فأخبرني الحسن بن عليّ قال: حدثنا أحمد بن الحارث، قال: حدثنا المدائني، عن سحيم بن حصين قال: قتل خداش الكنديّ رجلا من بني أسد، و كان الكنديّ عاملا لخالد القسري، فطولب بالقود، و هو على دهلك/[4]، فقال: و اللّه لئن أقدت من عاملي لأقيدنّ من نفسي، و لئن أقدت من نفسي ليقيدن أمير المؤمنين من نفسه، و لئن أقاد أمير المؤمنين من نفسه، ليقيدنّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم من نفسه و لئن أقاد رسول اللّه من نفسه هاه هاه![5] يعرّض باللّه عز و جل، لعنة اللّه على خالد.

أمه نصرانية بظراء

أخبرني الحسن: قال: حدثنا الخراز، عن المدائني، عن عيسى بن يزيد و ابن جعدبة و أبي اليقظان، قالوا: كانت أم خالد رومية نصرانية، فبنى لها كنيسة في ظهر قبلة المسجد الجامع بالكوفة، فكان إذا أراد المؤذن في المسجد أن يؤذن ضرب لها بالناقوس، و إذا قام الخطيب على المنبر رفع النصارى أصواتهم بقراءتهم.

أعشى همدان يفحش في هجائه

فقال أعشى همدان يهجوه، و يعيّره بأمه-و كان الناس بالكوفة إذا ذكروه في ذلك الوقت قالوا: ابن البظراء، [1]البراح: البين الواضح، فهو مفعول مطلق، أي تمشي المشي البراح. و الرتاج المضبب: غلق الباب المصنوع من الحديد، يريد أنه خرج لأعدائه سافرا، و لم يتحصن بحصن مغلق.

[2]العدل-بكسر العين-المعادل، يقول له؛ لم تكن كخالد حين استطعم الماء عند ما سمع بنبإ الإغارة عليه.

[3]في هد، هج «و أستليط من ليس مني» بدل «و أستنبط» و هي رواية أدق، و استلاطه: ادعى بنوته زورا.

[4]الدهلك: جزيرة بين اليمن و أرض الحبشة، أو واحد الدهالك: آكام سوداء معروفة بجزيرة العرب، و ليس كلا المعنيين مناسبا هنا، و رواية هد، هج، و هو على «المنبر» بدل «الدهلك» .

[5]هاه هاه: حكاية لضحك الضاحك.

فأنف من ذلك، فيقال: إنه ختن أمه و هي كارهة، فعيّره الأعشى بذلك حين يقوله-: /

لعمرك ما أدري و إني لسائل # أ بظراء أم مختونة أمّ خالد

فإن كانت الموسى جرت فوق بظرها # فما ختنت إلا و مصّان قاعد[1]

يرى سوأة من حيث أطلع رأسه # تمرّ عليها مرهفات الحدائد

و قال أيضا فيه، يرميه باللّواط:

أ لم تر خالدا يختار ميما # و يترك في النّكاح مشقّ صاد[2]

و يبغض كلّ آنسة لعوب # و ينكح كلّ عبد مستقاد[3]

ألا لعن الإله بني كريز # فكرز من خنازير السواد[4]

يكره مضر، و يسب علي بن أبي طالب

قال المدائني في خبره: و أخبرني ابن شهاب بن عبد اللّه قال: قال لي خالد بن عبد اللّه القسري: اكتب لي النسب فبدأت بنسب مضر فمكثت فيه أياما، ثم أتيته. فقال: ما صنعت؟فقلت: بدأت بنسب مضر و ما أتممته. فقال: اقطعه-قطعه اللّه مع أصولهم-و اكتب لي السيرة، فقلت له: فإنه يمرّ بي الشيء من سير علي بن أبي طالب-صلوات اللّه عليه-فأذكره، فقال: لا، إلا أن تراه في قعر الجحيم[5]. لعن اللّه خالدا و من ولاه، و قبحهم، و صلوات اللّه على أمير المؤمنين[6]:

من مظاهر زندقته و انحرافه

و قال أبو عبيدة: حدثني أبو الهذيل العلاّف، قال:

صعد خالد القسري المنبر، فقال: إلى كم يغلب باطلنا حقّكم، أ ما آن لربكم أن يغضب لكم؟و كان زنديقا، أمه نصرانية، فكان يولّي النصارى و المجوس على المسلمين، و يأمرهم بامتهانهم و ضربهم، و كان أهل الذمة يشترون الجواري المسلمات و يطئونهن، فيطلق لهم ذلك، و لا يغيّر[7]عليهم.

[1]مصان: يقال للرجل: يا مصان، و للمرأة يا مصانة، مرادا بكل منهما أنه يمص بظر أمه، و على هذه الرواية يكون ثمة إقواء في البيت الثاني، و رواية هد: «فما ختنت الا بمصان قاعد»

و هي رواية سليمة تضع عن البيت وزر الإقواء، و على كل فالمراد بالمصان هنا خالد نفسه بدليل قوله في البيت التالي

يريد الأعشى أن الحجام حين استأصل بظر أم خالد كان خالد يراقب عملية استئصال ذلك البظر الذي كان يمصه، و يرى السوأة التي أطلعت رأسه يوم ولادته.

[2]يكنى بالميم عن الاست، لأن حلقتها مستديرة، و بالصاد عن فرج المرأة لأن حلقته مستطيلة و في هج: «و يكره» بدل «و يترك» .

[3]مستقاد: تابع مقود، و في الأصل «مستفاد» و هو تصحيف، و المثبت من هج.

[4]كريز: تصغير كرز جد خالد، و السواد، اسم يطلق على العراق.

[5]يريد ألا يذكر شيئا عنه إلا أن يراه في قعر الجحيم، فيذكر ذلك.

[6]لعن اللّه... الخ من كلام أبي الفرج، و يبدو فيه تشيعه، و لعل لهذا التشيع أثرا في تلك الحملة الشعواء التي شنها على خالد بن عبد اللّه القسري.

[7]كذا بالأصل، و لعل أصل العبارة «و لا يغيره عليهم» أو «و لا يغار عليهن» .

و قال المدائني: كان خالد يقول: لو أمرني أمير المؤمنين نقضت الكعبة حجرا حجرا، و نقلتها إلى الشام.

قال: و دخل عليه فراس بن جعدة بن هبيرة و بين يديه نبق، فقال له، العن عليّ بن أبي طالب و لك بكل نبقة دينار ففعل فأعطاه بكل نبقة دينارا.

قال المدائني: و كان له عامل يقال له: خالد بن أميّ[1]. و كان يقول: و اللّه لخالد بن أميّ أفضل أمانة من علي ابن أبي طالب صلوات اللّه عليه.

و قال له[2]يوما: ايّما أعظم ركيتنا[3]أم زمزم؟فقال له: أيها الأمير: من يجعل الماء العذب النّقاخ[4]مثل الملح الأجاج؟و كان يسمي زمزم أم الجعلان[5].

بينه و بين الفرزدق

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي، قال: حدثنا أبو غسّان دماذ، عن أبي عبيدة، قال: أتى الفرزدق خالد بن عبد اللّه القسري، يستحمله في ديات حملها، فقال له: إيه/يا فرزدق، كأني بك قد قلت: آتي الحائك بن الحائك، فأخدعه عن ماله إن أعطاني، أو أذمّه إن منعني. فأنا حائك ابن حائك. و لست أعطيك شيئا. فأذممني كيف شئت، فهجاه الفرزدق بأشعار كثيرة منها: ليتني من بجيلة اللؤم حتى # يعزل العامل الذي بالعراق

فإذا عامل العراقين ولّي # عدت في أسرة الكرام العتاق[6]

قال: و إنما أراد خالد بقوله: الحائك بن الحائك تصحيح نسبه في اليمن، و الانتفاء من العبودية لأهل هجر.

يتطاول على الخليفة و ابنه فيعزله

و كان خالد شديد العصبية على مضر. و بلغ هشاما أنه قال: ما ابني يزيد بن خالد بدون مسلمة بن هشام، فكان ذلك سبب عزله إياه عن العراق.

يتطاول على مقام النبوة

قال: و خطب بمكة و قد أخذ بعض التابعين، فحبسه في دور آل الحضرمي، فأعظم الناس ذلك و أنكروه، فقال: قد بلغني ما أنكرتم من أخذي عدوّ أمير المؤمنين و من حاربه، و اللّه لو أمرني أمير المؤمنين أن أنقض هذه الكعبة حجرا حجرا لنقضتها، و اللّه لأمير المؤمنين أكرم على اللّه من أنبيائه عليهم السلام، و لعن اللّه تعالى خالدا و أخزاه.

[1]في بعض النسخ «خالد بن العي» و في بعضها «خالد بن آهي» .

[2]قال له: قال خالد الوالي لخالد عامله.

[3]الركية: البئر غير مطوية.

[4]النقاخ: الماء العذب الصافي البارد.

[5]الجعلان: جمع جعل-كزفر-و هو حيوان كالخنفساء يكثر في الأماكن الندية.

[6]رواية هد:

«عدت في أسرتي»

و هي أجود.

أخبرني أبو عبيدة الصّيرفيّ، قال: حدّثنا الفضل بن الحسن المصريّ، قال: حدّثني عمر بن شبّة، قال: حدّثني عبيد اللّه بن حباب، قال: حدثني عطاء بن مسلم قال: قال خالد بن عبد اللّه، و ذكر النبي صلى اللّه عليه و سلم، فقال: /أيّما أكرم[1]عندكم على الرجل: رسوله في حاجته أو خليفته في أهله؟يعرّض بأنّ هشاما خير من النبي صلى اللّه عليه و سلم.

يوازن بين إبراهيم الخليل و الخليفة

قال أبو عبيدة: خطب خالد يوما، فقال: إن إبراهيم خليل اللّه استسقى ماء، فسقاه اللّه ملحا أجاجا، و إن أمير المؤمنين استسقى اللّه ماء، فسقاه اللّه عذبا نقاخا[2]، و كان الوليد حفر بئرا بين ثنيّة ذي طوى و ثنيّة الحجون، فكان خالد ينقل ماءها، فيوضع في حوض إلى جنب زمزم. ليرى الناس فضلها. قال: فغارت تلك البئر، فلا يدرى أين هي إلى اليوم؟

ينال من علي بن أبي طالب

أخبرني أبو الحسن الأسديّ: قال: حدثنا العباس بن ميمون طايع، عن ابن عائشة، قال:

كان خالد بن عبد اللّه زنديقا، و كانت أمه رومية نصرانية وهبها عبد الملك لأبيه. فرأى يوما عكرمة، مولى ابن عباس، و على رأسه عمامة سوداء، فقال: إنه بلغني أنّ هذا العبد يشبه عليّ بن أبي طالب صلوات اللّه عليه و سلامه، و إني لأرجو أن يسوّد اللّه وجهه كما سوّد وجه ذاك.

قال: حدثني من سمعه، و قد لعن عليّا-صلوات اللّه عليه و سلامه-فقال في ذكره: عليّ بن أبي طالب بن عم محمد بن عبد اللّه بن عبد المطلب، و زوج ابنته فاطمة، و أبو الحسن و الحسين، هل كنّيت[3]. اللهم العن خالدا و اخزه، و جدّد على روحه العذاب.

اسماعيل بن خالد يسب بني أميّة في مجلس السفاح

و قال أبو عبيدة: ذكر إسماعيل بن خالد بن عبد اللّه القسريّ بني أمية عند أبي العباس/السفاح في دولة بني هاشم، فذمهم و سبهم، و قال له حمّاس[4]الشاعر مولى عثمان بن عفان: يا أمير المؤمنين: أ يسبّ بني عمك و عمّالهم و عماتك رجل اجتمع هو و الخرّيت في نسب؟إن بني أمية لحمك و دمك، فكلهم و لا تؤكّلهم[5]. فقال له: صدقت. و أمسك إسماعيل فلم يحر جوابا.

[1]كأنه يعتقد أن الخليفة خليفة اللّه، و نسي أن الخليفة خليفة رسول اللّه، و عليه فلا مجال للمقارنة.

[2]النقاخ: الماء العذب الصافي البارد.

[3]استفهام انكاري: يريد به أنه عرف عليا بجميع أدوات التعريف، حتى لا تخطئه اللعنة.

[4]كذا بالأصل، و في بعض الأصول جماس-بالجيم المعجمة و تشديد الميم-و لعل هذا و ذاك محرفان عن الجماز الشاعر المعروف.

[5]يريد أن يقول له: تول أنت بيدك عقوبتهم، و لا تلك ذلك إلى غيرك، على حد قول الشاعر: فإن كنت مأكولا فكن أنت اكلي # و إلا فأدركني و لما أمزق

و قد تمثل بهذا البيت الخليفة عثمان بن عفان في خطاب بعث به إلى علي بن أبي طالب، يستعديه فيه على الثائرين عليه.

سليمان يضربه مائة سوط

و قال ابن الكلبي: كان خالد بن عبد اللّه أميرا على مكة فأمر رأس الحجبة أن يفتح له الباب[1]و هو ينظر، فأبى فضربه مائة سوط. فخرج الشّيبيّ[2]إلى سليمان بن عبد/الملك يشكوه فصادف الفرزدق بالباب، فاسترفده[3].

فلما أذن للناس، و دخلا شكا الشيبيّ ما لحقه من خالد، و وثب الفرزدق، فأنشأ يقول: سلوا خالدا لا أكرم اللّه خالدا # متى وليت قسر قريشا تدينها[4]

أقبل رسول اللّه أم ذاك بعده! # فتلك قريش قد أغثّ سمينها[5]

رجونا هداه لا هدى اللّه خالدا # فما أمّه بالأم يهدى جنينها

فحمي سليمان و أمر بقطع يد خالد، و كان يزيد بن المهلّب عنده، فما زال/يفدّيه[6]، و يقبّل يده، حتى أمر بضربه مائة سوط، و يعفى عن يمينه، فقال الفرزدق في ذلك: لعمري لقد صبّت على ظهر خالد # شآبيب ما استهللن من سبل القطر[7]

أ يضرب في العصيان من كان طائعا # و يعصي أمير المؤمنين أخو قسر؟[8]

فنفسك لم فيما أتيت فإنما # جزيت جزاء بالمحدرجة السّمر[9]

و أنت ابن نصرانيّة طال بظرها # غذتك بأولاد الخنازير و الخمر

فلو لا يزيد بن المهلّب حلّقت # بكفك فتخاء إلى الفرخ في الوكر[10]

لعمري لقد صال ابن شيبة صولة # أرتك نجوم الليل ظاهرة تسري[11]

يحبس الفرزدق

فحقدها خالد على الفرزدق فلما ولّي، و حفر نهر العراق[12]بواسط قال فيه الفرزدق أبياتا يهجوه منها: و أهلكت مال اللّه في غير حقّه # على النّهر المشئوم غير المبارك

[1]يريد برأس الحجبة رأس حجبة الكعبة، و بالباب باب الكعبة.

[2]الشيبي: نسبة إلى بني شيبة الذين كانوا يقومون بسدانة الكعبة.

[3]استرفده: استعان به.

[4]تدينها: تخضعها، و تذلها، و في هج: «تهينها» بدل «تدينها» .

[5]أغث سمينها: هزل ما كان سمينا من إبلها و شاتها.

[6]يفديه: يقول له: جعلني اللّه فداءك.

[7]الشآبيب: جميع شؤبوب، و هو الدفعة من المطر. السبل: المطر.

[8]يريد أن خالدا يضرب الطائعين، و يعصي هو. و في «المختار» : «أ يضرب في الإسلام»

.

[9]المحدرجة السمر: السياط.

[10]الفتخاء: العقاب اللينة الجناحين، يريد: لو لا يزيد لقطعت يدك، فالتقطتها عقاب لينة الجناحين، و جعلت منها غذاء لفرخها في وكره.

[11]يريد أن هذه الصولة أرقتك، فجعلت تراقب النجوم في مساريها.

[12]في هد، هج: «و حفر نهار المبارك بالعراق» .

و تضرب أقواما صحاحا ظهورهم # و تترك حقّ اللّه في ظهر مالك[1]

/و قال، و يقال: إنها للمفرج بن المرقع[2].

كأنك بالمبارك بعد شهر # يخوض غماره نقع الكلاب[3]

كذبت خليفة الرحمن عنه # و كيف يرى الكذوب جزى الكذاب[4]

فأخذ خالد الفرزدق، فحبسه، و اعتل عليه بهجائه إياه في حفر المبارك، فقال الفرزدق في السجن: أبلغ أمير المؤمنين رسالة # فعجّل هداك اللّه نزعك خالدا[5]

بنى بيعة فيها الصّليب لأمّه # و هدّم من بغض الإله المساجدا

فبعث هشام إلى خالد بن سويد[6]يأمره بإطلاق الفرزدق، فأطلقه، فقال الفرزدق يهجو خالدا القسريّ: ألا لعن الرحمن ظهر مطية # أتتنا تخطّى من بعيد بخالد[7]

و كيف يؤمّ المسلمين و أمّه # تدين بأنّ اللّه ليس بواحد؟

ابن عيّاش يشتمه

أخبرنا الحسن، قال: حدثنا أحمد بن الحارث، قال: حدثنا المدائني، قال: شتم عبد اللّه بن عيّاش الهمذانيّ خالد بن عبد اللّه في أيام منصور بن جمهور، فسمعه رجل من لخم، فقدّمه إلى منصور و استعداه عليه، فقال له منصور: ما تريد؟ /فقال ابن عيّاش: أمرنا أيها الأمير برقية العقرب. و فيه[8]عجب، لخميّ يستنصر كلبيّا على همذانيّ لبجليّ دعيّ.

يدل على هشام

و قال المدائني/في خبره: كان خالد بن عبد اللّه قريبا من هشام بن عبد الملك مكينا عنده فأدلّ، و تمرّغ[9] عليه، حتى إنه التفت يوما إلى ابنه يزيد بن خالد عند هشام، فقال له: كيف بك يا بنيّ إذا احتاج إليك بنو أمير

[1]تقدم هذان البيتان في «ترجمة الفرزدق» .

[2]في بعض النسخ: «المربع» .

[3]نقع الكلاب: جيف الكلاب المنقوعة في الماء، و في هج، هد: «بقع الكلاب» .

[4]في هد، هج «و سوف» «بدل» «و كيف» جزا: مقصور جزاء، الكذاب: الكذب.

[5]تقدم هذان البيتان أيضا في ترجمة الفرزدق.

[6]ابن سويد مفعول «بعث» و في «نسخة» : فبعث هشام إلى خالد رسولا» .

[7]تقدم البيتان أيضا في «ترجمة الفرزدق» ، و في هد، هج «من دمشق» بدل «من بعيد» . و في الكامل: «تهادي» بدل «تخطي» .

[8]في العبارة التواء، و نرجح أن قوله: «و فيه عجب» تحريف «و الرقية عجب» و يقصد بالعقرب خالدا، و بالرقية الأسجاع التالية، اللخمي هو الواشي، و الكلي هو منصور بن جمهور، و الهمذاني هو المتكلم، أي الذي شتم خالدا، و البجلي الدعي هو خالد، و الكلام مسوق مساق التهكم.

[9]تمرغ عليه: تلبث عنده، و أطال الترداد عليه.

المؤمنين؟قال: أواسيهم و لو في قميصي. فتبين الغضب في وجه هشام[1]، و احتملها.

يلقب هشاما بابن الحمقاء

قال المدائني: حدثني بذلك عبد الكريم مولى هشام: إنه كان واقفا على رأس هشام، فسمع هذا من[2]خالد، قال: و كان[3]إذا ذكر هشام قال له: ابن الحمقاء فسمعها رجل من أهل الشام، فقال لهشام: إن هذا البطر الأشر الكافر لنعمتك و نعمة أبيك و إخوتك يذكرك بأسوإ الذكر، فقال: ما ذا يقول؟لعله يقول: الأحول قال: لا و اللّه، و لكن ما لا تنشق به الشفتان قال: فلعله قال: ابن الحمقاء، فأمسك الشامي، فقال: قد بلغني كل ذلك عنه.

يستغل نفوذه فيتضاعف دخله

و اتخذ خالد ضياعا كثيرة حتى بلغت غلّته عشرة آلاف ألف درهم، فدخل عليه دهقان كان يأنس به فقال له: إن الناس يحبون جسمك، و أنا أحبّ جسمك/و روحك، قد بلغت غلّة ابنك أكثر من عشرة آلاف ألف سوى غلّتك[4]، و إن الخلفاء لا يصبرون على هذا، فاحذر، فقال له خالد: إن أخي أسد بن عبد اللّه قد كلمني بمثل هذا، أ فأنت أمرته؟قال: نعم، قال: ويحك! دعه، فربّ يوم كان يطلب فيه الدرهم، فلا يجده.

كان بخيلا بطعامه

و قال المدائني في خبره: كان خالد بن عبد اللّه بخيلا على الطعام، فوفد إليه رجل له به حرمة، فأمر أن يكتب له بعشرة آلاف درهم[5]، و حضر الطعام، فأتي به، فأكل أكلا منكرا، فأغضبه، و قال للخازن: لا تعرض عليّ صكّة، فعرّفه الخازن ذلك، فقال له: ويحك!فما الحيلة؟قال: تشتري غدا كل ما يحتاج إليه في مطبخه، و تهب الطبّاخ دراهم، حتى لا يشتري شيئا، و تسأله إذا أكل خالد أن يقول له: إنك اليوم في ضيافة فلان، فاشترى كل ما أراد، حتى الحطب، فبلغ خمسمائة درهم، فأكل خال؛ فاستطاب ما صنع له. فقال له الطبّاخ: إنك كنت اليوم في ضيافة فلان، قال له: و كيف ذاك؟ فأخبره، فاستحيا خالد و دعا بصكّه، فصيّره ثلاثين ألفا، و وقع فيه، و أمر الخازن بتسليمها إليه.

حيلة يحتالها تاجر عليه

قال: و كان لبعض التجار على رجل دين، فأراد استعداء خالد عليه، فلاذ الرجل ببواب خالد، و بره، فقال له: سأحتال لك في أمر هذا بحيلة، لا يدخله

عليه أبدا، قال: فافعل، فلما جلس خالد للأكل أذن البواب للتاجر فدخل، و خالد يأكل سمكا، فجعل يأكل أكلا شنيعا كثيرا، فغاظ ذلك خالدا، فلمّا خرج قال/لبوابه: فيم أتاني هذا؟قال: يستعدي على فلان في دين يدعيه عليه. قال: و اللّه إني لأعلم أنه كاذب، فلا يدخلنّ عليّ. و تقدّم إلى صاحب الشرطة بقبض يده عن صاحبه[6].

[1]سبب الغضب أن السؤال يؤذن بحاجة بني أمية و زوال ملكهم.

[2]هذا: هذا الخبر، و نرجح أن «من» هنا تحريف عن، أي سمع رواية الشامي لهذه القصة.

[3]عبارة هج: «و كان إذا ذكر هشام قال: ما قال لكم ابن الحمقاء؟» .

[4]في هج: «قد بلغت غلتك أكثر من عشرة آلاف ألف سوى غلة ابنك» .

[5]في هج: «بعشرين ألف درهم» .

[6]في هد، هج «بأن يقبض يده عن خصمه» و لعل المراد أنه خلى بين التاجر و المدين، و منع الشرطة أن تحمي الثاني من الأول. ـ

و قال المدائني في خبره:

خبير بلغة الحمير

كان خالد يوما يخطب على المنبر. و كان لحنة، و كان له مؤدب يقال له: الحسين بن رهمة[1]الكلبيّ، و كان يجلس بإزائه، فإذا شك في شيء أومأ إليه، و كان لخالد صديق من تغلب زنديق يقال له زمزم، فلما قام يخطب على المنبر قام إليه التغلبي في وسط خطبته، و قال: قد حضرتني مسألة، قال: ويحك!أما ترى الشيطان عينه في عيني، يعني حسينا، قال: لا بد و اللّه منها، قال: هاتها، قال: أخبرني، قلمسان[2]إذا ساف[3]، ثم رفع رأسه و كرف[4]أيّ شيء يقول؟قال: أراه يقول: ما أطيبه يا رباه، قال: صدقت ما كان ليستشهد على هذا سوى ربه.

رأيه في حفظة القرآن

قال المدائني: و قال خالد يوما على المنبر: هذا كما قال اللّه عز و جل: أعوذ باللّه من/الشيطان الرجيم ثم أرتج عليه، فقال للتغلبي: قم فافتح عليّ يا أبا زمزم سورة كذا و كذا، فقال: خفّض عليك أيها الأمير، لا يهولنّك ذلك، فما رأيت قط عاقلا حفظ القرآن، و إنما يحفظه الحمقى من الرجال، قال: صدقت، يرحمك اللّه.

يهب المغنية للقصاص

و قال المدائنيّ: حدّثني أبو يعقوب الثقفيّ، قال:

قال خالد بن عبد اللّه للعريان: يا عريان، أعجزت عن الشّرط، حتى أولّي/غيرك!فإن الغناء قد فشا و ظهر قال: لم أعجز، و إن شئت فاعزلني، فقال له: خذ لي المغنّيات، فأحضره خمسا منهن أو ستّا، فأدخلهنّ إليه، فنظر إلى واحدة منهن بيضاء دعجاء؛ كأنّها أشربت ماء الذهب، فدعا لها بكرسيّ، فجلست. ثم قال لها: اين البربط[5] الذي كانت تضرب به؟فأحضر، ثم سوّته، فغنت:

إلى خالد حتّى أنخن بخالد # فنعم الفتى يرجى و نعم المؤمّل

فقال: اعدلي عن هذا إلى غيره، فغنّت:

أروح إلى القصّاص كل عشيّة # أرجّى ثواب اللّه في عدد الخطا

قال: و أقبل قاصّ المصر. فقال له خالد: أ كانت هذه تروح إليك؟قال: لا، و ما مثلها يروح إليّ، قال: خذ بيدها فهي لك، و مولاها بالباب، فسأل

عنها فقيل: وهبها للقاصّ، فتحمّل[6]عليه بأشراف الكوفة، فلم يرددها، حتى اشتراها منه بمائتي دينار.

[1]في بعض النسخ: دهمة.

[2]كذا بالأصل، و الذي في هج و هد: أخبرني عن الحمار إذا ساف و كرف، ثم رفع رأسه، و كرف، أي شيء يقول؟» و ليس بين أيدينا من المعاجم ما يفيد أن كلمة «قلمسان» تطلق على الحمار أو غيره.

[3]ساف: شم.

[4]كرف الحمار و غيره: شم بول الأتان، ثم رفع رأسه، و قلب جحفلته.

[5]البربط-كجعفر-العود، و هو لفظ معرب عن «بر» ، «بط» بمعنى صدر الإوز، لأن شكل العود يشبه شكل صدر الأوز.

[6]تحمل: توسل.

هشام يضيق به ذرعا فيقرعه

:

و قال المدائنيّ؛ قال خالد في خطبته: و اللّه ما إمارة العراق ممّا يشرفني، فبلغ ذلك هشاما، فغاظه جدّا، و كتب إليه:

بلغني يا بن النّصرانية أنك تقول: إن إمارة العراق ليست مما يشرفك، صدقت و اللّه، ما شيء يشرفك، و كيف تشرف و أنت دعيّ إلى بجيلة القبيلة القليلة الذليلة، أما و اللّه إني لأظنّ أن أول ما يأتيك ضغن من قيس[1]، فيشد يديك إلى عنقك.

هشام ينكل به تنكيلا

و قال المدائني: حدثني شبيب بن شيبة عن خالد بن صفوان بن الأهتم/ قال: لم تزل أفعال خالد به[2]، حتى عزله هشام، و عذّبه، و قتل ابنه يزيد بن خالد، فرأيت في رجله شريطا قد شدّ به، و الصبيان يجرونه، فدخلت إلى هشام يوما، فحدثته، و أطلت، فتنفس. ثم قال: يا خالد، ربّ خالد كان أحبّ إليّ قربا، و ألذّ عندي حديثا منك، قال: يعني خالدا القسري، فانتهزتها، و رجوت أن أشفع له فتكون لي عند خالد يد، فقلت: يا أمير المؤمنين، فما يمنعك من استئناف الصنيعة عنده؟فقد أدّبته بما فرط منه، فقال: هيهات، إن خالدا أوجف[3]فأعجف، و أدلّ[4] فأملّ، و أفرط في الإساءة فأفرطنا في المكافأة، فحلم الأديم[5]، و نغل الجرح[6]، و بلغ السيل الزّبى[7]و الحزام الطّبيين[8]، فلم يبق فيه مستصلح، و لا للصنيعة عنده موضع، عد إلى حديثك.

عود إلى تخنثه و دورانه في فلك عمر بن أبي ربيعة

فأمّا أخباره في تخنثه و إرسال عمر بن أبي ربيعة إياه إلى النساء، فأخبرني به عليّ بن صالح بن الهيثم عن أبي هفّان، عن إسحاق بن إبراهيم الموصلي، عن عثمان بن إبراهيم الحاطبي، و أخبرني الحرميّ بن أبي العلاء، قال:

حدثني الزبير بن بكر، قال: /حدثني محمد بن الحارث بن سعد السعيدي، عن إبراهيم بن قدامة الحاطبيّ، عن أبيه، و اللفظ لعلي بن صالح في خبره، قالا[9]: قال الحاطبي:

أتيت عمر بن أبي ربيعة بعد أن نسك بسنين، فانتظرته في مجلس قومه، حتى إذا تفرق القوم دنوت منه، و معى صاحب لي، فقال لي صاحبي:

هل لك في أن/تريغه[10]عن الغزل، فنظر هل بقي منه شيء عنده؟فقلت [1]ضغن: حاقد عليك من قيس الذين لا تفتأ تنال منهم.

[2]متعلق الجار و المجرور محذوف، تقديره «عالقة» أو مزرية به، أو نحو ذلك.

[3]لعله يريد بقوله: «أوجف فأعجف» أسرع في الإساءة، و تمادى فيها، فأصاب منزلته عندنا بالهزال و العجف.

[4]أدل فأمل، أكثر من الإدلال، فسبب لنا السامة و الإملال.

[5]الأديم: الجلد، حلم: كثر دوده، حتى تثقب و فسد.

[6]نغل الجرح: تعفن، و فسد.

[7]الزبى: جمع زبية، و هي الربوة لا يصل اليها الماء، فإذا وصل إليها كان ذلك نذيرا بخطر السيل، و جملة «بلغ السيل الزبى» مثل يضرب عند تفاقم الخطر، و بلوغه مداه.

[8]الطبي-بضم الطاء و كسرها-حلمة ثدي الناقة و نحوها، و جملة «جاوز الحزام الطبيين: كسابقتها تضرب مثلا في تفاقم الأمر، و بها تمثل عثمان بن عفان في خطابه إلى علي بن أبي طالب، حينما استعداه على الثائرين عليه» .

[9]ضمير «قالا» لعلي بن صالح و الحرمي بن أبي العلاء.

[10]تريغه: من أراغه عن الأمر و عليه: طلبه منه.

له: دونك. فقال: يا أبا الخطاب أحسن و اللّه ريسان العذرى-قاتله اللّه- قال: و فيم أحسن؟قلت: حيث يقول: لو جزّ بالسيف رأسي في مودّتها # لمال لا شك يهوي نحوها رأسي

فقال: نعم أحسن، فقلت: يا أبا الخطاب، و أحسن و اللّه تحيّة بن جنادة العذريّ، قال: في ما ذا؟قلت: حيث يقول: سرت لعينيك سلمى بعد مغفاها # فبتّ مستوهنا من بعد مسراها

فقلت: أهلا و سهلا من هداك لنا # إن كنت تمثالها أو كنت إيّاها

و في رواية الزبير خاصة:

تأتي الرياح من نحو أرضكم # حتى أقول: دنت منّا بريّاها

و قد تراخت بها عنّا نوّى قذف # هيهات مصبحها من بعد ممساها[1]

من حبّها أتمنّى أن يلاقيني # من نحو بلدتها ناع فينعاها

كيما أقول: فراق لا لقاء له # و تضمر اليأس نفسي ثم تسلاها

/و لو تموت لراعتني و قلت لها: # يا بؤس للدهر ليت الدهر أبقاها

و يروى.

... لراعتني منيّتها # و قلت يا بؤس ليت الدهر أبقاها

فضحك عمر ثم قال: يا ويحه أحسن و اللّه، لقد هيجتما عليّ ما كان ساكنا مني فلأحدّثنكما حديثا حلوا: بينا أنا أوّل أعوامي جالس إذا بخالد الخريت قال: مررت بأربع نسوة قبيل[2]، يردن ناحية كذا و كذا من مكة، لم أر مثلهن قط، فيهن هند، فهل لك أن تأتيهن متنكرا فتسمع من حديثهن، و لا يعلمن؟فقلت: و كيف لي بأن يخفى ذلك؟قال: تلبس لبسة الأعراب، ثم تقعد على قعود، كأنك تنشد ضالة، فلا يشعرن حتى تهجم عليهن، قال: فجلست على قعود. ثم أتيتهنّ فسلّمت عليهن، فآنسنني، و سألنني أن أنشدهن، فأنشدتهن لكثيّر و جميل و غيرهما، و قلن: يا أعرابي، ما أملحك، لو نزلت، فتحدثت معنا يومنا هذا، فإذا أمسيت انصرفت، فأنخت قعودي، و جلست معهن، فحدثتهن، و أنشدتهن، فدنت هند، فمدّت يدها، فجذبت عمامتي، فألقتها عن رأسي، ثم قالت: تاللّه لظننت أنك خدعتنا، نحن و اللّه خدعناك، أرسلنا إليك خالدا الخرّيت في إتياننا بك على أقبح هيئتك، و نحن على أحسن هيئتنا. ثم أخذن بنا في الحديث، فقالت إحداهن: يا سيدي لو رأيتني[3]منذ أيام، و أصبحت عند أهلي، فأدخلت رأسي/في جيبي، فنظرت

إلى حرى، فرأيته ملء العسّ و القسّ[4]فصحت: يا عمراه!فصحت[5]: لبيك [1]قذف: بعيدة تتقاذف بمن تصيبه، مصبح و ممسى: مصدران ميميان، أو اسما مكان أو زمان من أصبح و أمسى، و في هد، هج

«هيهات مصبحها عنا و ممساها»

.

[2]قبيل: متشابهات.

[3]في هد «لقد رأيتني» بضم التاء.

[4]العس: القدح الكبير، أما القس فلا مكان له هنا، و نرجح أنهما تحريف «العين و النفس» .

[5]تاء «صحت» الأولى ضمير المرأة المتحدثة، و تاء «صحت» الثانية ضمير ابن أبي ربيعة.

لبيك، و لم أزل معهن في أحسن وقت إلى أن أمسينا، فتفرقنا، عن أنعم عيش، فذلك حين أقول: أ لم تعرف الأطلال و المتربّعا # ببطن حليّات دوارس بلقعا[1]

و ذكر الأبيات.

انقضت أخبار خالد لعنة اللّه عليه أبدا.

صوت

أ نائل ما رؤيا زعمت رأيتها # لنا عجب لو أنّ رؤياك تصدق

أ نائل ما للعيش بعدك لذة # و لا مشرب نلقاه إلا مرنّق[2]

/أ نائل إنّي و الذي أنا عبده # لقد جعلت نفسي من البين تشفق

لعمرك إن البين منك يشوقني # و بعض بعاد البين و النأي أشوق

الشعر لصخر بن الجعد الخضريّ.

أخبرنا بذلك محمد بن مزيد، عن الزبير بن بكار أن عمه أنشده هذه القصيدة لصخر بن الجعد الخضري، و أنا أذكرها بعقب أخبار صخر. و من الناس من يروي هذه الأبيات لجميل، و لم يأت ذلك من وجه يصحّ، و الزبير أعلم بأشعار الحجازيين.

و الغناء لعريب خفيف ثقيل عن الهشامي، و فيه لابن المكي ثقيل أول بالوسطى عن عمرو.

[1]مضى هذا البيت و ما بعده في حديث سابق، كما مضى الحديث كله في هذه الترجمة نفسها مع اختلاف في الرواية.

[2]مشرب مرنق: مشوب غير صاف.

2-أخبار صخر بن الجعد و نسبه

نسبه

صخر بن الجعد الخضريّ، و الخضر ولد مالك بن طريف بن محارب بن خصفة بن قيس بن عيلان بن مضر، و صخر أحد بني جحاش بن سلمة بن ثعلبة بن مالك بن طريف، قال: و سمّي ولد مالك بن طريف الخضر لسوادهم، و كان مالك شديد الأدمة[1]. و خرج ولده إليه فقيل لهم الخضر، و العرب تسمي الأسود الأخضر.

ابن ميادة يترفع عن مهاجاته

و هو شاعر فصيح من مخضرمي الدولتين الأموية و العباسية، و قد كان يعرض لابن ميادة لمّا انقضى ما بينه و بين حكم[2]الخضريّ من المهاجاة، و رام أن يهاجيه، فترفّع ابن ميّادة عنه.

أخبرني بخبره عليّ بن سليمان الأخفش، عن هارون بن محمد بن عبد الملك الزيات، عن الزبير بن بكار مجموعا، و أخبرني بأخبار له متفرقة الحرميّ بن أبي العلاء، عن الزبير بن بكار.

و حدثني بها غيرهما من غير رواية الزبير، فذكرت كلّ شيء من ذلك مفردا، و نسبته إلى راويه.

قصته مع محبوبته كأس

قال الزبير فيما رواه هارون عنه:

حدثني من أثق به عن عبد الرحمن بن الأحول بن الجون قال: كان صخر بن الجعد مغرما بكأس بنت بجير بن جندب، و كان يشبب بها، فلقيه أخوها وقّاص، و كان شجاعا، فقال له: يا صخر، إنك تشبب[3]بابنة عمك، و شهرتها، و لعمري ما بها عنك مذهب؛ و لا لنا عنك مرغب، فإن كانت لك فيها حاجة فهلم أزوّجكها، و إن لم تكن لك فيها حاجة فلا أعلمن ما عرضت لها/بذكر، و لا أسمعنّه منك. فأقسم باللّه لئن فعلت ذلك ليخالطنّك سيفي، فقال له: بل و اللّه إن لي لأشدّ الحاجة إليها، فوعده موعدا و خرج صخر لموعده، حتى نزل بأبيات القوم، فنزل منزل الضيف، فقام وقّاص فذبح، و جمع أصحابه.

و أبطأ صخر عنهم، فلما رأى ذلك وقّاص بعث إليه: أن هلمّ لحاجتك، فأبطأ[4]، و رجع الرسول فقال مثل قوله[5]، [1]الأدمة: السواد.

[2]في هج «الحكم» بدل «حكم» .

[3]في بعض النسخ: إنك نسبت «بدل» إنك تشبب، و هذه الرواية أنسب.

[4]ضمير «أبطأ» يصح أن يكون عائدا على صخر، و على الرسول.

[5]في العبارة التواء فلم يتقدم مرجع لضمير «قوله» .

فغضب. و عمد إلى رجل من الحيّ ليس يعدل بصخر، يقال له حصن، و هو مغضب لما صنع، فحمد اللّه و أثنى عليه، و زوّجه كأس، و افترق القوم، و مروا بصخر، فأعلموه تزويج كأس بحصن، فرحل عنهم من تحت الليل، و اندفع يهجوها بالأبيات التي قذفها فيها فيما قذفها، و ذلك قوله حين يقول: و أنكحها حصنا ليطمس حملها # و قد حملت من قبل حصن و جرّت

أي زادت على تسعة أشهر، قال: و ترافع القوم إلى المدينة، و أميرها يومئذ طارق مولى عثمان، قال: فتنازعوا إليه.

و معهم يومئذ رجل يقال له حزم، و كان من أشد الناس على صخر شرّا. قال: و فيه يقول صخر: /

كفى حزنا لو يعلم النّاس أنّني # أدافع كأسا عند أبواب طارق[1]

أ تنسين أياما لنا بسويقة # و أيامنا بالجزع جزع الخلائق

ليالي لا نخشى انصداعا من الهوى # و أيام حزم عندنا غير لائق[2]

/إذا قلت لا تفشي حديثي تعجرفت # زيادا لودّ هاهنا غير صادق[3]

قال: فأقاموا عليه البيّنة بقذف كأس، فضرب الحدّ، و عاد إلى قومه، و أسف على ما فاته من تزويج كأس، فطفق يقول فيها الشعر.

مطولته في كأس

قال الزبير: فأنشدني عمّي و غيره لصخر قوله:

لقد عاود النفس الشقيّة عيدها # نعم إنّه قد عاد نحسا سعودها[4]

و عاوده من حبّ كأس ضمانة # على النأي كانت هيضة تستقيدها[5]

و أنى ترجّيها و أصبح وصلها # ضعيفا و أمست همّه لا يكيدها[6]

و قد مرّ عصر و هي لا تستزيدني # لما استودعت عندي و لا أستزيدها

فما زلت حتى زلّت النعل زلّة # برجلك في زوراء و عث صعودها[7]

ألا قل لكأس إن عرضت لبيتها # فأين بكا عيني و أين قصيدها؟

[1]يريد بالمدافعة المقاضاة، و تنوين «كأسا» ليس ضرورة، فهو مؤنث ثلاثي ساكن الوسط يجوز تنوينه و منعه من الصرف.

[2]يريد حزما عدوه الذي تقدمت الإشارة اليه، و «حزم» مرفوع على الابتداء، و أيام مضافة إلى الجملة بعدها.

[3]تعجرفت: تكبرت، زيادا: مفعول لأجله، أي تكبرت لتزيد ودا بيننا غير صادق، و في هد، هج: «ديارا» بدل «زيادا» و لا معنى له.

[4]العيد هنا: ما يعتاد الإنسان.

[5]الضمانة: العلة، الهيضة: المرض بعض المرض، فاعل «تستقيدها» ضمير كأس، يريد أن كأسا تأخذ القود منه، و تثأر لنفسها بما أصابته به من علة بعد علة.

[6]أمست همه لا يكيدها، أي أمست كأس و ليس من همه أن يضمر لها كيدا.

[7]زوراء: أرض بعيدة، و عث صعودها: من و عث الطريق و عثا: تعسر سلوكه، يريد أنه كان مع كأس على وفاق، حتى زلت به النعل زلة لا إقالة منها.

لعل البكا يا كأس إن نفع البكا # يقرّب دنيانا لنا فيعيدها

و كانت تناهت لوعة الودّ بيننا # فقد أصبحت يبسا و أذبل عودها[1]

/و يروى: و قد ذاء عودها يقال: ذبل و ذأى و ذوى بمعنى واحد.

ليالي ذات الرمس لا زال هيجها # جنوبا و لا زالت سحاب تجودها[2]

و عيش لنا في الدهر إذ كان قلبه # يطيب لديه بخل كأس و جودها[3]

تذكّرت كأسا إذ سمعت حمامة # بكت في ذرا نخل طوال جريدها

دعت ساق حرّ فاستجبت لصوتها # مولّهة لم يبق إلا شريدها[4]

فيا نفس صبرا كلّ أسباب واصل # ستنمي لها أسباب هجر تبيدها

قال أبو الحسن الأخفش:

ستنمي لها أسباب صرم تبيدها أجود.

و ليل بدت للعين نار كأنها # سنا كوكب للمستبين خمودها[5]

فقلت: عساها نار كأس و علّها # تشكّى فأمضي نحوها و أعودها[6]

فتسمع قولي قبل حتف يصيدني # تسرّ به أو قبل حتف يصيدها

كأن لم نكن يا كأس إلفى مودة # إذ الناس و الأيام ترعى عهودها

من شعره في تجواله

أخبرني عبد اللّه بن مالك النحوي، قال: حدثنا محمد بن حبيب، قال: لما ضرب صخر بن الجعد الحدّ لكأس، و صارت إلى زوجها ندم على ما فرط منه، /و استحيا من الناس للحدّ الذي ضربه، فلحق بالشام، فطالت غيبته بها، ثم عاد فمرّ بنخل كان لأهله و لأهل كأس، فباعوه، و انتقلوا إلى الشام، فمر بها صخر و رأى المبتاعين لها يصرمونها[7]، فبكى عند ذلك بكاء شديدا، و أنشأ يقول: [1]في هد، هج «زرعة» بدل «لوعة» و المعنى يستقيم على روايتها.

[2]ليالي مضاف إلى الجملة بعدها، ذات الرمس: مكان. الهيج: الريح، يقول: إن زرعة الود كانت تناهت بينهما ليالي كانت تهب الريح فيها جنوبا، و كانت السحاب تمطر فيها، و السحاب يذكر و يؤنث.

[3]عيش: معطوف على «ذات الرمس» .

[4]ساق حر: ذكر القماري، و في رواية «فاستحثت» و في الأصل «فاستحث» و في هد: «فاستجبت» و هذا هو الذي نرجحه، يريد أن الحمامة

دعت القمري فاستجبت أنا لندائها حال كونها مولهة... الخ.

[5]و ليل و اورب، و رابط جملة الخبر محذوف، تقديره بدت العين نار فيه. و في هج «لا تستبين» بدل «للمستبين» أي أنها نار لا ترى العين لها خمودا، بل هي متقدة دائما.

[6]رفع «أمضى و أعود» لضرورة الشعر، فالقياس النصب.

[7]صرم النخلة: جذها.

مررت على خيمات كأس فأسبلت # مدامع عيني و الرياح تميلها

/و في دارهم قوم سواهم فأسبلت # دموع من الأجفان فاض مسيلها

كذاك الليالي ليس فيها بسالم # صديق و لا يبقى عليها خليلها

و قال و هو بالشام:

ألا ليت شعري هل تغيّر بعدنا # عن العهد أم أمسى على حاله نجد؟

و عهدي بنجد منذ عشرين حجّة # و نحن بدنيا ثمّ لم نلقها بعد

به الخوصة الدهماء تحت ظلالها # رياض بها الحوذان و النّفل الجعد[1]

قال: و مرّ على غدير كانت كأس تشرب منه و يحضره أهلها و يجتمعون عليه، فوقف طويلا عليه يبكي و كان يقال لذلك الغدير جنان فقال صخر: بليت كما يبلى الرّداء و لا أرى # جنانا و لا أكناف ذروة تخلق[2]

ألوّى حيازيمي بهنّ صبابة # كما تتلوّى الحيّة المتشرّق[3]

تموت كأس فيرثيها

أخبرني عبد اللّه بن مالك، عن محمد بن حبيب، قال: قال السّعيديّ[4]: حدثني سبرة مولى يزيد بن العوّام، قال: /كان صخر بن الجعد المحاربي خدنا لعوّام بن عقبة، و كان عوّام يهوى امرأة من قومه، يقال لها: سوداء، فماتت، فرثاها، فلما سمع صخر بن الجعد المرثية، قال: وددت أن أعيش حتى تموت كأس، فأرثيها، فماتت كأس، فقال: على أمّ داود السلام و رحمة # من اللّه يجري كلّ يوم بشيرها

غداة غدا الغادون عنها و غودرت # بلمّاعة القيعان يستنّ مورها[5]

و غيّبت عنها يوم ذاك و ليتني # شهدت فيحوى منكبيّ سريرها[6]

و يروى: فيعلو منكبي.

[1]الخوص: ورق النخل و المقل و النار جبل و ما شاكلها، الحوذان: نبات عشبي، النفل: نبت طيب الرائحة أصفر الزهر، و في الأصل «بقل» و هو تصحيف.

[2]جنان، و ذروة: مكانان.

[3]الحيزوم: الصدر أو وسطه، الحية المتشرق: التي تحاول الدفء عند شروق الشمس.

[4]في هج: «السعدي» بدل «السعيدي» .

[5]لمّاعة القيعان: فلاة يلمع السراب أو البرق في زمانها، يستن: يسرع، المور: الغبار تطير به الرياح كل مطار.

[6]يكنى بقوله: يحوي منكبي سريرها» عن احتضانها أو حملها إلى القبر، و يؤيد المعنى الثاني رواية «فيعلو» التي أشار اليها المؤلف، و هي أجود.

نزت كبدي لما أتاني نعيّها # فقلت: أدان صدعها فمطيرها؟[1]

أمير المؤمنين يسأل عن قائل شعره

أخبرني الحرميّ بن أبي العلاء، قال: حدثني الزبير، قال: حدثني خالد بن الوضاح قال: قال عبد الأعلى بن عبيد بن محمد بن صفوان الجمحيّ لعبد اللّه بن مصعب: سألني أمير المؤمنين اليوم في موكبه: من الذي يقول: ألا يا كأس قد أفنيت شعري # فلست بقائل إلا رجيعا؟[2]

و لم أدر لمن الشعر؟فقال عبد اللّه بن مصعب: هو لصخر الخضريّ، و أنشد باقي الأبيات، و هي: /

ترجّى أن تلاقي آل كاس # كما يرجو أخو السّنة الربيعا[3]

فلست بنائم إلا بحزن # و لا مستيقظا إلا مروعا

فإنّك لو نظرت إذا التقينا # إلى كبدي رأيت بها صدوعا

من شعره حينما ندم على عدم زواجها

قال ابن حبيب في رواية عبد اللّه بن مالك: لما زوّجت كأس جزع صخر بن الجعد لما فرط منه و ندم و أسف، و قال في ذلك: هنيئا لكأس قطعها الحبل بعد ما # عقدنا لكأس موثقا لا نخونها

و إشماتها الأعداء لمّا تألّبوا # حواليّ و اشتدّت عليّ ضغونها

/فإن حراما أن أخونك ما دعا # بيليل قمريّ الحمام و جونها[4]

و قد أيقنت نفسي لقد حيل دونها # و دونك لو يأتي بيأس يقينها[5]

و لكن أبت لا تستفيق و لا ترى # عزاء و لا مجلود صبر يعينها[6]

لو انّا إذ الدّنيا لنا مطمئنة # دحا ظلّها ثم ارجحنّت غصونها[7]

[1]في رواية «برت» بدل «نزت» و في أخرى «أدام» بدل «أدان» و هي أجود، مطيرها: اسم فاعل من أطار، و النعي-بالتشديد-كالنعي-بالتخفيف.

[2]في الأصل

«فلست بنائل بالا رجيعا»

و هو تحريف

«فلست بقائل الا رجيعا»

و يعني ذلك قوله أفنيت شعري.

[3]السنة هنا: الجدب و المحل.

[4]يليل-بياءين مثناتين-اسم موضع، الجون: جمع جوناء، و هي الناقة السوداء، و المعنى: لن أخونك ما ناح الحمام، أو أرزمت الإبل بهذا المكان، و في النسخ اضطراب كثير في هذا البيت.

[5]لو هنا للتمني لا شرطية: يتمنى لو أن يقينه بالحيلولة بينه و بينها أراح قلبه باليأس منها و سلوة حبها.

[6]مجلود: من جلده على الأمر: أكرهه عليه، و إضافة «مجلود» إلى «صبر» من إضافة الموصوف إلى الصفة، أي الصبر الذي أكره نفسي عليه.

[7]دحا الظل: استرخى و امتد، ارجحنت: تمايلت. ـ

لهونا و لكنا بغرّة عيشنا # عجبنا لدنيانا فكدنا نعينها[1]

/و كنا إذا نحن التقينا و ما نرى # لعينين إلا من حجاب يصونها[2]

أخذنا بأطراف الأحاديث بيننا # و أوساطها حتى تملّ فنونها[3]

تراه كأس في النوم

قال ابن حبيب: أرسلت كأس بعد أن زوّجت إلى صخر بن الجعد تخبره أنها رأته فيما يرى النائم: كأنه يلبسها خمارا، و أنّ ذلك جدّد لها شوقا إليه و صبابة، فقال صخر: أ نائل ما رؤيا زعمت رأيتها # لنا عجب لو أنّ رؤياك تصدق

أ نائل لو لا الودّ ما كان بيننا # نضا مثل ما ينضو الخضاب فيخلق[4]

يشتري نسيئة ثم يهرب من البائع

أخبرنا حبيب بن نصر، قال: حدثنا عبد اللّه بن شبيب، قال: حدثني محمد بن عبد اللّه البكري، قال: قدم صخر بن الجعد الخضريّ المدينة، فأتى تاجرا من تجارها، يقال له سيّار فابتاع منه برّا و عطرا، و قال: تأتينا غدوة فأقضيك، و ركب من تحت ليلته، فخرج إلى البادية، فلما أصبح سيّار سأل عنه؛ فعرف خبره، فركب في جماعة من أصحابه في طلبه، حتى أتوا بئر مطّلب، و هي على سبعة أميال من المدينة، و قد جهدوا من الحرّ، فنزلوا عليها، فأكلوا تمرا كان معهم، و أراحوا دوابّهم و سقوها، حتى إذا برد النهار انصرفوا راجعين، و بلغ الخبر صخر بن الجعد، فقال: أهون عليّ بسيّار و صفوته # إذا جعلت صرارا دون سيّار[5]

/إنّ القضاء سيأتي دونه زمن # فاطو الصّحيفة و احفظها من العار[6]

يسائل الناس هل أحسستم جلبا # محاربيّا أتى من نحو أظفار[7]

و ما جلبت إليهم غير راحلة # و غير رحل و سيف جفنة عار

[1]لهونا: خبر لوانا في البيت السابق، عجبنا لدنيانا: أنكرناها: يقول: ليتنا نعمنا بالحياة، و هي مواتية، و لكننا تنكرنا لها، فكدنا نعينها على إساءتها لنا.

[2]جواب إذا في البيت التالي، و يريد بقوله:

«و ما نرى...

الخ» أنهما كانا مستترين عن العيون، فلا تقع عليهما إلا من وراء حجاب.

[3]في هد، هج:

«حتى ترق فنونها»

.

[4]بيننا: فراقنا، نضا: نصل، يخلق: يبلى، يقول: إن الفراق يؤثر في الود، و لكن و دنا متين، و لو لا متانته ما و هي أثر الفراق، كما يبلى الخضاب و ينصل.

[5]صرار: موضع قرب المدينة، يقول: ما ذا عساه يفعل هو و عترته إذا تجاوزت المدينة، و كان بيني و بينه هذا الموضع.

[6]يريد بالقضاء قضاء الدين، و بالعار فشل سيار في إدراكه.

[7]فاعل يسائل ضمير سيار، الجلب: ما جلب من متاع و شاء و إبل و نحو ذلك، محاربيا: منسوبا إلى محارب: يعني نفسه، أظفار: طائفة من الكواكب، و قوله:

«أتى من نحو أظفار»

كلام مسوق مساق التهكم، و في الأصل «احثثتم» بدل «أحسستمو» و هو تحريف، و المثبت من هد، هج.

و ما أريت لهم إلا لأدفعهم # عني و يخرجني نقضي و إمراري[1]

حتى استغاثوا بأروى بئر مطّلب # و قد تحرّق منهم كلّ تمّار[2]

و قال أوّلهم نصحا لآخرهم: # ألا ارجعوا و اتركوا الأعراب في النار

جاريته تخدعه

أخبرني عبد اللّه بن مالك، عن محمد بن حبيب، قال: حدثنا ابن الأعرابي، قال: كان الجعد المحاربيّ أبو صخر بن الجعد قد عمّر حتى خرف، و كان يكنى أبا الصّموت؛ و كانت له وليدة[3] يقال لها سمحاء، فقالت له يوما: يا أبا الصّموت، زعم بنوك أنك إن متّ قتلوني، قال: و لم؟قالت: مالي إليهم ذنب غير حبّي لك، فأعتقها على أن تكون معه، فمكثت يسيرا، ثم قالت له: يا أبا الصّموت، هذا عرابة من أهل المعدن يخطبني، قال: أين هذا مما قلت لي؟قالت: إنّه ذو مال، و إنما أردت ماله لك، /قال: فأتني[4]به، فأتته فزوّجه إياها، فولدت له أولادا، و قوّته بما كانت تصيبه من الجعد، و كانت/تأتي الجعد في أيّام، فتخضب رأسه، ثم قطعته، فأنشأ الجعد يقول: أمسى عرابة ذا مال و ذا ولد # من مال جعد و جعد غير محمود

تظل تنشقه الكافور متكئا # على السرير و تعطيني على العود

من قوله لامرأته

قال و الجعد هو القائل لامرأته:

تعالجني أمّ الصّموت كأنما # تداوي حصانا أوهن العظم كاسره[5]

فلا تعجبي أمّ الصّموت فإنّه # لكل جواد معثر هو عاثره

و قد كنت أصطاد الظباء موطّئا # و أضرب رأس القرن و الرمح شاجره[6]

فأصبحت مثل العشّ طارت فراخه # و غودر في رأس الهشيمة سائره[7]

اولاده يرثونه حيّا

فلما كبر حمله بنوه، فأتوا به مكة، و قالوا له: تعبّد هاهنا، ثم اقتسموا المال، و تركوا له منه ما يصلحه، فقال: [1]ضمير «لهم» يعود على الناس، الإمرار: فتل الحبل و نحوه، النقض: ضد الفتل، و يريد بالنقض و الإمرار: المراوغة و الخداع، يريد أنني كنت أظهر نفسي للناس، ثم أغير الطرق، لأضلل المقتفين أثرى، و في هد: «و ما أريتهمو»

بدل

«و ما أريت لهم»

.

[2]الأروى: إناث الوعول، و بئر مطلب: المكان الذي نزل فيه سيار و رفقته، و الكلام مسوق مساق التهكم، أي أنهم نزلوا بئر مطلب، و أكلوا فيه التمر، و جعلوا يسألون الوعول عنه، و قد تحرق من الغيظ كل آكل تمر منهم.

[3]وليدة: جارية.

[4] «فأتتني» كذا بالأصل، و القياس «فأتيني» بإثبات ياء المؤنثة.

[5]الهاء من كاسره تعود على الحصان لا على العظم.

[6]موطئا: منحدرا، شاجره: داخل فيه مشتبك به.

[7]الهشيمة: الشجرة البالية، سائرة: باقية.

ألا أبلغ بني جعد رسولا # و إن حالت جبال الغور دوني

فلم أر معشرا تركوا أباهم # من الآفاق حيث تركتموني

فإني و الرّوافض حول جمع # و محطمهنّ من حصبا الحجون[1]

/لو أني ذو مدافعة و حولي # كما قد كنت أحيانا كموني[2]

إذا لمنعتكم مالي و نفسي # بنصل السّيف أو لقتلتموني

يعيا و عبده حاضر البديهة

و أخبرني الحرمي بن أبي العلاء، قال: حدثنا الزبير بن بكار، قال: حدثنا محمد بن عبد اللّه بن عثمان البكريّ، عن عروة بن زيد[3]الخضري، عن أبيه، قال: كنت في ركب فيهم صخر بن الجعد، و درن مولى الخضريين معنا، و نحن نريد خيبر، فنزلنا منزلا تعشّينا فيه، فهيّجنا إبل صخر، فلما ركبنا ساق بنا و اندفع يرجز[4]، و يقول: لقد بعثت حاديا قراصفا[5]

فردّده قطعا من الليل لا ينفده[6]، و لا يقول غيره، ثم قال لنا: إني نسيت عقالا، فرجع يطلبه في المتعشّى، و نزل درن يسوق بالقوم، فارتجز درن ببيت صخر، و قال: لقد بعثت حاديا قراصفا # من منزل رحلت عنه آنفا

يسوق خوصا رجّفا حواجفا # مثل القسيّ تقذف المقاذفا[7]

/حتى ترى الربّاعي العتارفا # من شدة السير يزجّى واجفا[8]

[1]في هد، هج «الرواقص» بدل «الروافض» و يريد بها الإبل التي تحمل الحجيج، و الواو: واو القسم، جمع: علم على المزدلفة، محطمهن: من الحطم بمعنى الازدحام، الحجون: جبل بمعلاة مكة، يقسم بجموع الحجيج المزدحمة في المزدلفة و في حصباء الحجون، و تتمة الكلام في البيتين التاليين.

[2]الحول: القوة، كموني: بدل من التاء في «كنت» و المراد كمونه لعدوه، كي يأخذه على غرة: يقسم أنه لو بقيت له قوته و حيله في مداورة أعدائه ما استطاع أبناؤه أن يؤذوه في نفسه و ماله، و لو هلك في سبيل الدفاع عنهما.

[3]في هج: «عن محمد بن يزيد» بدل «عن عروة بن زيد» .

[4]يرجز: ينشد شعرا من الرجز.

[5]قراصفا: مسرعا.

[6]في بعض النسخ: «شطرا من الليل» بدل «قطعا من الليل» . ضمير ينفده يعود على البيت

«لقد بعثت حاديا قراصفا»

و هو من مشطور الرجز، و يريد بقوله «لا ينفده» : لا يجعله ينفذ: و ينتهي لكثرة ترداده.

[7]خوصا: جمع خوصاء، و هي الناقة و نحوها غارت عينها، رجفا: مهتزة، و في هد، هج «حراجفا» بدل «حواجفا» و ليس لكليهما من المعنى ما يناسب المقام، فلعلها محرفة عن «خرانف» بمعنى الإبل الغزيرة، أو «خذارف» بمعنى القطيع من الإبل.

[8]الرباعي: من ربعت الإبل: سرحت في المرعى، العتارف: لعله من العترفة، و هي في الجمل بمعنى الشدة و القوة، و الذي في المعاجم «عتريف» و «عتروف» يزجى: يساق، واجفا: مسرعا، يقول: و هذا الرجز من التفاهة بحيث لا يستحق أن يغضب من أجله صخر على غلامه.

قال: فأدركه صخر، و هو في ذلك، فقال له: يا بن الخبيثة أ تجترئ على أن تنفذ بيتا أعياني؟فقاتله، فضربه، حتى نزلنا، ففرقنا بينهما.

صوت

إذا سرّها أمر و فيه مساءتي # قضيت لها فيما تحبّ على نفسي[1]

و ما مرّ يوم أرتجي منه راحة # فأذكره إلا بكيت على أمسي

الشعر لأبي حفص الشّطرنجيّ، و الغناء لإبراهيم ثقيل أول بالوسطى عن عمرو.

[1]في هد، هج «تريد» بدل «تحب» .

3-أخبار أبي حفص الشطرنجي و نسبه

نشأته

أبو حفص: عمر بن عبد العزيز، مولى بني العباس، و كان أبوه من موالي المنصور فيما يقال، و كان اسمه اسما أعجميّا، فلما نشأ أبو حفص و تأدب، غيّره و سمّاه عبد العزيز.

أخبرني/بذلك عمّي، عن أحمد بن الطّيب، عن جماعة من موالي المهدي.

و نشأ أبو حفص في دار المهديّ و مع أولاد مواليه، و كان كأحدهم، و تأدّب، و كان لاعبا بالشّطرنج مشغوفا به، فلقّب به لغلبته عليه.

انقطاعه إلى علية بنت المهدي

فلما مات المهدي انقطع إلى علية، و خرج معها لما زوجت، و عاد معها لما عادت إلى القصر، و كان يقول لها الأشعار فيما تريده من الأمور بينها و بين إخوتها و بني أخيها من الخلفاء، فتنتحل[1]بعض ذلك، و تترك بعضه، و مما ينسب إليها من شعره و لها فيه غناء، و قد ذكرنا ذلك في أغانيها و أخبارها:

تحبّب فإن الحبّ داعية الحب

و هو صوت مشهور لها.

يخلعون عليه أحب الأوصاف

حدثني الحسن بن علي الخفاف، قال: حدثني أحمد بن الطيب السّرخسي قال: حدثني الكنديّ، عن محمد ابن الجهم البرمكيّ، قال:

رأيت أبا حفص الشّطرنجيّ الشاعر، فرأيت منه إنسانا يلهيك حضوره عن كل غائب و تسليك مجالسته عن هموم المصائب، قربه عرس، و حديثه أنس، جدّه لعب، و لعبه/جد، ديّن ماجد[2]، إن لبسته على ظاهره لبست مموقا لا تملّه، و إن تتبّعته لتستبطن خبرته وقفت على مروّة[3]لا تطير الفواحش بجنباتها، و كان فيما علمته أقل ما فيه الشعر، و هو الذي يقول:

[1]تنتحله: تنسبه إلى نفسها.

[2]في هد، هج «دين ماجن» .

[3]في هد، هج «مروة» كما أثبتناها، و في الأصل كتبت هكذا «مرواة» مضبوطة بكسر الميم و سكون الراء، و لم نجد لها معنى، و «مروة» : تخفيف «مروءة» .

صوت

تحبّب فإن الحبّ داعية الحبّ # و كم من بعيد الدار مستوجب القرب[1]

إذا لم يكن في الحب عتب و لا رضا # فأين حلاوات الرسائل و الكتب؟

تفكّر فإن حدّثت أنّ أخا هوى # نجا سالما فارج النّجاة من الكرب[2]

و أطيب أيام الهوى يومك الذي # تروّع بالتّحريش فيه و بالعتب[3]

قال: و في هذه الأبيات غناء لعليّة بنت المهديّ، و كانت تأمره أن يقول الشعر في المعاني التي تريدها، فيقولها، و تغني فيها.

قال: و أنشدني لأبي حفص أيضا.

صوت

عرّضن للذي تحبّ بحبّ # ثم دعه يروضه إبليس

فلعلّ الزّمان يدنيك منه # إن هذا الهوى جليل نفيس

/صابر الحبّ لا يصرّفك فيه # من حبيب تجهّم و عبوس[4]

و أقلّ اللّجاج و اصبر على الجهـ # د فإن الهوى نعيم و بوس

في هذه الأبيات للمسدود هزج ذكره لي جحظة و غيره عنه.

و أما قوله:

تحبّب فإن الحبّ داعية الحبّ

فقد مضت نسبته في أخبار عليّة.

مساجلة بينه و بين الرشيد على لسان ماردة

أخبرني الحسن بن علي، قال: حدثنا عبد اللّه بن أبي سعد، قال: حدثني محمد بن عبد اللّه بن مالك، و أخبرني به محمد بن خلف بن المرزبان، قال: حدثني أبو العباس الكاتب قال: كان الرشيد يحبّ ماردة جاريته، و كان خلّفها بالرّقّة، فلما قدم إلى المدينة السلام اشتاقها، فكتب إليها: [1]في هج:

«فإن القرب داعية الحب»

.

[2]هكذا ورد في هد، و في الأصل: فارج النجاة من الحب.

[3]التحريش: الحك و الدلك يمشط و نحوه، و قد استعير هنا لما يحدث بين المحبين من تجن و دلال و ملاحاة.

[4]في هج: «لا يغرنك» بدل «لا يصرفك» ، و في المختار: «تجشم» بدل «تجهم» و يريد الشاعر بهذا البيت ما أراده بشار بقوله: لا يؤنسنك من مخدرة # قول تغلظه و إن جرحا

عسر النساء إلى مياسرة # و الصعب يمكن بعد ما جمحا

صوت

سلام على النازح المغترب # تحية صبّ به مكتئب

غزال مراتعه بالبليخ # إلى دير زكّي فقصر الخشب

/أيا من أعان على نفسه # بتخليفه طائعا من أحب[1]

سأستر و السّتر من شيمتي # هوى من أحبّ بمن لا أحب[2]

/فلما ورد كتابه عليها أمرت أبا حفص الشّطرنجيّ صاحب عليّة، فأجاب الرشيد عنها بهذه الأبيات، فقال: أتاني كتابك يا سيدي # و فيه العجائب كلّ العجب

أ تزعم أنّك لي عاشق # و أنك بي مستهام و صبّ

فلو كان هذا كذا لم تكن # لتتركني نهزة للكرب

و أنت ببغداد ترعى بها # نبات اللّذاذة مع من تحبّ

فيا من جفاني و لم أجفه # و يا من شجاني بما في الكتب

كتابك قد زادني صبوة # و أسعر قلبي بحرّ اللّهب

فهبني نعم قد كتمت الهوى # فكيف بكتمان دمع سرب

و لو لا اتقاؤك يا سيدي # لوافتك بي النّاجيات النّجب[3]

فلما قرأ الرشيد كتابها أنفذ من وقته خادما على البريد، حتى حدرها[4]إلى بغداد في الفرات، و أمر المغنين جميعا، فغنّوا في شعره.

قال الأصبهاني: فممّن غنّى فيه إبراهيم الموصلي؛ غنى فيه لحنين، أحدهما ما خوريّ، و الآخر ثاني ثقيل عن الهشامي. و غنى يحيى بن سعد[5]بن بكر بن صغير العين فيه رملا. و لابن جامع فيه رمل بالبنصر، و لفليح بن العوراء ثاني ثقيل بالوسطى، و للمعلي خفيف رمل بالوسطى، و لحسين بن محرز هزج بالوسطى، و لأبي زكار الأعمى هزج بالبنصر، هذه الحكايات كلها عن الهشامي، و قال: كان المختار من هذه الألحان كلها عند الرشيد الذي اشتهاه منها و ارتضاه لحن سليم.

يصلح بين الرشيد و عليّة بأبياته

أخبرني جعفر بن قدامة بن زياد الكاتب، قال:

حدثني محمد بن يزيد النحوي، قال: حدثني جماعة من كتّاب السلطان:

[1]من في المصراع الثاني مفعول تخليف، و يريد بإعانتها على نفسها أنها

تسببت في هجر الخليفة إياها.

[2]يريد أنه سيتظاهر بحب من لا يحب ليستر حبها هي في نفسه على حد قول الشاعر: أصافح من لاقيت في البيت غيرها # و كل هوى نفسي لمن لا أصافح

[3]الناجيات النجب: الإبل الأصيلة السريعة.

[4]حدر الشيء: دحرجه من علو إلى أسفل، و المراد هنا أنه استقدمها من الرقة.

[5]في هد، هج: «يحيى بن صفر» .

أن الرشيد غضب على عليّة بنت المهدي، فأمرت أبا حفص الشّطرنجيّ شاعرها أن يقول شعرا يعتذر فيه عنها إلى الرشيد، و يسأله الرضا عنها، فيستعطفه لها فقال:

صوت

لو كان يمنع حسن العقل صاحبه # من أن يكون له ذنب إلى أحد

كانت عليّة أبرا الناس كلّهم # من أن تكافا بسوء آخر الابد[1]

ما لي إذا غبت لم أذكر بواحدة # و إن سقمت فطال السّقم لم أعد[2]

ما أعجب الشيء ترجوه فتحرمه # قد كنت أحسب أنّي قد ملأت يدي[3]

فأتاها بالأبيات، فاستحسنتها، و غنت فيها، و ألقت الغناء على جماعة من جواري الرشيد، فغنّينه إيّاه في أول مجلس جلس فيه معهن، فطرب طربا شديدا، و سألهن عن القصة، فأخبرنه بها، فبعث إليها، فحضرت، فقبّل رأسها، و اعتذرت، فقبل عذرها، و سألها إعادة الصوت، فأعادته عليه، فبكى، و قال: لا جرم أني لا أغضب أبدا عليك ما عشت.

بيتان في دنانير بمائتي دينار

حدثني محمد بن يحيى الصولي، قال: حدثنا الحسين بن يحيى، عن عمرو بن بانة، قال: دخل أبو حفص الشّطرنجيّ على يحيى بن خالد، و عنده ابن جامع، و هو يلقي على/دنانير صوتا أمره يحيى بإلقائه عليها، و قال لأبي حفص: قل في دنانير بيتين يغنيّ فيهما ابن جامع، و لك بكل بيت مائة دينار[4]إن جاءت كما أريد، فقال أبو حفص:

صوت

أشبهك المسك و أشبهته # قائمة في لونه قاعدة

لا شكّ إذ لونكما واحد # أنكما من طينة واحدة

قال: فأمر له يحيى بمائة دينار، و غنى فيهما ابن جامع.

قال الأصبهاني: لحن ابن جامع في هذين البيتين هزج.

صديق حميم لأسرة الخليفة

أخبرني جعفر بن قدامة، قال: حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه قال: كان أبو حفص الشّطرنجيّ ينادم أبا عيسى بن الرشيد، و يقول له الشعر،

فينتحله، و يفعل مثل ذلك بأخيه [1]أبرا: كذا في هد، و هج و المختار من البراءة، و في النسخ: أربي. تكافا: من المكافأة و بالتخفيف أيضا.

[2]هذا البيت منقول من هد و المختار و ساقط من الأصل، و قولها: «بواحدة» تعني بواحدة من الذكريات.

[3]تريد بملء اليد الثقة بمودة الرشيد.

[4]في هج: «و لك بكل بيت ديناران» .

صالح و أخته، و كذلك بعليّة عمتهم، و كان بنو الرشيد جميعا يزورونه و يأنسون به، فمرض، فعادوه جميعا سوى أبي عيسى فكتب إليه:

يعاتب ابن الرشيد لأنه لم يعده في مرضه

إخاء أبي عيسى إخاء ابن ضرّة # و ودّي ودّ لابن أمّ و والد[1]

أ لم يأته أنّ التأدّب نسبة # تلاصق أهواء الرجال الأباعد

فما باله مستعذبا من جفائنا # موارد لم تعذب لنا من موارد

أقمت ثلاثا حلف حمى مضرّة # فلم أره في أهل ودّي و عائدي

سلام هي الدنيا قروض و إنما # أخوك مديم الوصل عند الشدائد

بيتان ليسا له

حدثني جعفر بن الحسين، قال: حدثني ميمون بن هارون، قال: حدثنا أبي عن أبي حفص الشّطرنجيّ: قال: قال لي الرشيد يوما: يا حبيبي، لقد أحسنت ما شئت في بيتين قلتهما، قلت: ما هما يا سيدي؟فمن شرفهما استحسانك لهما، فقال: قولك:

صوت

لم ألق ذا شجن يبوح بحبّه # إلا حسبتك ذلك المحبوبا

حذرا عليك و إنني بك واثق # ألاّ ينال سواي منك نصيبا

فقلت: يا أمير المؤمنين، ليسا لي، هما للعباس بن الأحنف، فقال: صدقك و اللّه أعجب إليّ، و أحسن منهما بيتاك حيث تقول: إذا سرّها أمر و فيه مساءتي # قضيت لها فيما تريد على نفسي

و ما مرّ يوم أرتجي فيه راحة # فأذكره إلا بكيت على أمسي

في البيتين الأولين اللذين للعباس بن الأحنف ثقيل لإبراهيم الموصلي، و فيهما لابن جامع رمل عن الهشامي، الروايتان جميعا لعبد الرحمن، و في أبيات أبي حفص الأخيرة لحن من كتاب إبراهيم غير مجنّس.

ينعي نفسه قبل أن يموت

أخبرني محمد بن يحيى الصولي، قال: حدثني الحسين بن يحيى، قال: حدثني عبد اللّه بن الفضل، قال: دخلت على أبي حفص الشّطرنجي شاعر عليّة بنت المهديّ أعوده في علّته التي مات فيها، قال: فجلست عنده فأنشدني لنفسه: [1]في هج:

«و ودي له ود ابن أم و والد»

، و كلتا الروايتين سليمتان.

صوت

نعى لك ظلّ الشّباب المشيب # و نادتك باسم سواك الخطوب[1]

فكن مستعدّا لداعي الفناء # فإن الذي هو آت قريب

/ألسنا نرى شهوات النفو # س تفنى و تبقى عليها الذنوب

و قبلك داوى المريض الطبيب # فعاش المريض و مات الطبيب

يخاف على نفسه من يتوب # فكيف ترى حال من لا يتوب؟

غنى في الأول و الثاني إبراهيم هزجا.

انقضت أخباره.

صوت

أبى ليلي أن يذهب # و نيط الطرف بالكوكب

و نجم دونه التّسرا # ن بين الدّلو و العقرب[2]

و هذا الصّبح لا يأتي # و لا يدنو و لا يقرب

الشعر لأميمة بنت عبد شمس بن عبد مناف، و الغناء لإسحاق هزج بالوسطى.

تسرق لحن إسحاق و هو سكران

أخبرنا محمد بن يحيى و محمد بن جعفر النحوي، قالا: حدثنا محمد بن حماد، قال: التقيت مع دمن جارية إسحاق بن إبراهيم الموصلي يوما، فقلت لها: أسمعيني شيئا أخذته من إسحاق، فقالت: و اللّه ما أحد من جواريه أخذ منه صوتا قط[3]و لا ألقي علينا شيئا قط[3]و إنما كان يأمر من أخذ منه من الرجال مثل مخارق و علّويه و وجه القرعة الخزاعيّ و جواري الحارث بن بُسخُنَّر أن يلقوا علينا ما يختارون[4]من أغانيهم، و أما عنه فما أخذت شيئا قط إلا ليلة، فإنه انصرف من عند المعتصم، و هو سكران، فقال للخادم القيّم على حرمه: جئني بدمن، فجاءني الخادم، فدعاني، فخرجت معه، فإذا هو في البيت الذي ينام فيه، و هو يصنع في هذا الشعر: أبى ليلي أن يذهب # و نيط الطّرف بالكوكب

و هو يتزايد فيه، و يقومه، حتى استوى له، ثم قام إلى عود مصلح معلّق كان يكون في بيت منامه، فأخذه، فغنى الصوت، حتى صحّ له، و

استقام عليه، و أخذته عنه، فلما/فرغ منه قال: أين دمن؟فقلت: هو ذا[5]أنا [1]يريد بمناداة الخطوب إياه باسم سواه أن موت لداته نذير موته.

[2]النسران: مجموعتان من النجوم تقعان في النصف الشمالي من القبة السماوية، و الدلو و العقرب: برجان من بروج السماء.

(3-3) ما بين القوسين تكملة من هد.

[4]في هد، هج «ما يختاره» .

[5]كذا في النسخ، و القياس «هي ذي أنا» بدل «هو ذا أنا» و ربما صح أن يكون: هو ضمير الشان.

هاهنا، فارتاع، و قال: مذ كم أنت هاهنا؟قلت: مذ بدأت بالصوت و قد أخذته بغير حمدك، فقال: خذي العود، فغنيه، فأخذته، فغنيته، حتى فرغت منه، و هو يكاد أن يتميّز غيظا، ثم قال: قد بقي عليك فيه شيء كثير، و أنا أصلحه لك، فقلت: أنا مستغنية عن إصلاحك، فأصلحه لنفسك، فاضطجع في فراشه و نام، و انصرفت، فمكث أياما إذا رآني قطّب[1]وجهه.

و هذا الشعر تقوله أميمة بنت عبد شمس بن عبد مناف ترثي به من قتل في حروب الفجار[2]من قريش.

[1]في هد، هج: «قطب في وجهي» بدل «قطب وجهه» و ظاهر أن سبب هذا التقطيب أخذها اللحن عنه دون أن يشعر.

[2]الفجار-بكسر الفاء-جمع فجوة، و إنما سميت بذلك لأنها كانت في الأشهر الحرم، و لأن قيسا لما انهزمت فيها قالت: «قد فجرنا» .

4-ذكر الخبر في حروب الفجار و حروب عكاظ و نسب أميمة بنت عبد شمس

نسب أميمة

أميمة بنت عبد شمس بن عبد مناف، و أمها تفخر[1]بنت عبيد بن رواس بن كلاب، و كانت عند حارثة بن الأوقص[2]بن مرة بن هلال بن فالح بن ذكوان السلمى، فولدت له أمية بن حارثة.

و كانت هذه الحرب بين قريش و قيس عيلان في أربعة أعوام متواليات، و لم يكن لقريش في أولها مدخل، ثم التحقت بها.

فأما الفجار الأول فكانت الحرب فيه ثلاثة أيام، و لم تسمّ باسم لشهرتها[3].

و أما الفجار الثاني فإنه كان أعظمهما؛ لأنهم استحلوا/فيه الحرم، و كانت أيامه يوم نخلة، و هو الذي لم يشهده رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم منها، و شهد سائرها، و كان الرؤساء فيه حرب بن أمية في القلب، و عبد اللّه بن جدعان، و هشام بن المغيرة في المجنبتين ثم يوم شمطة[4]، ثم يوم العبلاء، ثم يوم عكاظ، ثم يوم الحرة.

الشرارة الأولى في حرب الفجار

قال أبو عبيدة: كان أول أمر الفجار أنّ بدر بن معشر الغفاري أحد بني غفار بن مالك بن ضمرة بن بكر بن عبد مناف بن كنانة كان رجلا منيعا مستطيلا بمنعته على من ورد عكاظ، فاتخذ مجلسا بسوق عكاظ، و قعد فيه و جعل يبذخ[5]على الناس و يقول: نحن بنو مدركة بن خندف # من يطعنوا في عينه لا يطرف[6]

/و من يكونوا قومه يغطرف # كأنهم لجّة بحر مسدف[7]

و بدر بن معشر باسط رجليه يقول: أنا أعزّ العرب، فمن زعم أنه أعزّ مني فليضرب هذه[8]بالسيف، فهو أعز مني، [1]في هد، هج: «هجر» بدل «تفخر» .

[2]في هج: «الأرقم» بدل «الأرقص» .

[3]في الأصل «تشهر بها» و هو تحريف «لشهرتها» و المثبت من هج.

[4]في هد: «سبطة» ، و في هج «سخطة» بدل «شمطة» .

[5]يبذخ: يفخر، و يغالي في فخره، و في ب «يبرح» و في هد «يبزخ» و كلاهما تحريف.

[6]لا يطرف: من طرف البصر: تحرك جفناه.

[7]يغطرف: من الغطرفة بمعنى التيه و الخيلاء، مسدف: من الإسداف بمعنى الظلام، و ذلك كناية عن كثرة الامواج.

[8]هذه: إشارة إلى رجليه، و العرب كثيرا ما تعيد الضمير على المثنى مفردا في مثل يدين و عينين و رجلين.

فوثب رجل من بني نصر بن معاوية، يقال له الأحمر[1]بن مازن بن أوس بن النابغة، فضربه بالسيف على ركبته، فأندرها[2]، ثم قال: خذها إليك أيها المخندف، و هو ماسك[3]سيفه، و قام أيضا رجل من هوازن، فقال: أنا ابن همدان ذوي التّغطرف # بحر بحور زاخر لم ينزف[4]

نحن ضربنا ركبة المخندف # إذ مدّها في أشهر المعرّف[5]

و في هذه الضربة أشعار لقيس كثيرة لا معنى لذكرها.

اليوم الثاني من أيام الفجار الأول

ثم كان اليوم الثاني من أيام الفجار الأول، و كان السبب في ذلك أن شبابا من قريش و بني كنانة كانوا ذوي غرام، فرأوا امرأة من بني عامر جميلة و سيمة، و هي جالسة بسوق عكاظ في درع و هي فضل[6]عليها برقع لها، و قد اكتنفها شباب من العرب، و هي تحدثهم، فجاء الشباب من بني كنانة و قريش، فأطافوا بها، و سألوها أن تسفر، فأبت، فقام أحدهم، فجلس خلفها، و حل طرف ردائها[7]، و شدّه إلى فوق/حجزتها[8]بشوكة، و هي لا تعلم، فلما قامت انكشف درعها عن دبرها، فضحكوا، و قالوا: منعتنا النظر إلى وجهك، وجدت لنا بالنظر إلى دبرك، فنادت: يا آل عامر!فثاروا، و حملوا السلاح، و حملته كنانة، و اقتتلوا قتالا شديدا، و وقعت بينهم دماء، فتوسط حرب بن أمية، و احتمل دماء القوم، و أرضى بني عامر من مثلة[9]صاحبتهم.

اليوم الثالث من أيام الفجار الأول

ثم كان اليوم الثالث من الفجار الأول، و كان سببه أنّه كان لرجل من بني جشم بن بكر بن هوازن دين على رجل من بني كنانة فلواه[10]به، و طال اقتضاؤه إياه، فلم يعطه شيئا، فلما أعياه، وافاه الجشمي في سوق عكاظ بقرد، ثم جعل ينادي: من يبيعني مثل هذا الرّبّاح[11]بما لي على فلان بن فلان الكناني؟من يعطيني مثل هذا بما لي على فلان بن فلان الكناني؟رافعا صوته بذلك، فلما طال نداؤه بذلك و تعبيره به كنانة مرّ به رجل منهم، فضرب القرد بسيفه، فقتله، فهتف به الجشميّ: يا آل هوازن، و هتف الكنانيّ: يا آل كنانة، فتجمع الحيان فاقتتلوا، حتى تحاجزوا، و لم يكن بينهم قتلى، ثم كفوا، و قالوا: أ في ربّاح تريقون دماءكم، و تقتلون أنفسكم؟ و حمل ابن جدعان ذلك في ماله بين الفريقين.

[1]في بعض النسخ: «الأحيمر» بالتصغير بدل الأحمر.

[2]أندرها: أسقطها، و فصلها.

[3]كذا في النسخ، و المسموع ممسك سيفه، أو ماسك بسيفه.

[4]الشعر من الرجز-و في هد، هج

«أنا أبو الدهقان ذو التغطرف»

و لا يستقيم الوزن، و التغطرف: التيه و الخيلاء، لم ينزف: لم ينضب ماؤه.

[5]في أشهر المعرف: في أشهر الوقوف بعرفات.

[6]فضل: يقال: امرأة فضل-بضمتين-أي مختالة تسبل من فضل ردائها.

[7]في هد، هج: «طرف درعها» .

[8]الحجزة: معقد تكة السراويل، و في هج: «فوق عجزها» بدل «فوق حجزتها» .

[9]من مثلة صاحبتهم: من تنكيلهم و تمثيلهم بها.

[10]لواه: ماطله.

[11]الرباح: الذكر من القرود.

اليوم الأول من أيام الفجار الثاني

قال: ثم كان يوم الفجار الثاني، و أول يوم حروبه يوم نخلة، و بينه و بين مبعث النبي صلّى اللّه عليه و سلّم ست /و عشرون سنة، و شهد النبي صلّى اللّه عليه و سلّم ذلك اليوم مع قومه، و له أربع عشرة سنة، و كان يناول عمومته النّبل، هذا قول أبي عبيدة. و قال غيره: بل شهدها، و هو ابن ثمان و عشرين سنة.

قال أبو عبيدة: كان الذي هاج هذه الحرب يوم الفجار الآخر، أن البراض بن قيس بن رافع، أحد بني ضمرة ابن بكر بن عبد مناة بن كنانة كان سكّيرا فاسقا، خلعه/قومه، و تبرءوا منه فشرب في بني الدّيل، فخلعوه، فأتى مكة، و أتى قريشا، فنزل على حرب بن أمية، فحالفه فأحسن حرب جواره، و شرب بمكة، حتى همّ حرب أن يخلعه، فقال لحرب: إنه لم يبق أحد، ممن يعرفني إلاّ خلعني سواك، و إنك إن خلعتني لم ينظر إليّ أحد بعدك، فدعني على حلفك، و أنا خارج عنك، فتركه. و خرج، فلحق بالنعمان بن المنذر بالحيرة.

من يجيز لطيمة النعمان

و كان النعمان يبعث إلى سوق عكاظ في وقتها بلطيمة[1]يجيزها له سيّد مضر، فتباع، و يشترى له بثمنها الأدم و الحرير و الوكاء و الحذاء و البرود من العصب[2]و الوشي و المسيّر[3]و العدني[4]، و كانت سوق عكاظ في أول ذي القعدة، فلا تزال قائمة يباع فيها و يشترى إلى حضور الحج، و كان قيامها فيما بين النخلة[5]و الطائف عشرة أميال، و بها نخل و أموال لثقيف، فجهز النعمان لطيمة له، و قال: من يجيزها فقال البرّاض: أنا أجيزها على بني كنانة، فقال النعمان: إنما أريد رجلا يجيزها على أهل نجد، فقال عروة الرحال[6]بن عتبة بن جعفر بن كلاب، و هو يومئذ رجل من هوازن: أنا أجيزها-أبيت اللعن-فقال له البراض: من[7]بني كنانة تجيزها يا عرورة؟قال: نعم، و على الناس جميعا أ فكلب خليع يجيزها[8]!.

قال: ثم شخص بها، و شخص البرّاض، و عروة يرى مكانه، لا يخشاه على ما صنع، حتى إذا كان بين ظهري غطفان إلى جانب فدك، بأرض يقال لها أوارة قريب من/الوادي الذي يقال له تيمن نام عروة في ظلّ شجرة، و وجد البرّاض غفلته، فقتله و هرب في عضاريط[9]الركاب، فاستاق الركاب، و قال البراض في ذلك: و داهية يهال الناس منها # شددت لها بني بكر ضلوعي[10]

[1]اللطيمة: عير تحمل المسك و البز و غيرهما للتجارة.

[2]كذا في النسخ، و لعل «العصب» تحريف «القصب» بالقاف لا بالعين، و هو ثياب رقيقة منسوجة من الكتان.

[3]المسير: ثوب به خطوط من القز و الحرير و نحو ذلك.

[4]العدني، لعله نوع من عروض التجارة ينسب إلى عدن.

[5]في هد، هج: «نخلة» بدون أداة التعريف.

[6]في هج: «عروة الرجال» بالجيم لا بالحاء.

[7]في هد، هج: «و على بني كنانة تجيزها يا عروة؟» .

[8]يقصد بالكلب البراض نفسه.

[9]العضاريط: جمع عضروط، و هو الخادم أو الأجير.

[10]بني بكر: منادى، ضلوعي: مفعول «شددت» ، و قد يصح اعتبار بني بكر مفعول «شددت» و عليه تكون «ضلوعي» بدلا من بني بكر، بمعنى أنصاري و أعواني.

هتكت بها بيوت بني كلاب # و أرضعت الموالي بالضروع[1]

جمعت لها يديّ بنصل سيف # أفل فخرّ كالجذع الصّريع[2]

و قال أيضا في ذلك:

نقمت على المرء الكلابيّ فخره # و كنت قديما لا أقرّ فخارا

علوت بحدّ السيف مفرق رأسه # فأسمع أهل الواديين خوارا

قال: و أمّ عروة الرحّال نفيرة بنت أبي ربيعة بن نهيك بن هلال بن عامر بن صعصعة، فقال لبيد بن ربيعة يحض على الطلب بدمه: فأبلغ إن عرضت بني نمير # و أخوال القتيل بني هلال

بأنّ الوافد الرحّال أضحى # مقيما عند تيمن ذي الظّلال[3]

قال أبو عبيدة: فحدثني أبو عمرو بن العلاء، قال: لقي البرّاض بشر بن أبي خازم، فقال له: هذه القلائص لك على أن تأتي حرب بن أمية و عبد اللّه بن جدعان و هشاما و الوليد ابني المغيرة، فتخبرهم أن البرّاض قتل عروة، فإني أخاف أن يسبق الخبر إلى/قيس أن يكتموه. حتى يقتلوا به رجلا من قومك عظيما. فقال/له: و ما يؤمنك أن تكون أنت ذلك القتيل؟قال: إنّ هوازن لا ترضى أن تقتل بسيدها رجلا خليعا طريدا من بني ضمرة، قال: و مرّ بهما الحليس بن يزيد أحد بني الحارث بن عبد مناة بن كنانة، و هو يومئذ سيد الأحابيش من بني كنانة.

و الأحابيش[4]من بني الحارث بن عبد مناة بن كنانة، و هو نفاثة بن الدّيل، و بنو لحيان من خزاعة، و القارة، و هو أثيع ابن الهون بن خزيمة، و عضل[5]بن دمس بن محلّم بن عائذ[6]بن أثيع بن الهون كانوا تحالفوا على سائر بني بكر بن عبد مناة، فقال لهم[7]الحليس: ما لي أراكم نجيّا[8]؟ فأخبروه الخبر، ثم ارتحلوا، و كتموا الخبر على اتفاق منهم.

وفاء ابن جدعان

قال: و كانت العرب إذا قدمت عكاظ دفعت أسلحتها إلى ابن جدعان، حتى يفرغوا من أسواقهم و حجهم ثم يردّها عليهم إذا ظعنوا، و كان سيدا حكيما مثريا من المال. فجاءه القوم، فأخبروه خبر البرّاض و قتله عروة، و أخبروا حرب بن أمية و هشاما و الوليد ابني المغيرة، فجاء حرب إلى عبد اللّه بن جدعان، فقال له: احتبس[9]قبلك [1]في ب: الرضوع، تحريف «الضروع» ، كما في هج، له، و المراد أنني بهذه الداهية أوهنت بني كلاب، و أرضعت قومي لبان المجد و الفخار من ضروعها.

[2]لها: للداهية، و في نسخة «له» أي لعروة القتيل، أفل: به فلول من كثرة الصراع.

[3]يريد بقوله: «مقيما» أنه دفين هناك.

[4]ليس قوله و الأحابيش عطفا على ما قبله، بل هو كلام مستأنف، و سموا بذلك لأنهم تحالفوا على أن يكونوا يدا على من سواهم ما أقام حبيش، و هو جبل معروف.

[5]في هد، هج: «و عقيل بن دلس» بدل «و عضل بن دمس» .

[6]في هد: «محلم بن عائدة» بدل «محلم بن عائذ» .

[7]كان السياق يقتضي أن يقول «لهما» بدل «لهم» لأن الحليس إنما يخاطب البراض و بشر بن أبي خازم فلعله أنزل الاثنين منزلة الجمع.

[8]نجيا: فعيلا من النجوى: بمعنى متناجين، أي مختلين في حديث سري.

[9]إنما طلب ذلك إليه حتى لا تطالب هوازن بدم عروة.

سلاح هوازن، فقال له ابن جدعان: أبا الغدر تأمرني يا حرب؟و اللّه لو أعلم أنه لا يبقى منها سيف إلا ضربت به، و لا رمح إلا طعنت به ما أمسكت منها شيئا[1]، و لكن لكم/مائة درع، و مائة رمح، و مائة سيف في مالي تستعينون بها، ثم صاح ابن جدعان في الناس: من كان له قبلي سلاح فليأت، و ليأخذه، فأخذ الناس أسلحتهم.

يخدعون هوازن فلا تجدي الخديعة

و بعث ابن جدعان و حرب بن أميّة و هشام و الوليد إلى أبي براء[2]: إنه قد كان بعد خروجنا حرب، و قد خفنا تفاقم الأمر، فلا تنكروا خروجنا، و ساروا راجعين إلى مكة، فلما كان آخر النهار بلغ أبا براء قتل البراض عروة، فقال: خدعني حرب و ابن جدعان، و ركب فيمن حضر عكاظ من هوازن في أثر القوم، فأدركوهم بنخلة، فاقتتلوا حتى دخلت قريش الحرم، و جنّ عليهم الليل، فكفّوا، و نادى الأدرم بن شعيب، أحد بني عامر بن ربيعة بن صعصعة: يا معشر قريش، ميعاد ما بيننا هذه الليلة[3]من العام المقبل بعكاظ، و كان يومئذ رؤساء قريش حرب بن أميّة في القلب، و ابن جدعان في إحدى المجنبتين، و هشام بن المغيرة في الأخرى، و كان رؤساء قيس عامر بن مالك، ملاعب الأسنّة على بني عامر، و كدّام بن عمير على فهم و عدوان، و مسعود بن سهم على ثقيف، و سبيع بن ربيعة النصري[4]على بني نصر بن معاوية، و الصّمّة بن الحارث، و هو أبو دريد بن الصمة على بني جشم، و كانت الراية مع حرب بن أميّة، و هي راية قصيّ التي يقال لها العقاب.

شعر خداش بن زهير في هذه الحرب

فقال في ذلك خداش بن زهير:

يا شدّة ما شددنا غير كاذبة # على سخينة لو لا الليل و الحرم[5]

/إذ يتّقينا هشام بالوليد و لو # أنّا ثقفنا هشاما شالت الخدم[6]

بين الأراك و بين المرج تبطحهم # زرق الأسنّة في أطرافها السّهم[7]

فإن سمعتم بجيش سالك سرفا # و بطن مرّ فأخفوا الجرس و اكتتموا[8]

[1]نقول: و هذا مثل من أمثلة الوفاء العربي، يغطي على ما ينسب إلى السموأل بن عادياء اليهودي.

[2]يبدو من سياق الحديث أن أبا براء هذا كان صاحب رأي في هوازن.

[3]في هد، هج: «هذه الليالي» .

[4]في هد: «النضري» بالضاد المعجمة.

[5]الشدة: يريد بها الهجوم، ما شددنا: ما شددناها: سخينة: لقب يطلق على قريش، و هو في الأصل طعام كانت تتخذه، فأطلق عليها، يريد أننا هجمنا على قريش هجمة صادقة، فلم ينقذها من أيدينا إلا هجوم الليل و اعتصامها بالحرم.

[6]هشام: هو هشام بن المغيرة، و الوليد: هو أخوه، و يريد بذلك أن الدائرة كانت على قريش، حتى كان أحدهم يتقي الموت بأخيه ليقتل بدله، ثقفه: أدركه، شالت: ارتفعت، الخدم: جمع خدمة، و هي الحلقة المحكمة، و جملة

«شالت الخدم»

كناية عن الهزيمة، يقال: فض اللّه خدمتهم: فرق جمعهم.

[7]السهم-بضم السين و الهاء-الحرارة الغالبة، يريد أننا كنا نبطحهم بطعن الأسنة الزرقاء الحامية الاطراف بين هذين المكانين.

[8]سرف، و بطن مر: مكانان، يريد أنهم ينبغي عليهم حينما يسمعون بجيشهم أن يختفوا عن العيون، و يكفوا عن الهمس، حتى لا يعرف مكانهم.

عبد الملك يستنشد شعر خداش

و زعموا أن عبد الملك بن مروان استنشد رجلا من قيس هذه الكلمة، فجعل يحيد[1]عن قوله: «سخينة» ، فقال عبد الملك: إنا قوم لم يزل يعجبنا السّخن، فهات، فلما فرغ قال: يا أخا قيس، ما أرى صاحبك زاد على التمني و الاستنشاء[2].

البراض يقدم باللطيمة

قال: و قدم البرّاض باللطيمة مكّة، و كان يأكلها، /و كان عامر بن يزيد بن الملوّح بن يعمر الكنانيّ نازلا في أخواله من بني نمير بن عامر، و كان ناكحا فيهم، فهمت بنو كلاب بقتله، فمنعته بنو نمير، ثم شخصوا به حتى نزل في قومه، و استغوت[3]كنانة بني أسد و بني نمير[4]و استغاثوا بهم، فلم تغثهم، و لم يشهد الفجار أحد من هذين الحيّين.

اليوم الثاني من الفجار الثاني

ثم كان اليوم الثاني من الفجار الثاني؛ و هو يوم شمطة، فتجمعت كنانة و قريش بأسرها و بنو عبد مناة، و الأحابيش، و أعطت قريش رءوس القبائل أسلحة تامة[5]و أعطى عبد اللّه بن جدعان خاصة من ماله مائة رجل من كنانة أسلحة تامة[5]و أداة، و جمعت هوازن، و خرجت، فلم تخرج معهم كلاب و لا كعب، و لا شهد هذان البطنان من أيام الفجار إلا يوم نخلة مع أبي براء عامر بن مالك، و كان القوم جميعا متساندين، على كل قبيلة سيّدهم.

قوّاد قريش و من معهم

فكان على بني هاشم و بني المطلب و لفّهم[6]الزبير بن عبد المطلب، و معهم النبي صلّى اللّه عليه و سلم، إلا أن بني المطلب-و إن كانوا مع بني هاشم-كان يرأسهم الزبير بن عبد المطلب بن هاشم و رجل منهم، و هو عبد يزيد ابن هاشم بن المطلب بن عبد مناف، و أم الزّبير الشّفّاء بنت هاشم بن عبد مناف، و كان على بني عبد شمس و لفّها حرب بن أمية و معه أخواه أبو سفين[7]و سفيان، و معهم بنو نوفل بن عبد مناف، يرأسهم بعد حرب مطعم بن عديّ ابن نوفل، و كان على بني عبد الدار و لفّها خويلد بن أسد و عثمان بن الحويرث، و كان على بني زهرة و لفّها مخرمة ابن نوفل بن وهيب بن عبد مناف بن زهرة و أخوه صفوان، و كان على بني تيم بن مرة و لفّها عبد اللّه بن جدعان، و على بني مخزوم هشام بن المغيرة، و على بني سهم العاصي بن وائل، و على بني جمح و لفّها أميّة

بن خلف، و على بني عديّ زيد بن عمرو بن نفيل، و الخطاب بن نفيل عمّه، و على بني عامر بن لؤي عمرو بن عبد شمس بن عبد ودّ أبو [1]ظاهر أن القيسي كان يحيد عن قوله «سخينة» لأنها لقب على قريش، و الخليفة من قريش.

[2]استنشاء: طلب إنشاء الشيء، و عبارة عبد الملك لا تخلو من غموض، فالشعر صريح في هزيمة قريش، و انتصار أعدائهم عليهم، فما معنى قوله: ما أرى صاحبك زاد على التمني و الاستنشاء، لعله أراد بذلك التمني قول خداش: «و لو أنا ثقفنا هشاما شالت النعم»

. و معروف أن «لو» حرف امتناع لامتناع.

[3]استغوت كنانة بني أسد: جروهم إلى الحرب، و في ب «استغوث» بالثاء المثلثة، و هو تصحيف.

[4]في هد: «و بني تميم» .

(5-5) تكملة من هد.

[6]اللف: الجماعة و الأخلاط من الناس.

[7]في بعض النسخ: «أبو سفيان» .

سهل ابن عمرو، و على بني الحارث بن فهر عبد اللّه بن الجرّاح أبو أبي عبيدة عامر/بن عبيد اللّه بن الجراح، و على بني بكر بلعاء بن قيس، و مات في تلك الأيام، و كان جثّامة بن قيس أخوه مكانه، و على الأحابيش الحليس بن يزيد.

قواد هوازن و من معهم

و كانت هوازن متساندين كذلك، و كان عطية بن عفيف النّصريّ على بني نصر بن معاوية، و قيل: بل كان عليهم أبو أسماء بن الضّريبة، و كان الخنيسق الجشمي على بني جشم و سعد ابني بكر، و كان وهب بن معتب على ثقيف، و معه أخوه مسعود، و كان على بني عامر بن ربيعة و حلفائهم من بني جسر بن محارب سلمة ابن إسماعيل[1]: أحد بني البكّاء، و معه خالد بن هوذة: أحد بني الحارث بن ربيعة، و على بني هلال بن عامر بن صعصعة ربيعة بن أبي ظبيان بن ربيعة بن أبي ربيعة بن نهيك بن هلال بن عامر.

هوازن تسبق قريشا و ترجح كفتها

قال: فسبقت هوازن قريشا، فنزلت شمطة من عكاظ، و ظنوا أن كنانة لم توافهم[2]، و أقبلت قريش، فنزلت من دون المسيل، و جعل حرب بني كنانة في بطن الوادي، و قال لهم: لا تبرحوا مكانكم، و لو أبيحت[3]قريش، فكانت هوازن من وراء المسيل.

قال أبو عبيدة: فحدثني أبو عمرو بن العلاء: قال: كان ابن جدعان في إحدى المجنبتين، و في الأخرى هشام بن المغيرة، و حرب في القلب، و كانت الدائرة في أول النهار لكنانة، فلما كان آخر النّهار تداعت[4]هوازن، و صبروا و استحرّ[5]القتل في قريش، فلما رأى ذلك بنو الحارث بن كنانة/-و هم في بطن الوادي-/مالوا إلى قريش، و تركوا مكانهم، فلما استحرّ القتل بهم قال أبو مساحق بلعاء بن قيس لقومه: ألحقوا برخم-و هو جبل-ففعلوا، و انهزم الناس.

الرسول صلّى اللّه عليه و سلّم يحضر هذه الحرب

و كان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم لا يصير في فئة إلا انهزم من يحاذيها[6]، فقال حرب بن أمية و عبد اللّه بن جدعان: أ لا ترون إلى هذا الغلام ما يحمل على فئة إلا انهزمت؟

خداش يسجل المعركة بشعره

و في ذلك يقول خداش بن زهير في كلمة له: فأبلغ أن عرضت بنا هشاما # و عبد اللّه أبلغ و الوليدا

أولئك إن يكن في الناس خير # فإن لديهم حسبا و جودا

[1]في هد، هج: «سلمة بن يعلي» .

[2]في هد، هج: «لن توافيهم» بدل «لم توافهم» ، و في نسخة أخرى: «ظنوا أن كنانة توافيهم و كلها معان محتملة.

[3]و لو أبيحت: و لو دارت الدائرة عليها.

[4]تداعت: دعا بعضها بعضا.

[5]استحر: صار حارا شديدا.

[6]في هج: «من يحاربها» بالراء لا بالذال، و كلاهما سديد. ـ

هم خير المعاشر من قريش # و أوراها إذا قدحت زنودا

بأنّا يوم شمطة قد أقمنا # عمود المجد إنّ له عمودا

جلبنا الخيل ساهمة إليهم # عوابس يدّرعن النقع قودا[1]

فبتنا نعقد السّيما و باتوا # و قلنا: صبّحوا الأنس الحديدا[2]

فجاءوا عارضا بردا و جئنا # كما أضرمت في الغاب الوقودا[3]

و نادوا: يا لعمرو لا تفرّوا # فقلنا: لا فرار و لا صدودا

/قوله: نعقد السّيما أي العلامات:

فعاركنا الكماة و عاركونا # عراك النّمر عاركت الأسودا[4]

فولّوا نضرب الهامات منهم # بما انتهكوا المحارم و الحدودا

تركنا بطن شمطة من علاء # كأنّ خلالها معزا[5]شريدا

و لم أر مثلهم هزموا و فلّوا # و لا كذيادنا عنقا مذودا[6]

قوله: يا لعمرو، يعني عمرو بن عامر بن ربيعة بن عامر بن صعصعة.

اليوم الثالث يوم العبلاء

ثم كان اليوم الثالث من أيام الفجار، و هو يوم العبلاء، فجمع القوم بعضهم لبعض، و التقوا على قرن الحول بالعبلاء-و هو موضع قريب من عكاظ-و رؤساؤهم يومئذ على ما كانوا عليه يوم شمطة، و كذلك من كان على المجنبتين، فاقتتلوا قتالا شديدا، فانهزمت كنانة، فقال خداش بن زهير في ذلك:

خداش يستمر في التسجيل بشعره

أ لم يبلغك بالعبلاء أنّا # ضربنا خندقا حتى استقادوا[7]

نبنّي بالمنازل عزّ قيس # و ودّوا لو تسيخ بنا البلاد[8]

و قال أيضا:

أ لم يبلغك ما لاقت قريش # و حيّ بني كنانة إذ أثيروا

[1]ساهمة: ضامرة، يدر عن النقع: يلبسن الغبار درعا، قودا: جمع أقود، و هو السلس القياد، أو الطويل العنق و الظهر.

[2]صبحوا القوم الحديد: اسقوهم في الصباح الحديد بدل اللبن أو الخمر.

[3]العارض: السحاب، البرد: ذو البرد-بفتح الراء-و هو ما يسقط متجمدا من السماء على شكل حبيبات صغيرة.

[4]النمر: ككتف: ضرب من السباع، و الجمع أنمر و أنمار و نمر و نمر و نمار، و أكثر كلام العرب نمر كقفل جمع نمر.

[5]معز-بفتح العين أو سكونها، أو معزى-بكسر الميم و سكون العين- كما في بعض النسخ، كل هذا بمعنى واحد.

[6]فلوا: ضعفوا و انهزموا، و في رواية: «قلوا» بالقاف المثناة، و المعنى متقارب، ذياد: مصدر ذاد: دفع و صد، العنف: الجماعة من الناس، يقول: لم أر مثلهم في الشجاعة انهزموا، و لم أر مثل صدنا لجموعهم و تغلبنا عليهم.

[7]استقادوا: انقادوا، و خضعوا.

[8]نبني: مضعف «بني» بالتخفيف، تسيخ بنا البلاد: تنخسف.

/

دهمناهم بأرعن مكفهرّ # فظلّ لنا بعقوتهم زئير[1]

نقوم مارن الخطّيّ فيهم # يجيء على أسنّتنا الجزير[2]

اليوم الرابع يوم عكاظ

ثم كان اليوم الرابع من أيامهم، يوم عكاظ، فالتقوا في هذه المواضع على رأس الحول، و قد جمع بعضهم لبعض، و احتشدوا، و الرؤساء بحالهم، و حمل عبد اللّه بن جدعان يومئذ ألف رجل من بني كنانة على ألف بعير. و خشيت قريش أن يجري عليها مثل ما جرى يوم العبلاء، فقيّد حرب و سفيان[3]و أبو سفيان بنو أمية[4]بن عبد شمس أنفسهم، و قالوا: لا نبرح حتى نموت مكاننا، و على أبي سفيان يومئذ درعان قد ظاهر بينهما[5]، و زعم أبو عمرو بن العلاء أنّ أبا سفيان/بن أمية خاصة قيّد نفسه، فسمّي هؤلاء الثلاثة يومئذ: العنابس-و هي الأسود واحدها عنبسة- فاقتتل الناس قتالا شديدا، و ثبت الفريقان، حتى همّت بنو بكر بن عبد مناة و سائر بطون كنانة بالهرب، و كانت بنو مخزوم تلي كنانة، فحافظت حفاظا شديدا، و كان أشدّهم يومئذ بنوا المغيرة، فإنهم صبروا، و أبلوا بلاء حسنا، فلما رأت ذلك بنو عبد مناة من كنانة تذامروا[6]فرجعوا و حمل بلعاء بن قيس و هو يقول:

/

إنّ عكاظ مأوانا فخلّوه # و ذا المجاز بعد أن تحلوه[7]

مبارزة يهزم فيها رئيس الأحابيش

و خرج الحليس بن يزيد[8]: أحد بني الحارث بن عبد مناة بن كنانة-و هو رئيس الأحابيش يومئذ-فدعا إلى المبارزة فبرز إليه الحدثان بن سعد النصري، فطعنه الحدثان، فدق عضده و تحاجزا.

الدائرة تدور على قيس

و اقتتل القوم قتالا شديدا، و حملت قريش و كنانة على قيس من كل وجه[9]، فانهزمت قيس كلها إلا بني نصر فإنهم صبروا، ثم هربت بنو نصر و ثبت بنو دهمان، فلم يغنوا شيئا، فانهزموا، و كان عليهم سبيع بن أبي ربيعة- أحد بني دهمان، فعقل نفسه و نادى: يا آل هوازن، يا آل هوازن، يا آل نصر! فلم يعرج عليه أحد، و أجفلوا منهزمين، فكرّ بنو أمية خاصة في بني دهمان و معهم الخنيسق و قشعة الجشميّان، فقاتلوا فلم يغنوا شيئا، فانهزموا.

[1]أرعن. يقال: جيش أرعن: عظيم جرار، العقوة: المكان المنفسح أمام المحلة.

[2]مارن الخطى: الرماح اللدنة، الجزير: فعيل بمعنى مفعول من الجزر، و في رواية «الخرير» بالخاء: يعني خرير الدم المنبثق من أثر الطعنة.

[3]ضبطنا سفيان بضمة واحدة على اعتبار أنه مأخوذ من السفي، فتكون نونه زائدة، و يصح اعتباره مأخوذا عن «السفون» فتكون نونه أصلية، و حينئذ لا يمتنع صرفه.

[4]بنو أمية: نعت للأعلام الثلاثة السابقة.

[5]ظاهر بينهما: جعل كلا منهما مقوية للأخرى.

[6]تذامروا: حض بعضهم بعضا على القتال.

[7]البيت من المنسرح، و هاء القافية في المصراعين ساكنة، و عكاظ و ذو المجاز: مكانان مشهوران في الجاهلية، و بكل منهما كانت تقام سوق للشعر و للتجارة.

[8]في هد: «الحليس بن زيد» .

[9]ف: «من كل جانب» .

من المستجير بخباء سبيعة

و كان مسعود بن معتّب الثقفيّ قد ضرب على امرأته سبيعة بنت عبد شمس بن عبد مناف خباء، و قال لها: من دخله من قريش فهو آمن، فجعلت توصل في خبائها؛ ليتسع[1]، فقال لها: لا يتجاوزني[2]خباؤك فإني لا أمضي لك إلا من أحاط به الخباء، فأحفظها[3]فقالت: أما و اللّه إني لأظن أنك ستودّ أن لو زدت في توسعته[4]، فلما انهزمت قيس دخلوا خباءها مستجيرين بها فأجار لها حرب بن أمية جيرانها، /و قال لها: يا عمة، من تمسّك بأطناب خبائك، أو دار حوله فهو آمن، فنادت بذلك، فاستدارت قيس بخبائها، حتى كثروا جدا، فلم يبق أحد لا نجاة[5]عنده إلا دار بخبائها فقيل لذلك الموضع: مدار قيس، و كان يضرب به المثل، فتغضب قيس منه، و كان زوجها مسعود بن معتب بن مالك بن كعب بن عمرو بن سعد بن عوف بن قيس-و هو من ثقيف-قد أخرج معه يومئذ بنيه من سبيعة، و هم عروة و لوحة[6]، و نويرة، و الأسود، فكانوا يدورون-و هم غلمان-في قيس يأخذون بأيديهم إلى خباء أمهم، ليجيروهم، فيسودوا، بذلك أمرتهم أمهم أن يفعلوا.

رواية أخرى لخبر خباء سبيعة

فأخبرني الحرمي و الطوسي: قالا: حدثنا الزبير بن بكار، قال: حدثني محمد بن الحسن، عن المحرز بن جعفر و غيره: أنّ كنانة و قيسا لما توافوا من العام المقبل من مقتل عروة بن عتبة بن جعفر بن كلاب ضرب مسعود الثقفيّ على امرأته سبيعة بنت عبد شمس أمّ بنيه خباء، فرآها تبكي حين تدانى الناس، فقال لها: ما يبكيك؟فقالت: لما[7] يصاب غدا من قومي، فقال لها: من دخل خباءك فهو آمن، فجعلت توصل فيه القطعة بعد القطعة و الخرقة و الشيء ليتسع، فخرج وهب بن معتب حتى وقف عليها، و قال لها: لا يبقى طنب من أطناب هذا البيت إلا ربطت به رجلا من بني كنانة، [8]فلما صفّ القوم بعضهم لبعض خرجت سبيعة[8]فنادت بأعلى صوتها: إن وهبا يأتلي و يحلف ألاّ يبقى طنب من أطناب هذا البيت إلا ربط به رجلا من كنانة، فالجدّ الجدّ، فلما/هزمت قيس لجأ نفر منهم إلى خباء سبيعة بنت عبد شمس، فأجارهم حرب بن أميّة.

قيس تلجأ إلى خباء سبيعة فيجيرهم حرب بن أميّة

أخبرني هاشم بن محمد قال: حدثنا أبو غسّان دماذ، عن أبي عبيدة، قال: لما هزمت قيس لجأت إلى خباء سبيعة، حتى أخرجوها منه، فخرجت،

فنادت: من تعلّق بطنب من أطناب [1]إنما فعلت ذلك على اعتبار أن الدائرة تدور على قومها من قريش، فيتسع الخباء لأكبر عدد ممكن.

[2]في هد، هج: «لا تتجاوزي خباءك» .

[3]أحفظها: أغضبها، و أوغر صدرها.

[4]تريد بعبارتها هذه أن الدائرة ستدور على قومه هو، لا على قومها هي. فيلوذ بهذا الخباء المنهزمون من رجاله، و حينئذ يود لو اتسع لأكبر عدد ممكن، و هذا هو ما حدث في نهاية الموقعة.

[5]في هد، هج: «فلم يبق أحد أراد نجاة عنده إلا دار بخبائها» .

[6]في هد، هج: «الأوحد» .

[7]كان القياس أن يقول: «لمن يصاب غدا من قومي» و لكن هكذا في جميع النسخ التي بأيدينا، فلعلها اعتبرت أن الاصابة تقع على المحاربين و الخيول و الإبل و نحوها، و معلوم أن «ما» تقع على العاقل مع غيره.

(8-8) التكملة من هد، و يبدو أن نداءها كان موجها إلى قومها من قريش، لا إلى قوم بعلها من قيس.

بيتي فهو آمن في ذمتي، فداروا بخبائها، حتى صاروا حلقة، فأمضى ذلك كلّه حرب بن أمية لعمّته، فكان يضرب في الجاهلية بمدار قيس المثل، و يعيّرون بمدارهم يومئذ بخباء سبيعة بنت عبد شمس، قال:

شاعران يسجلان الموقعة

و قال ضرار بن الخطاب الفهري قوله:

أ لم تسأل الناس عن شأننا # و لم يثبت الأمر كالخابر

غداة عكاظ إذ استكملت # هوازن في كفّها الحاضر[1]

و جاءت سليم تهزّ القنا # على كل سلهبة ضامر[2]

و جئنا إليهم على المضمرات # بأرعن ذي لجب زاخر[3]

فلما التقينا أذقناهم # طعانا بسمر القنا العائر[4]

ففرّت سليم و لم يصبروا # و طارت شعاعا بنو عامر[5]

و فرت ثقيف إلى لاتها # بمنقلب الخائب الخاسر[6]

و قاتلت العنس شطر النها # ر ثم تولّت مع الصادر[7]

/على أن دهمانها حافظت # أخيرا لدى دارة الدائر

و قال خداش بن زهير:

أتتنا قريش حافلين بجمعهم # عليهم من الرحمن واق و ناصر

فلما دنونا للقباب و أهلها # أتيح لنا ريب مع الليل ناجر[8]

أتيحت لنا بكر و حول لوائها # كتائب يخشاها العزيز المكاثر

جثت دونهم بكر فلم تستطعهم # كأنهم بالمشرفيّة سامر

و ما برحت خيل تثور و تدّعى # و يلحق منهم أولون و آخر

لدن غدوة حتى أتى و انجلى لنا # عماية يوم شرّه متظاهر[9]

و ما زال ذاك الدأب حتى تخاذلت # هوازن و ارفضّت سليم و عامر

[1]كفها: لعله من الكف بمعنى ضم الشيء بعضه إلى بعض، و المراد ضم جيوشها، و في بعض النسخ «لفظها» و لا معنى له.

[2]السلهبة من الخيل: العظيم الطويل العظام.

[3]بأرعن: بجيش أرعن: عظيم جرار.

[4]في هد، هج: «بصم القنا» : بالقنا المصمت، العائر: الذي يصيب العين بالعور.

[5]الشعاع: المتفرق المنتشر.

[6]إلى لاتها: إلى صنمها «اللات» الذي تعبده.

[7]العنس: إحدى القبائل المحاربة، و في هد، هج: «العير» .

[8]ناجر: شديد الحرارة، و في هد:

«أتيح لنا ريب من الدهر ناجر»

و في هج:

«أتيح له عتب مع الليل فاخر»

.

[9]شره متظاهر: هجومه قوي، و في هد، هج بدل المصراع الأول

«لدن غدوه حتى أتى الليل و انجلت»

.

و كانت قريش يفلق الصخر حدّها # إذا أوهن الناس الجدود العواثر

اليوم الخامس يوم حريرة

ثم كان اليوم الخامس، و هو يوم الحريرة[1]، و هي حرّة إلى جانب عكاظ، و الرؤساء بحالهم إلا بلعاء بن قيس؛ فإنه قد مات فصار أخوه مكانه على عشيرته، فاقتتلوا، فانهزمت كنانة و قتل يومئذ أبو سفيان[2]بن أميّة و ثمانية رهط من بني كنانة، قتلهم عثمان بن أسد من بني عمرو بن عامر[3]بن ربيعة، و قتل و رقاء بن الحارث: أحد بني عمرو بن عامر من بني كنانة[3]و خمسة نفر.

خداش يسجل هذه الموقعة

و قال خداش بن زهير، في ذلك:

لقد بلوكم فأبلوكم بلاءهم # يوم الحريرة ضربا غير تكذيب

إن توعدوني فإني لابن عمّكم # و قد أصابوكم منه بشؤبوب[4]

و إن ورقاء قد أردى أبا كنف # و ابني إياس و عمرا و ابن أيّوب

/و إن عثمان قد أردى ثمانية # منكم و أنتم على خبر و تجريب

خداش يفقد أباه فيسجل ذلك الشويعر الليثي

ثم كان الرجل منهم بعد ذلك يلقى الرجل، و الرجلان يلقيان الرجلين، فيقتل بعضهم بعضا. فلقي ابن محمية ابن عبد اللّه الدّبليّ زهير بن ربيعة أبا خداش، فقال زهير: إني حرام جئت معتمرا، فقال له: ما تلقى[5]طوال الدهر إلا قلت: أنا معتمر، ثم قتله، فقال الشويعر الليثي، و اسمه ربيعة بن علس[6]: تركنا ثاويا يزقو صداه # زهيرا بالعوالي و الصّفاح[7]

أتيح له ابن محمية بن عبد # فأعجله التسؤم بالبطاح[8]

صلح لا يتم

ثم تداعوا إلى الصلح على أن يدي[9]من عليه فضل في القتلى، الفضل إلى أهله، فأبى ذلك وهب بن معتّب، [1]الحريرة: تصغير حرة-بفتح الحاء و تشديد الراء مع فتحها-و هي الأرض ذات حجارة سود كأنها أحرقت.

[2]هو غير أبي سفيان أبي معاوية، فالقتيل عمه.

(3-3) التكملة من هد.

[4]الشؤبوب: الدفعة من المطر، و المراد هنا شؤبوب من الدماء.

[5]هذه رواية هد، هج، و الذي في ب: «ما تبقى» .

[6]في ب «عبس» .

[7]يزقو: يصوت، الصدى: طائر تزعم العرب أنه يخرج من رأس القتيل، فما يزال يقول: «اسقوني» حتى يؤخذ بثأره، الصفاح: السيوف.

[8]التسوم: الإغارة، أو سوق الخيل المسومة.

[9]في رواية «يؤدي» بدل «يدي» ، و على الرواية الأولى يكون المراد بالفضل المال المتبقي، و على الرواية الثانية يكون المراد بالفضل القتلى الزائدين.

و خالف قومه، و اندسّ إلى هوازن، حتى أغارت/على بني كنانة، فكان منهم بنو عمرو بن عامر بن ربيعة، عليهم سلمة بن سعدى[1]البكائي، و بنو هلال عليهم ربيعة بن أبي ظبيان الهلالي، و بنو نصر بن معاوية، عليهم مالك بن عوف، و هو يومئذ أمرد، فأغاروا على بني ليث[2]بن بكر بصحراء الغميم، فكانت[3]لبني ليث أول النهار، فقتلوا عبيد بن عوف البكائي، قتله بنو مدلج و سبيع بن المؤمل الجسري حليف بني عامر، ثم كانت على بني ليث آخر النهار، فانهزموا، و استحرّ[4]القتل في بني الملوّح بن يعمر بن ليث، و أصابوا نعما و نساء حينئذ، فكان[5]ممن قتل في حروب الفجار من قريش العوّام بن خويلد، قتله مرّة بن معتّب، و قتل حزام بن خويلد، و أحيحة بن أبي أحيحة، و معمر ابن حبيب الجمحي، و جرح حرب بن أمية، و قتل من قيس الصّمّة أبو دريد بن الصمّة، قتله جعفر بن الأحنف[6].

صلح يتم برهائن

ثم تراضوا بأن يعدّوا القتلى، فيدوا من فضل، فكان الفضل لقيس على قريش و كنانة، فاجتمعت القبائل على الصلح، و تعاقدوا ألا يعرض[7]بعضهم لبعض، فرهن حرب بن أميّة ابنه أبا سفيان بن حرب، و رهن الحارث بن كلدة العبديّ[8]ابنه النضر، و رهن سفيان بن عوف أحد بني الحارث بن عبد مناة ابنه الحارث، /حتى وديت[9] الفضول، و يقال: إن عتبة بن ربيعة تقدم يومئذ، فقال: يا معشر قريش، هلمّوا إلى صلة الأرحام و الصلح، قالوا: و ما صلحكم هنا، فإنّا موتورون[10]؟فقال: على أن ندي قتلاكم، و نتصدق عليكم بقتلانا فرضوا بذلك، و ساد[11] عتبة مذ يومئذ، قال: فلما رأت هوازن رهائن قريش بأيديهم رغبوا في العفو، فأطلقوهم.

النبي يشهد الفجار

قال أبو عبيدة: و لم يشهد الفجار من بني هاشم غير الزبير بن عبد المطلب، و شهد النبي صلّى اللّه عليه و سلم و آله سائر الأيام إلا يوم نخلة، و كان يناول عمّه و أهله النّبل، قال: و شهدها صلى اللّه عليه و سلم و هو ابن عشرين سنة، و طعن النبي صلّى اللّه عليه و سلم و آله أبا براء ملاعب الأسنة، و سئل صلّى اللّه عليه و آله عن مشهده يومئذ، فقال: ما سرني أني لم أشهده، إنهم تعدّوا على قومي، عرضوا عليهم أن يدفعوا إليهم البرّاض صاحبهم، فأبوا.

[1]في هد، هج: «بني سعلى» .

[2]في هد، هج: «ليث بن كعب بن بكر» .

[3]فكانت، أي الغلبة،

[4]استحر القتل: أشتد.

[5]في الأصل: فكان من قتل، و قد صوبناها بزيادة حرف الجر «من» و لعلها: فكان من قتلى حروب الفجار... الخ.

[6]في هد، هج: «حفص بن الأحنف» .

[7]في بعض النسخ: «فتعاقدوا على أن يرهن بعضهم لبعض» و هي أنسب لما يرد بعد.

[8]في هج: «العبدري» -نسبة إلى عبد الدار-بدل «العبدي» و النضر المشار اليه هنا هو أخو قتيلة الذي قتله صلى اللّه عليه و سلم في بدر، فرثته أخته بالأبيات القافية المعروفة.

[9]في هد، هج: «حتى أديت» و قد سبق نظير هذا.

[10]في هج أورد العبارة كما يلي: «و ما صلحكم؟هؤلاء أصحابنا موتورون» .

[11]في الأصل «و سار عتبة يومئذ على أن أقبل» و لا معنى له، و المثبت من «ف» .

كشف حساب القتلى

قال: و كان الفضل عشرين قتيلا من هوازن، فوادهم حرب بن أمية فيما تروي قريش، و بنو كنانة تزعم أن القتلى الفاضلين قتلاهم، و أنهم هم ودوهم.

هل شهد أعمام النبي هذه الموقعة

و زعم قوم من قريش أن أبا طالب و حمزة و العباس بني عبد/ المطلب-عليهما[1]السلام-شهدوا هذه الحروب، و لم يردّ ذلك[2]أهل العلم بأخبار العرب.

سبيعة تجير بعلها

قال أبو عبيدة: و لما انهزمت قيس خرج مسعود بن معتّب لا يعرّج على شيء حتى أتى سبيعة بنت عبد شمس زوجته، فجعل أنفه بين ثدييها، و قال: أنا باللّه[3]/و بك، فقالت: كلا، زعمت أنك ستملأ بيتي من أسرى قومي، اجلس فأنت آمن.

عود إلى الصوت و بقيته

و قالت أميمة بنت عبد شمس ترثي ابن أخيها أبا سفيان بن أمية و من قتل من قومها، و الأبيات التي فيها الغناء منها: أبي ليلك لا يذهب # و نيط الطّرف بالكوكب[4]

و نجم دونه الأهوا # ل بين الدّلو و العقرب

و هذا الصبح لا يأتي # و لا يدنو و لا يقرب

بعقر عشيرة منّا # كرام الخيم و المنصب[5]

أحال عليهم دهر # حديد النّاب و المخلب

فحلّ بهم و قد أمنوا # و لم يقصر و لم يشطب[6]

و ما عنه إذا ما حلّ # من منجّى و لا مهرب

ألا يا عين فابكيهم # بدمع منك مستغرب[7]

فإن أبك فهم عزّي # و هم ركني و هم منكب

[1]ضمير عليهما يعود على حمزة و العباس، أما أبو طالب فقد استثناه المؤلف فيما يبدو.

[2]في هد، هج: «و لم يرو ذلك أهل العلم» بدل «و لم يرد» .

[3]متعلق الجار و المجرور محذوف، تقديره لائذ أو معتصم، أو مستجير و نحو ذلك.

[4]تقدم هذا البيت و البيتان التاليان له.

[5]في هد، هج:

«كرام الخيم و المذهب»

الخيم: الخصال و الطباع.

[6]يشطب: من شطب عن الشيء بمعنى عدل عنه.

[7]مستغرب: غزير.

و هم أصلي و هم فرعي # و هم نسبي إذا أنسب

و هم مجدي و هم شرفي # و هم حصني إذا أرهب

و هم رمحي و هم ترسي # و هم سيفي إذا أغضب

فكم من قائل منهم # إذا ما قال لم يكذب

/و كم من ناطق فيهم # خطيب مصقع معرب

و كم من فارس فيهم # كميّ معلم محرب[1]

و كم من مدرة[2]فيهم # أريب حوّل قلّب[3]

و كم من جحفل فيهم # عظيم النّار و الموكب

و كم من خضرم فيهم # نجيب ماجد منجب[4]

صوت

أحبّ هبوط الواديين و إنني # لمشتهر بالواديين غريب

أ حقّا عباد اللّه أن لست خارجا # و لا والجا إلا عليّ رقيب

و لا زائرا فردا و لا في جماعة # من الناس إلا قيل: أنت مريب

و هل ريبة في أن تحنّ نجيبة # إلى إلفها أو أن يحنّ نجيب

الشعر فيما ذكره أبو عمرو الشيباني في أشعار بني جعدة، و ذكره أبو الحسن المدائني في أخبار رواها لمالك ابن الصّمصامة[5]الجعدي، و من الناس من يرويه لابن الدّمينة و يدخله في قصيدته التي على هذه القافية، و الروي و الغناء لإسحاق هزج بالبنصر عن عمرو.

[1]المعلم من الفرسان: من يتخذ لنفسه في الحرب علامة تميزه، المحرب: الخبير المضطلع بأمور الحرب.

[2]المدرة: خطيب القوم، أو سيدهم.

[3]الحول القلب: المحتال الحازم الذي يلبس لكل حال لبوسها، و في الأصل «حوله مغلب» بدل «حول قلب» و هو تحريف، و المثبت من هد، هج.

[4]الخضرم: السيد الجواد، المنجب: من ينجب أولاده.

[5]الصمصامة، و الصمصام في الأصل: السيف لا ينثى، و استعمل هنا علما.

5-أخبار مالك و نسبه

نسبه

هو مالك بن الصّمصامة بن سعد بن مالك: أحد بن جعدة بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة، شاعر بدوي مقلّ.

يهوى جنوب و يحول بينهما أخوها

أخبرني بخبره هاشم بن محمد الخزاعيّ و محمد بن خلف بن المرزبان، قالا: أخبرنا أحمد بن الحارث الخراز، عن المدائني، و نسخت خبره أيضا من كتاب أبي عمرو الشيباني، قالوا: كان مالك بن الصّمصامة الجعديّ فارسا شجاعا جوادا جميل الوجه، و كان يهوى جنوب بنت محصن الجعديّة، و كان أخوها الأصبغ بن محصن من فرسان العرب و شجعانهم و أهل النجدة و البأس منهم، فنمى إليه نبذ من خبر مالك، فآلى يمينا جزما: لئن بلغه أنه عرض لها أوزارها ليقتلنه، و لئن بلغه أنه ذكرها في شعر أو عرّض بها ليأسرنه، و لا يطلقه إلا أن يجزّ ناصيته في نادي قومه، فبلغ ذلك مالك بن الصّمصامة، فقال: إذا شئت فاقرني إلى جنب عيهب # أجبّ و نضوي للقلوص جنيب[1]

فما الحلق بعد الاسر شرّ بقية # من الصّدّ و الهجران و هي قريب

ألا أيها الساقي الذي بلّ دلوه # بقريان يسقي هل عليك رقيب[2]

/إذا أنت لم تشرب بقريان شربة # و حانية الجدران ظلت تلوب[3]

أحبّ هبوط الواديين و إنني # لمشتهر بالواديين غريب

أ حقّا عباد اللّه أن لست خارجا # و لا والجا إلا عليّ رقيب!

و لا زائرا وحدي و لا في جماعة # من الناس إلا قيل: أنت مريب

[1]الخطاب لمالك بن الصمصامة أخي جنوب، أقرني: شدني، العيهب: الكساء من الصوف، أجب: مقطوع، النضو: الثوب الخلق، القلوص: في الأصل الناقة الفتية، و العرب تكنى بالقلوص عن الفتاة، يقول: إذا شئت أسرى فشدني إلى رداء من الصوف بال في بيتك بجوار جنوب أختك و في ب «نجيب» بدل «جنيب» ، و هو تحريف.

[2]قريان: موضع.

[3]يخاطب بهذا البيت نفسه، و حانية الجدران: لعله قسم بجدران الكعبة الحانية، أو عطف على «قريان» و في الأصل: «و جانية» بالجيم، و لم نجد لها معنى، تلوب: من لاب يلوب: عطس، أو دار حول الماء و هو لا

يستطيع الوصول إليه، يقول: إذا أنا لم أشرب من هذا الوادي فسأظل ظامئا و حق الكعبة. ـ

و هل ريبة في أن تحنّ نجيبة # إلى إلفها أو أن يحنّ نجيب

يراها فلا يستطيع مخاطبتها

و قال أبو عمرو خاصة: حدثنا فتيان من بني جعدة أنها أقبلت ذات يوم، و هو جالس في مجلس فيه أخوها، فلما رآها عرفها، و لم يقدر على الكلام بسبب أخيها، فأغمي عليه، و فطن أخوها لما به، فتغافل عنه، و أسنده بعض فتيان العشيرة إلى صدره، فما تحرك، و لا أحار جوابا ساعة من نهاره، و انصرف أخوها كالخجل، فلما أفاق قال: ألمّت فما حيّت و عاجت فأسرعت # إلى جرعة بين المخارم فالنّجر[1]

خليليّ قد حانت وفاتي فاحفرا # برابية بين المخافر و البتر[2]

لكيما تقول العبدليّة كلما # رأت جدثي: سقّيت يا قبر من قبر[3]

جنوب ترعى عهده

و قال المدائني في خبره: انتجع أهل بيت جنوب ناحية حسى و الحمى، و قد أصابها الغيث، فأمرعت، فلما أرادوا الرحيل وقف لهم مالك بن الصّمصامة، حتى إذا بلغته جنوب أخذ بخطام بعيرها، ثم أنشأ يقول: /

أريتك إن أزمعتم اليوم نيّة # و غالك مصطاف الحمى و مرابعه[4]

أ ترعين ما استودعت أم أنت كالذي # إذا ما نأى هانت عليه ودائعه

فبكت، و قالت: بل أرعى و اللّه ما استودعت، و لا أكون كمن هانت عليه ودائعه، فأرسل بعيرها، و بكى، حتى سقط مغشيّا عليه، و هي واقفة، ثم أفاق، و قام، فانصرف و هو يقول: /

ألا إنّ حسيا دونه قلّة الحمى # منى النفس لو كانت تنال شرائعه[5]

و كيف و من دون الورود عوائق # و أصبغ حامي ما أحبّ و مانعه[6]

فلا أنا فيما صدّني عنه طامع # و لا أرتجي وصل الذي هو قاطعه

صوت

يا دار هند عفاها كلّ هطّال # بالخبت مثل سحيق اليمنة البالي[7]

[1]عاجت: رجعت، الجرعة: الأرض ذات الحزونة، المخارم و النحر: مكانان.

[2]في هد، هج:

«إن حانت»

بدل

«قد حانت»

، و في هج:

«بين المحاضر و البئر»

بدل

«لي بالمخافر و البتر»

و في هد:

«برابية لي بالمحاضر و البئر»

و كلها أسماء أماكن.

[3]العبدلية يعني بها حبيبته، و في هد: «حييت» بدل «سقيت» .

[4]نية: رحلة و بعدا، غالك: أخفاك عني.

[5]قلة كل شيء: أعلاه، يريد أن علية الحمى حلوا بحسى، منى النفس: بدل من «قلة الحمى» ، شرائع: جمع شريعة، و هي مورد الماء كالغدير و نحوه.

[6]يريد الأصيغ أخا جنوب.

[7]عفاها: محاها، و غير معالمها، الخبت: مكان، اليمنة: برد مخصوص يرد من اليمن.

أربّ فيها وليّ ما يغيّرها # و الريح مما تعفّيها بأذيال[1]

دار وقفت بها صحبي أسائلها # و الدمع قد بلّ مني جيب سربالي

شوقا إلى الحيّ أيام الجميع بها # و كيف يطرب أو يشتاق أمثالي؟[2]

قوله. أربّ فيها أي أقام فيها و ثبت، و الوليّ: الثاني من أمطار السنة، أولها الوسميّ، و الثاني الوليّ، و يروى.

جرت عليها رياح الصيف فاطّرقت

و اطّرقت: تلبدت.

الشعر لعبيد بن الأبرص، و الغناء لإبراهيم هزج بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى عن إسحاق، و فيه لابن جامع رمل بالوسطى، و قد نسب لحنه هذا إلى إبراهيم و لحن إبراهيم إليه.

[1]تولى المؤلف شرح بعض ألفاظ البيت. الريح: معطوف على ولى، و إثبات الأذيال للريح استعارة.

[2]الاستفهام هنا للاستبعاد، و لعل سبب هذا الاستبعاد يأسه من اللقاء.

6-أخبار عبيد بن الأبرص و نسبه[1]

اسمه و نسبه

قال أبو عمرو الشيباني: هو عبيد بن الأبرص بن حنتم بن عامر بن مالك بن زهير بن مالك بن الحارث بن سعد بن ثعلبة بن دودان بن أسد بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر. شاعر فحل فصيح من شعراء الجاهلية، و جعله ابن سلام في الطبقة الرابعة من فحول الجاهلية، و قرن به طرفة و علقمة بن عبدة و عديّ بن زيد.

شاعر ضائع الشعر

أخبرنا أبو خليفة، عن محمد بن سلاّم، قال: عبيد بن الأبرص قديم الذكر، عظيم الشهرة، و شعره مضطرب ذاهب لا أعرف له إلا قوله في كلمته: أقفر من أهله ملحوب

و لا أدري ما بعد ذلك.

يتهم بأخته

أخبرنا عبد اللّه بن مالك النحوي الضرير، قال: حدثنا محمد بن حبيب، عن ابن الأعرابي و أبي عمرو الشيباني، قالا: كان من حديث عبيد بن الأبرص أنّه كان رجلا محتاجا، و لم يكن له مال، فأقبل ذات يوم و معه غنيمة له، و معه أخته ماويّة، ليوردا غنمهما الماء، فمنعه رجل من بني مالك بن ثعلبة و جبهة[2]، فانطلق حزينا مهموما للذي صنع به المالكي، حتى أتى شجرات فاستظل تحتهن، فنام هو و أخته، فزعموا أن المالكي نظرا إليه و أخته إلى جنبه، فقال: ذاك عبيد قد أصاب ميّا # يا ليته ألقحها صبيّا

فحملت فوضعت ضاويا[3]

/فسمعه عبيد، فرفع يديه، ثم ابتهل، فقال: اللهم إن كان فلان ظلمني، و رماني بالبهتان فأدلني منه-أي اجعل لي منه دولة، و انصرني عليه-و وضع رأسه فنام، و لم يكن قبل ذلك يقول الشعر.

[1]جاءت ترجمته في هذا المكان في النسخ المخطوطة: هد، مد، مه، و «التجريد» ، و طبعة بولاق و جاءت في آخر «الأغاني» بين ترجمتي: أبي العيال، و عمارة بن عقيل في مخطوطة فيض اللّه، و طبعة بيروت.

[2]جبهة: صك جبهته، أو قابله بما لا يحب.

[3]ضاويا: مهزولا نحيفا.

يهبط عليه الشعر من السماء في النوم

فذكر أنه أتاه آت في المنام بكبّة[1]من شعر، حتى ألقاها في فيه، ثم قال: قم، فقام و هو يرتجز: يعني بني مالك؛ و كان يقال لهم بنو الزّنية يقول: أيا بني الزّنية ما غرّكم # فلكم الويل بسربال حجر[2]

ثم استمرّ بعد ذلك في الشعر، و كان شاعر بني أسد غير مدافع.

بينه و بين امرئ القيس

أخبرني هاشم بن محمد/الخزاعيّ، قال: حدّثنا أبو غسان دماذ، عن أبي عبيدة، قال: اجتمعت بنو أسد بعد قتلهم حجر بن عمرو والد امرئ القيس إلى امرئ القيس ابنه على أن يعطوه ألف بعير دية أبيه؛ أو يقيدوه من أيّ رجل شاء من بني أسد، أو يمهلهم حولا؛ فقال: أما الدية فما ظننت أنكم تعرضونها على مثلي، و أما القود فلو قيد إليّ ألف من بني أسد ما رضيتهم؛ و لا رأيتهم كفؤا لحجر، و أما النّظرة[3]فلكم، ثم ستعرفونني في فرسان قحطان، أحكّم فيكم ظبا السيوف و شبا الأسنّة، حتى أشفي نفسي، و أنال ثأري، فقال عبيد ابن الأبرص في ذلك:

صوت

يا ذا المخوّفنا بقتل # أبيه إذلالا و حينا[4]

أ زعمت أنك قد قتلت # سراتنا كذبا و مينا[5]؟

هلاّ على حجر ابن أم # م قطام تبكي لا علينا[6]

إنّا إذا عضّ الثّقا # ف برأس صعدتنا لوينا[7]

نحمي حقيقتنا و بعض # الناس يسقط بين بينا[8]

هلاّ سألت جموع كندة # يوم ولّوا أين أينا؟

-الغناء لحنين رمل في مجرى الوسطى مطلق عن الهشامي، و فيه ليحيى المكيّ خفيف ثقيل: - [1]الكبة: مجموعة من الخيوط و نحوها على شكل كرة.

[2]لعله يعني بالسربال الدرع، نقول: و هل كان الوحي يأتيه في المنام بمثل هذا البيت التافه؟

[3]النظرة-بكسر الظاء-المهلة، و منه قوله تعالى: **«فَنَظِرَةٌ إِلىَ مَيْسَرَةٍ»** .

[4]إذلالا: مفعول «المخوفنا» الحين: الهلاك.

[5]سراتنا: أشرافنا.

[6]حجر ابن أم قطام: هو أبو امرئ القيس، و إنما نسبه إلى أمه سخرية به.

[7]الثقاف: آلة تعدل بها الرماح المعوجة، الصعدة: الرمح، يريد أن قناتهم لا يعدلها الثقاف، بل تلتوي عليه، كما يقول عمرو بن كلثوم: و ان قناتنا يا عمرو أعيت # على الأعداء قبلك أن تلينا

إذا عض الثقاف بها اشمأزت # و ولتهم عشوزنة حرونا

[8]الحقيقة: ما ينبغي حمايته من حريم و وطن و مال و غير ذلك.

قال: و تمام هذا الأبيات:

أيام نضرب هامهم # ببواتر حتى انحنينا[1]

و جموع غسّان الملو # ك أتينهم و قد انطوينا[2]

لحقا أياطلهنّ قد # عالجن أسفارا و أينا[3]

/[4]و الأياطل: الخواصر أي هن ضوامرها؟[4]:

نحن الألى فاجمع جمو # عك ثم وجّههم إلينا[5]

و اعلم بأنّ جيادنا # آلين لا يقضين دينا[6]

و لقد أبحنا ما حميـ # ت و لا مبيح لما حمينا

هذا و لو قدرت عليـ # ك رماح قومي ما انتهينا

حتى تنوشك نوشة # عاداتهنّ إذا انتوينا[7]

نغلي السّباء بكل عا # تقة شمول ما صحونا[8]

و نهين في لذّاتنا # عظم التّلاد إذا انتشينا

لا يبلغ الباني و لو # رفع الدّعائم ما بنينا

كم من رئيس قد قتلـ # ناه و ضيم قد أبينا

و لربّ سيّد معشر # ضخم الدّسيعة قد رمينا[9]

عقبانه بظلال عقـ # بان تتمّم ما نوينا[10]

حتى تركنا شلوه # جزر السّباع و قد مضينا[11]

/إنّا لعمرك ما يضا # م حليفنا أبدا لدينا

/و أوانس مثل الدّمى # حور العيون قد استبينا[12]

[1]نون الروى: ضمير البواتر، و الألف ألف الإشباع، و ليست «نا» من «انحنينا» للمتكلم.

[2]ضمير «انطوين» يعود على الجياد المفهومة من المقام بدليل البيت التالي، و انطوين: من الطوى بمعنى الجوع، يعني بذلك أنها ضامرة بدليل البيت التالي أيضا.

[3]الأين: التعب و المشقة.

(4-4) التكملة من هد.

[5]صلة الألى محذوفة، تقديرها «تعرفهم، أو تدري بأسهم، و نحو ذلك» .

[6]يريد أن كل دم أراقته جبار لا دية له و لا قود.

[7]تنوشك: تتناولك، يريد نوشة قاسية، انتوين: نوين، و صممن.

[8]العاتقة الشمول: الخمر المعتقة، ما صحونا: مدة صحونا.

[9]الدسيعة: الجفنة الكبيرة، أو المائدة الكريمة، أو العطية الجزيلة، أو القوة العارمة، و كل هذا يتسق مع معنى البيت.

[10]يريد أن العقبان تتعاور جسده سربا بعد سرب تتمم فناءه الذي بدءوه، و في هد، هج، «تيمم» و في «المختار» : «تيمم من نوينا»

.

[11]الشلو: بقية اللحم و نحوه، جزر السباع: ما تأكله السباع من اللحم.

[12]في هج: «شبه» بدل «مثل» و ربما كان الأنسب «و أوانسا» بالنصب على أنها مفعول مقدم «لاستبينا » و التنوين هنا للضرورة.

الشعر على السنة الأفاعي

و قرأت في بعض الكتب، عن ابن الكلبي، عن أبيه، و هو خبر مصنوع، يتبين التوليد فيه: أنّ عبيد بن الأبرص سافر في ركب من بني أسد، فبيناهم يسيرون إذا هم بشجاع يتمعّك[1]على الرمضاء فاتحا فاه من العطش، و كانت مع عبيد فضلة من ماء ليس معه ماء غيرها، فنزل فسقاه الشجاع عن آخره حتى روي و انتعش، فانساب في الرمل، فلما كان من الليل، و نام القوم ندّت رواحلهم، فلم ير لشيء منها أثر، فقام كل واحد يطلب راحلته، فتفرقوا، فبينا عبيد كذلك؛ و قد أيقن بالهلكة و الموت إذا هو بهاتف يهتف به: يا أيّها الساري المضلّ مذهبه # دونك هذا البكر منّا فاركبه[2]

و بكرك الشارد أيضا فاجنبه # حتى إذا الليل تجلّى غيهبه[3]

فحط عنه رحله و سيّبه

فقال له عبيد: يا هذا المخاطب، نشدتك اللّه إلاّ أخبرتني: من أنت؟ فأنشأ يقول: أنا الشّجاع الذي ألفيته رمضا # في قفرة بين أحجار و أعقاد[4]

فجدت بالماء لما ضنّ حامله # و زدت فيه و لم تبخل بإنكاد/

الخير يبقى و إن طال الزمان به # و الشرّ أخبث ما أوعيت من زاد[5]

فركب البكر و جنب بكره، و سار فبلغ أهله مع الصبح، فنزل عنه، و حل رحله، و خلاّه، فغاب عن عينه، و جاء من سلم من القوم بعد ثلاث.

يومان للمنذر بن ماء السماء

أخبرني محمد بن عمران المؤدب و عمّي، قالا: حدثنا محمد بن عبيد: قال: حدثني محمد بن يزيد بن زياد الكلبي، عن الشرقي بن القطامي: قال: كان المنذر بن ماء السماء قد نادمه رجلان من بني أسد، أحدهما خالد بن المضلّل، و الآخر عمرو بن مسعود ابن كلدة، فأغضباه في بعض المنطق، فأمر بأن يحفر لكل واحد حفيرة بظهر الحيرة، ثم يجعلا في تابوتين، و يدفنا في الحفرتين، ففعل ذلك بهما، حتى إذا أصبح سأل عنهما، فأخبر بهلاكهما، فندم على ذلك، و غمّه، و في عمرو ابن مسعود و خالد بن المضلل الأسديين يقول شاعر بني أسد: [1]في ب: «تجنى» بدل «تجلى» .

[2]يتمعك: يتمرغ في التراب، و يتقلب فيه.

[3]كان القياس إسكان باء «فاركبه» لا ضمها.

[4]الشجاع: الثعبان، رمضا: حار الجوف من شدة العطش، أعقاد: لعل المراد بها الأرض الكثيرة الشجر، و منه العقدة بهذا المعنى.

[5]أوعيت: حملت في وعائك. نقول: و قد نسبوا الشعر إلى آدم أبي البشر، و إلى الملائكة، و إلى الشياطين، و ها هم أولاء ينسبونه إلى الثعابين.

يا قبر بين بيوت آل محرّق # جادت عليك رواعد و بروق

أمّا البكاء فقلّ عنك كثيرة # و لئن بكيت فللبكاء خليق[1]

ثم ركب المنذر، حتى نظر إليهما، فأمر ببناء الغريّين[2]عليهما، فبنيا عليهما، و جعل لنفسه يومين في السنة يجلس فيهما عند الغريين، يسمّي أحدهما يوم نعيم، /و الآخر يوم بؤس، فأول من يطلع عليه يوم نعيمه يعطيه مائة من الإبل شوما[3]أي: سودا، و أول من يطلع عليه يوم بؤسه يعطيه رأس ظربان[4]أسود، ثم يأمر به، فيذبح و يغرّى بدمه الغريّان، فلبث بذلك برهة من دهره.

يقتل في يوم بؤس المنذر

ثم إن عبيد بن الأبرص كان أول من أشرف عليه في يوم بؤسه، فقال: هلا كان الذبح لغيرك يا عبيد؟فقال: أتتك بحائن[5]رجلاه، فأرسلها مثلا، فقال له المنذر: أو أجل بلغ إناه[6]، فقال له[7]المنذر: أنشدني، فقد كان شعرك يعجبني، فقال عبيد: حال الجريض[8]دون القريض، /و بلغ الحزام الطّبيين[9]. فأرسلها مثلا، فقال له النعمان: أسمعني، فقال: المنايا على الحوايا[10]، فأرسلها مثلا، فقال له آخر: ما أشدّ جزعك من الموت، فقال: لا يرحل رحلك من ليس معك[11]فأرسلها مثلا، فقال له المنذر: قد أمللتني، فأرحني قبل أن آمر بك، فقال عبيد: من عزّ بزّ[12]فأرسلها مثلا، فقال المنذر: أنشدني قولك: أقفر من أهله ملحوب

فقال عبيد:

صوت

أقفر من أهله عبيد # فليس يبدي و لا يعيد[13]

[1]فللبكاء خليق: جدير بك، و في هد، هج و «المختار» : «فبالبكاء» أي فأنت بالبكاء خليق.

[2]الغريان: بناءان أقامهما المنذر على نديميه اللذين قتلهما، و نرجح أن هذه التسمية إنما جاءت من طلائهما بدماء من يقتل في يوم بؤس المنذر، و التغرية في اللغة بمعنى التطلية.

[3]شوما: لعله جمع أشيم أو شيماء بمعنى في جسمها شامة، و ليس معنى ذلك السواد، كما شرحه المؤلف، و في هد: هج «سهما» بدل «شوما» و ليس من معانيها السواد أيضا.

[4]الظربان: حيوان دون السنور، أصلم الأذنين، طويل الخطم، قصير القوائم كثير الفسو، منتن الرائحة.

[5]الحائن: الهالك.

[6]إناه: وقته.

[7]يقتضي السياق أن يقول: «ثم قال له المنذر» بدل «فقال له المنذر» التي تكررت مرتين متتاليتين.

[8]الجريض: الغصة، أو اختلاف الفكين عند الموت.

[9]الطبيان: تثنية طبي، و هو حلمة الضرع، أو الضرع كله، و هو مثل يضرب للأمر تجاوز حده.

[10]الحوايا: ما احتوى عليه بطن الإنسان أو الحيوان، و الجملة مثل يضرب لمن يسعى إلى هلاكه بنفسه.

[11]معنى الجملة أنه لا يقاسي مشقة رحلتك من لم يعانها معك.

[12]بز: غلب، و معنى الجملة: من غلب أخذ السلب.

[13]في هد، هج بدل المصراع الثاني:

«فاليوم لا يبدي و لا يعيد»

و الرواية التي معنا أصوب، لأن الأبيات من مخلع البسيط، أما المصراع الوارد في هد، هج، فمن الرجز.

عنت له عنّة نكود # و حان منها له ورود

فقال له المنذر: يا عبيد، ويحك، أنشدني قبل أن أذبحك، فقال عبيد: و اللّه إن متّ لما ضرّني # و إن أعش ما عشت في واحده[1]

فقال المنذر: إنه لا بد من الموت، و لو أن النعمان عرض لي في يوم بؤس لذبحته، فاختر إن شئت الأكحل[2]، و إن شئت الأبجل[3]، و إن شئت الوريد[4]، فقال عبيد: ثلاث خصال كسحابات عاد واردها شرّ ورّاد، و حاديها شرّ حاد، و معادها شرّ معاد، و لا خير فيه لمرتاد، و إن كنت لا محالة قاتلي فاسقني الخمر، حتى إذا ماتت مفاصلي، و ذهلت لها ذواهلي فشأنك و ما تريد، فأمر المنذر بحاجته من الخمر، حتى إذا أخذت منه، و طابت نفسه، دعا به المنذر، ليقتله، فلما مثل بين يديه أنشأ يقول: و خيّرني ذو البؤس في يوم بؤسه # خصالا أرى في كلها الموت قد برق

كما خيّرت عاد من الدهر مرّة # سحائب ما فيها لذى خيرة أنق[5]

سحائب ريح لم توكّل ببلدة # فتتركها إلا كما ليلة الطّلق[6]

/فأمر به المنذر، ففصد، فلما مات غرّي بدمه الغريّان.

طائي يفد على المنذر في يوم بؤسه

فلم يزل كذلك حتى مرّ به[7]رجل من طيء، يقال له: حنظلة بن أبي عفراء، أو ابن أبي عفر، فقال له: أبيت اللعن، و اللّه ما أتيتك زائرا، و لأهلي من خيرك مائرا[8]فلا تكن ميرتهم قتلي، فقال: لا بد من ذلك فاسأل حاجة أقضيّنها لك، فقال: تؤجّلني سنة أرجع فيها إلى أهلي، و أحكم من أمرهم ما أريد، ثم أصير إليك، فأنفذ فيّ حكمك، فقال: و من يكفل بك حتى تعود؟ فنظر في وجوه جلسائه، فعرف منهم شريك بن عمرو: أبا الحوفزان بن شريك، فأنشد يقول: يا شريك يا بن عمرو # ما من الموت محاله[9]

يا شريك يا بن عمرو # يا أخا من لا أخاله[10]

[1]ليس لكلمة «واحدة» هنا معنى، و نرجح أنها «واجدة» -بالجيم-من الجدة و اليسار، أي إن عشت فلن أعيش في رغد من العيش.

[2]الأكحل: وريد في وسط الذراع.

[3]الأبجل: عرق في الرجل، أو في اليد بإزاء الأكحل.

[4]الوريد: عرق في العنق.

[5]الأنق: الحسن الرائع.

[6]الطلق: البعد، من طلق-بكسر اللام-بمعنى بعد.

[7]ضمير «به» يعود على المنذر، لا على عبيد.

[8]مائرا: طالبا الميرة: القوت.

[9]تنوين «شريك» للضرورة كقول الشاعر:

«سلام اللّه يا مطر عليها»

.

[10]كان القياس: «لا أخ لك» بدون ألف، و لكنهم قالوا في مثل هذا و في مثل قولهم: «لا أبا لك» أنهم افترضوا حذف اللام.

يا أخا شيبان فكّ اليـ # وم رهنا قد أناله[1]

يا أخا كلّ مضاف # و حيا من لا حيا له[2]

إنّ شيبان قبيل # أكرم اللّه رجاله

و أبوك الخير عمرو # و شراحيل الحماله[3]

رقياك اليوم في المجـ # د و في حسن المقالة

شريك بن عمرو يضمن الطائي

/فوثب شريك، و قال: أبيت اللعن، يدي بيده، و دمي بدمه إن لم يعد إلى أجله[4]، فأطلقه المنذر، فلما كان من القابل جلس في مجلسه، ينتظر حنظلة أن يأتيه، فأبطأ عليه، فأمر بشريك، فقرّب، ليقتله.

الطائي يفي بعهده

فلم يشعر إلا براكب قد طلع عليهم، فتأملوه، فإذا هو حنظلة قد أقبل متكفّنا متحنّطا معه نادبته تندبه، و قد قامت نادبة شريك تندبه، فلما رآه المنذر عجب من وفائهما و كرمهما، فأطلقهما، و أبطل تلك السّنّة.

رواية أخرى لقصة مصرع عبيد

أخبرني الحسن بن علي قال: حدثني عبد اللّه بن أبي سعد قال: حدثنا عليّ بن الصباح، عن هشام بن الكلبي، قال: كان من حديث عبيد بن الأبرص و قتله أنّ المنذر بن ماء السماء بنى الغرّيين، فقيل له: ما تريد إليهما؟و كان بناهما على قبري رجلين من بني أسد كانا نديميه، أحدهما خالد بن المضلل الفقعسيّ، و الآخر عمرو بن مسعود، فقال: ما أنا بملك إن خالف الناس أمري، لا يمرّنّ أحد من وفود العرب إلا بينهما، و كان له يومان في السنة يوم يسميه يوم النعيم، و يوم يسميه يوم البؤس، فإذا كان في يوم نعيمه أتي بأول من يطلع عليه، فحياه، و كساه، و نادمه يومه، و حمله، فإذا كان يوم بؤسه أتي بأول من يطلع عليه، فأعطاه رأس ظربان أسود، ثم أمر به فذبح و غرّي بدمه الغريّان، فبينا هو جالس في يوم بؤسه إذ أشرف عليه عبيد، فقال لرجل كان معه: من هذا الشقيّ؟فقال له: هذا عبيد بن الأبرص الأسديّ الشاعر، فأتي به فقال له الرجل الذي كان معه: /اتركه-أبيت اللعن- فإني أظن أنّ عنده من حسن القريض أفضل مما تدرك[5]في قتله فاسمع منه، فإن سمعت حسنا استزدته، و إن لم يعجبك فما أقدرك على قتله. فإذا نزلت فادع به، قال: فنزل، و طعم و شرب، و بينه و بين الناس حجاب ستر يراهم منه و لا يرونه، [1]هكذا بالنسخ، و نرجح أن عبارة

«قد أناله»

محرفة عن

«قد أتى له»

و ضمير أتى يعود على «رهن» و المراد بشيبان الطائي نفسه بدليل البيت التالي.

[2]الحيا: الغيث و المطر.

[3]شراحيل: لعله من أباء شريك، و المراد بالحمالة حمالة الديات و الديون و ما إليها.

[4]في ب «إلى أهله» و قد رجحنا ما أثبتناه نقلا عن هد، هج.

[5]كذا في ب، و في هد: «أظن أن عنده من حسن القريض أفضل مما يترك من قتله» و في هج تضع كلمة «تريد» بدل كلمة «يترك» و المعنى لا يختلف. ـ

فدعا بعبيد من وراء الستر، فقال له رديفه[1]: هلا كان الذبح لغيرك يا عبيد!فقال: أتتك بحائن رجلاه، فأرسلها مثلا، فقال: ما ترى يا عبيد؟قال: أرى الحوايا عليها المنايا. فقال: فهل قلت شيئا؟فقال: حال الجريض دون القريض، فقال: أنشدني.

أقفر من أهله ملحوب

فقال:

أقفر من أهله عبيد # فليس يبدي و لا يعيد

عنّت له خطّة نكود # و حان منها له ورود

فقال أنشدنا:

هي الخمر تكنى بأمّ الطّلى # كما الذئب يكنى أبا جعده[2]

و أبى أن ينشدهم شيئا ممّا أرادوا، فأمر به، فقتل.

خبر نديمي المنذر

فأما خبر عمرو بن مسعود و خالد بن المضلل و مقتلهما فإنهما كانا نديمين للمنذر بن ماء السماء، فيما ذكره خالد بن كلثوم-فراجعاه بعض القول على سكره، /فغضب، فأمر بقتلهما، و قيل: بل دفنهما حيين، فلما أصبح سأل عنهما، فأخبر خبرهما فندم على فعله، فأمر بإبل، فنحرت على قبريهما، و غرّي بدمائها قبراهما إعظاما لهما و حزن عليهما، و بنى الغريّين فوق قبريهما، و أمر فيهما بما قدّمت ذكره من أخبارهما، فقالت نادبة الأسديين: ألا بكر الناعي بخير بني أسد # بعمرو بن مسعود و بالسيّد الصّمد

/و قال بعض شعراء بني أسد يرثي خالد بن المضلّل و عمرو بن مسعود، و فيه غناء:

صوت

يا قبر بين بيوت آل محرّق # جادت عليك رواعد و بروق

أمّا البكاء فقلّ عنك كثيره # و لئن بكيت فبالبكاء خليق[3]

الغناء لابن سريج ثقيل أول مطلق في مجرى الوسطى من جامع أغانيه.

و مما يغني به أيضا من شعر عبيد:

صوت

طاف الخيال علينا ليلة الوادي # من أمّ عمرو و لم يلمم لميعاد

[1]رديفه: رديف المنذر، و الرديف: نديم السلطان الذي يشاربه، و يجلس بجواره، و ينوب عنه إذا غاب.

[2]الطلى: اسم من أسماء الخمر، و يطلق هذا اللفظ على اللذة، و هذا المعنى هو المراد هنا، لأنه لا معنى لأن يكنى الخمر بأم الخمر، و إنما المعقول أن تكنى بأم اللذة. و أبو جعدة، و أبو جعادة: كنية الذئب، و لعله كنى بذلك لتجعد شعر ذنبه.

[3]تقدم هذان البيتان، و رواية هد: «و لئن بكيت فبالبكاء حقيق»

.

أنّي اهتديت لركب طال سيرهم # في سبسب بين دكداك و أعقاد[1]

اذهب إليك فإني من بني أسد # أهل القباب و أهل الجود و النّادي[2]

الغناء للغريض ثاني ثقيل بالسبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق، و فيه ثقيل أول/بالوسطى، ذكر الهشامي أنه لأبي زكار الأعمى، و ذكر حبش أنه لابن سريج.

و في هذه القصيدة يقول: يخاطب حجر بن الحارث أبا امرئ القيس، و كان حجر يتوعده في شيء بلغه عنه،

ثم استصلحه فقال يخاطبه

:

أبلغ أبا كرب عنّي و إخوته # قولا سيذهب غورا بعد إنجاد[3]

لا أعرفنّك بعد الموت تندبني # و في حياتي ما زوّدتني زادي

إنّ أمامك يوما أنت مدركه # لا حاضر مفلت منه و لا بادي

فانظر إلى ظلّ ملك أنت تاركه # هل ترسينّ أواخيه بأوتاد[4]

الخير يبقى و إن طال الزمان به # و الشّرّ أخبث ما أوعيت من زاد[5]

عمر يبكي خالد بن الوليد بعد موته

:

أخبرنا عيسى بن الحسين، قال: حدثنا أحمد بن الحارث الخزاعيّ، عن المدائنيّ، عن أبي بكر الهذليّ قال: سمع عمر بن الخطّاب نساء بني مخزوم يبكين على خالد بن الوليد، فبكى، و قال: ليقل نساء بني مخزوم في أبي سليمان ما شئن، فإنهن لا يكذبن، و على مثل أبي سليمان تبكي البواكي، فقال له طلحة بن عبيد اللّه: إنك و إياه لكما قال عبيد بن الأبرص[6]: لا ألفينّك بعد الموت تندبني # و في حياتي ما زوّدتني زادي

كلب في ضيافة كلب

:

أخبرني عمّي، قال: حدثني عبد اللّه بن أبي سعد: قال: حدثني محمد بن عبد اللّه العبديّ، قال: حدثني سيف الكاتب، قال: /وليت ولاية، فمررت بصديق لي في بعض المنازل، فنزلت به، قال: فنلنا من الطعام و الشراب، ثم غلب علينا النبيذ، فنمنا، فانتبهت من نومي، فإذا أنا بكلب قد دخل على

كلب الرجل فجعل يبشّ به و يسلّم عليه لا أنكر [1]رواية هد، هج: «أني اهتديت لركب طال حبسهم»

السبسب: المفازة، الدكداك: الأرض فيها غلظ، أو فيها رمل متلبد، أعقاد: أرض شجراء.

[2]رجحنا رواية هد، هج، و في ب: «الجرد» بالراء بدل «الجود» بالواو.

[3]الغور: ما انخفض من الأرض، و الإنجاد: سلوك النجود المرتفعة، يريد أن هذا القول سيعم البقاع.

[4]الأواخي جمع الآخية و هي عروة تربط إلى وتد مدقوق و يشد فيها الشيء، و في ب: «أراجيه» و الأواخي هنا: الأواصر و العرا.

[5]تقدم هذا البيت على لسان الثعبان الذي عرض لعبيد، فلعل عبيدا سرقه منه.

[6]يشير طلحة إلى ما فرط من عمر في حق خالد بن الوليد، يوم عزله عن قيادة الجيش عقب توليه الخلافة بعد موت أبي بكر، كأنه يقول له: أ تعزله حيا، و تبكيه ميتا؟

من كلامهما شيئا، ثم جعل الكلب الداخل عليه يخبره عن طريقه بطول سفره، و قال له: هل عندك شيء تطعمنيه؟ قال: نعم، قد بقي لهم في موضع كذا و كذا طعام، و ليس عليه شيء[1]، فذهبا إليه، فكأني أسمع ولوغهما في الإناء حتى أكلا ما كان هناك فيه، ثم سأله نبيذا، فقال: نعم، لهم نبيذ في إناء آخر ليس له غطاء، فذهبا إليه فشربا.

الكلاب تتغنى بشعره

:

ثم قال له: هل تطربني بشيء؟قال: إي و عيشك، صوت كان أبو يزيد يغنيه، فيجيده، ثم غناه في شعر عبيد بن الأبرص.

صوت

طاف الخيال علينا ليلة الوادي # لآل أسماء لم يلمم لميعاد

أنّى اهتديت لركب طال سيرهم # في سبسب بين دكداك و أعقاد[2]

قال: فلم يزل يغنيه هذا الصوت، و يشربان مليّا، حتى فني ذلك النبيذ، ثم خرج الكلب الداخل، فخفت و اللّه على نفسي أن أذكر ذلك لصاحب المنزل، فأمسكت، و ما أذكر أني سمعت أحسن من ذلك الغناء.

و مما يغنى فيه من شعره قوله:

صوت

لمن جمال قبيل الصّبح مزمومه # ميمّمات بلادا غير معلومه

فيهنّ هند و قد هام الفؤاد بها # بيضاء آنسة بالحسن موسومه

/الغناء لابن سريج رمل عن يونس و الهشاميّ و حبش.

و منها[3]قوله:

صوت

درّ درّ الشباب و الشعر الأسـ # ود و الضّامرات تحت الرّحال

فالخناذيذ كالقداح من الشّو # حط يحملن شكّة الأبطال[4]

ليس رسم على الدّفين ببال # فلوي ذروة فجنبني أثال[5]

[1]يريد أن هذا الطعام ليس في حرز.

[2]تقدم هذان البيتان، نقول: و يبدو أن عبيد بن الأبرص كان رجل الخوارق، فقد رأينا فمه يحشى بالشعر، فيلهم الشعر و هو نائم، و رأينا الأفاعي تنشده الأشعار ثم ها هو ذا تتغنى بشعره الكلاب.

[3]و منها: من الأغاني التي غنى بها من شعره، و ليس المراد أن ما يأتي تتمة الأبيات السابقة.

[4]الخناذيذ: جمع خنذيذ: الشجاع البهمة من الفرسان، الشوخط: شجر صلب الألياف تتخذ منه القسى و القداح، أو هو ضرب من النبع، الشكة: ما يلبس أو يحمل من السلاح.

[5]أثال: اسم جبل، و البيت لا يخلو من التواء، و الذي نراه أنه يريد أن يقول: إن منازل الأحياء تبلى، و لكن رسوم الموتى باقية، فلدى ذروة من الذرا، أو في جانب جبل أثال يكون دفني و دفن سواي، و هذه الأماكن لا يعفى عليها الزمن.

تلك عرسي قد عيّرتني خلالي # أ لبين تريد أم لدلال؟[1]

الغناء لطويس خفيف رمل لا شك فيه، و فيه ثقيل أول، ذكر علي بن يحيى أنه لطويس أيضا، و وجدته في صنعة عبد العزيز بن عبد اللّه بن طاهر، و في الثالث و الرابع من الأبيات لدلال خفيف رمل بالبنصر، عن عبد اللّه بن موسى و الهشامي.

صوت

لمن الدّيار كأنها لم تحلل # بجنوب أسنمة فقفّ العنصل

درست معالمها فباقي رسمها # خلق كعنوان الكتاب المحول[2]

دار لسعدى إذ سعاد كأنها # رشأ غضيض الطّرف رخص المفصل[3]

عروضه من الكامل، جنوب أسنمة: أودية معروفة. و القفّ: الكثيب من الرمل ليس بالمشرف و لا الممتد.

و العنصل: بصل معروف.

الشعر لربيعة بن مقروم الضّبيّ، و الغناء فيه لسياط هزج بالبنصر عن الهشامي.

[1]خلالي؛ خصالي، و هو مفعول ثان «لعيرتني» .

[2]محول: أتت عليه أحوال: سنون.

[3]رخص المفصل: لينة المفاصل.

7-أخبار ربيعة بن مقروم و نسبه

اسمه و نسبه

:

هو ربيعة بن مقروم الضّبيّ بن قيس بن جابر بن خالد بن عمرو بن عبد اللّه بن السيّد بن مالك بن بكر بن سعد بن ضبّة بن أدّ بن طابخة بن إلياس بن مضر بن نزار.

شاعر إسلامي مخضرم، أدرك الجاهلية و الإسلام، و كان ممن أصفق[1]عليه كسرى، ثم عاش في الإسلام زمانا.

يهجو ضابئ بن الحارث

:

قال أبو عمرو الشيباني:

كان ربيعة بن مقروم باع عجرد بن عبد عمرو بن ضمرة بن جابر بن قطن بن نهشل بن دارم-لقحة[2]إلى أجل، فلما بايعه وجد ابن مقروم ضابئ بن الحارث عند عجرد، و قد نهاه عن إنظاره بالثمن، فقال ابن مقروم يعرّض بضابئ إنه أعان عليه و كان ضلعه[3]معه: /

أعجر ابن المليحة إنّ همّي # إذا ما لجّ عدّالي لعان[4]

قوله: لعان أي عان من العناء، عناني الشيء يعنيني، و هو لي عان.

يرى ما لا أرى و يقول قولا # و ليس على الأمور بمستعان

و يحلف عند صاحبه لشاة # أحبّ إليّ من تلك الثّمان[5]

/و حامل ضبّ ضغن لم يضرني # بعيد قلبه حلو اللسان[6]

و لو أني أشاء نقمت منه # بشغب من لسان تيّحان[7]

و لكني وصلت الحبل منه # مواصلة بحبل أبي بيان

[1]أصفق عليه: أطبق عليه و حبسه في المشقر.

[2]اللقحة: الناقة ذات لبن.

[3]أي: و كان ضلع ضابئ مع عجرد.

[4]في هد، هج

«لعمر أبي المليحة»

بدل

«أعجر بن المليحة»

، و في هج

«إذا ما بح»

بدل

«إذا ما لج»

.

[5]المراد أنه حلاف للأيمان الباطلة.

[6]الضب: الضغن، و في ب: «عبء ضغن» و لعل هذه الرواية أنسب، حتى لا يضاف الشيء إلى نفسه.

[7]الشغب: الشر و الخصام، التيحان: من يتعرض للشدائد و المكرمات.

ترفّع في بني قطن و حلّت # بيوت المجد يبنيهنّ باني[1]

يعني حلّت بنو قطن بيوت المجد.

و ضمرة إن ضمرة خير جار # إلى قطن بأسباب متان[2]

هجان الحيّ كالذهب المصفّى # صبيحة ديمة يجنيه جان[3]

قال أبو عمرو: الذهب في معدنه إذا جاءه المطر ليلا لاح من غد عند طلوع الشمس فيتتبّع و يؤخذ.

يمدح مخلصه من الأسر

قال أبو عمرو: و أسر ربيعة بن مقروم و استيق ماله، فتخلّصه مسعود بن سالم بن أبي سلمى[4]بن ذبيان بن عامر بن ثعلبة بن ذؤيب بن السّيد، فقال ربيعة بن مقروم فيه قوله: كفاني أبو الأشوس المنكرات # كفاه الإله الذي يحذر

أعزّ من السّيد في منصب # إليه العزازة و المفخر[5]

/و قال يمدحه أيضا:

بان الخليط فأمسى القلب معمودا # و أخلفتك ابنة الحرّ المواعيدا[6]

كأنها ظبية بكر أطاع لها # من حومل تلعات الحيّ أو أودا[7]

قامت تريك غداة البين منسدلا # تجللت فوق متنيها العناقيدا[8]

و باردا طيّبا عذبا مذاقته # شربته مزجا بالظلم مشهودا[9]

و جسرة أجد تدمي مناسمها # أعملتها بي حتى تقطع البيدا[10]

كلفتها، فأت حتما تكلّفها # ظهيرة كأجيج النار صيخودا[11]

في مهمة قذف يخشى الهلاك به # أصداؤه لا تني بالليل تغريدا[12]

[1]فاعل ترفع ضمير «أبي بيان» في البيت السابق، يعني نفسه.

[2]ضمرة: معطوف على بني قطن في البيت السابق، و في هج:

«علقت له بأسباب متان»

بدل

«إلى قطن بأسباب متان»

.

[3]الهجان: الكريم الحسب، الديمة: السحابة الممطرة.

[4]في هج: «سلم بن أبي ليلى» .

[5]السيد: يطلق على الذئب و الأسد، و المراد هنا الثاني.

[6]الخليط: المخالط من زوج و جار و صديق و نحو ذلك، معمودا: مضني مريضا.

[7]أطاع لها: اتسعت و دانت لها. تلعات الحي: روابيه العالية، حومل، أود: مكانان. و إنما جر «أود» بالفتحة على معنى بقعة.

[8]منسدلا: شعرا منسدلا، فاعل تجللت هي يعود على المحبوبة، و المتنان: جانباها، و المراد بالعناقيد عناقيد الشعر.

[9]الظلم: ماء الأسنان و بريقها، و يريد بالبارد الطيب ريق المحبوبة.

[10]جسرة: ضخمة، أي و ناقة جسرة، أجد: الناقة الأجد: القوية المتينة الأضلاع. المناسم: جمع منسم: طرف خف البعير أو الناقة.

[11]صيخودا: شديدة الحرارة، و هي صفة لظهيرة.

[12]قذف: مترامي الأطراف، يتقاذف بمن يسلكه، أصداؤه: جمع صدى، و هو طائر يخرج من رأس القتيل-فيما يزعم العرب-لا يفتأ يصيح قائلا: «اسقوني» حتى يؤخذ بثأره.

لمّا تشكّت إليّ الأين قلت لها: # لا تستريحنّ ما لم ألق مسعودا[1]

ما لم ألاق امرأ جزلا مواهبه # رحب الفناء كريم الفعل محمودا

و قد سمعت بقوم يحمدون فلم # أسمع بمثلك لا حلما و لا جودا[2]

و لا عفافا و لا صبرا لنائبة # و لا أخبّر عنك الباطل السّيدا[3]/

السّيد: قبيل الممدوح من آل ضبة.

لا حلمك الحلم موجود عليه، و لا # يلفى عطاؤك في الأقوام منكودا[4]

و قد سبقت لغايات الجواد و قد # أشبهت آباءك الشّمّ الصناديدا

هذا ثنائي بما أوليت من حسن # لا زلت برّا قرير العين محسودا[5]/

يتقاضى دينه بشعر فيقضى

قال أبو عمرو: كان لضابئ بن الحارث البرجميّ، على عجرد بن عبد عمرو دين بايعه به نعما، و استخار اللّه في ذلك، و بايعه ربيعة بن مقروم، و لم يستخر اللّه تعالى، ثم خافه ضابئ فاستجار بربيعة بن مقروم في مطالبته إياه، فضمن له جواره، فوفّى عجرد لضابئ، و لم يف لربيعة، فقال ربيعة: أ عجرد إني من أمانيّ باطل # و قول غدا شيخ لذاك سئوم[6]

و إنّ اختلافي نصف حول محرّم # إليكم بني هند عليّ عظيم[7]

فلا أعرفنّي بعد حول محرّم # و قول خلا يشكونني فألوم[8]

و يلتمسوا ودّي و عطفي بعد ما # تناشد قولي وائل و تميم[9]

و إن لم يكن إلا اختلافي إليكم # فإني امرؤ عرضى عليّ كريم/

فلا تفسدوا ما كان بيني و بينكم # بني قطن إنّ المليم مليم[10]

فاجتمعت عشيرة عجرد عليه، و أخذوه بإعطاء ربيعة ماله، فأعطاه إياه.

[1]الأين: التعب و النصب، و في «المختار» : «لا تستريحين» بلا النافية بدل لا الناهية مع التوكيد كما في ب.

[2]في ب: «بحلمك» بدل «بمثلك» و المثبت من هد، هج، و هو الصواب.

[3]الباطل: مفعول ثان لأخبر، و السيد: مفعول أول متأخر.

[4]موجود عليه: من الوجد بمعنى الغيظ و الاضطغان.

[5] «المختار» ، هد، هج: «لا زلت عوض» بدل «لا زلت برا» و عوض: ظرف زمان بمعنى أبدا.

[6]شيخ: خبر إني: يريد أنه يسأم التسويف و الأماني الباطلة.

[7]إضافة السنة إلى أول شهورها فقال: «نصف حول محرم» يقول: لقد ترددت عليكم نصف عام في طلب ديني، و هذا كثير.

[8]يشكونني: مضارع أشكاه: أزال أسباب شكواه، يقول: لا يكن منهم أنهم ينصفونني، و يردون إلى ديني بعد مرور عام، و بعد أن سار شعري فيهم، فألوم نفسي على ما قلت.

[9]هذا البيت تتمة ما قبله، أي و حينئذ يلتمسون ودي بعد أن ذهب شعري فيهم مذهب الأمثال، و حذفت نون «و يلتمسوا» بعد واو المعية الواقعة بعد النهي في البيت السابق «لا أعرفني» .

[10]المليم: من أتى عملا يستحق عليه اللوم، يريد أن يقول: إن المذنب هو المذنب، فلا يلق المذنب التبعة على سواه.

حماد الراوية يثرى على حسابه

:

أخبرني جعفر بن قدامة، قال: حدّثني حمّاد بن إسحاق، عن أبيه، عن الهيثم بن عديّ، عن حمّاد الرّاوية، قال: دخلت على الوليد بن يزيد، و هو مصطبح، و بين يديه معبد، و مالك، و ابن عائشة و أبو كامل، و حكم الوادي، و عمر الوادي يغنّونه، و على رأسه و صيفة تسقيه، لم أر مثلها تماما و كمالا و جمالا. فقال لي: يا حماد، أمرت هؤلاء أن يغنّوا صوتا يوافق صفة هذه الوصيفة، و جعلتها لمن وافق صفتها نحلة[1]. فما أتى أحد منهم بشيء، فأنشدني أنت ما يوافق صفتها، و هي لك؛ فأنشدته قول ربيعة بن مقروم الضّبّيّ: دار لسعدى إذ سعاد كأنّها # رشأ غرير الطّرف رخص المفصل[2]

شمّاء واضحة العوارض طفلة # كالبدر من خلل السحاب المنجلي[3]

و كأنما ريح القرنفل نشرها # أو حنوة خلطت خزامى حومل[4]

و كأنّ فاها بعد ما طرق الكرى # كأس تصفّق بالرحيق السّلسل

/لو أنها عرضت لأشمط راهب # في رأس مشرفة الذّرا متبتّل[5]

جار ساعات النّيام لربّه # حتى تخدّد لحمه مستعمل[6]

لصبا لبهجتها و حسن حديثها # و لهمّ من ناموسه بتنزّل[7]

فقال الوليد: أصبت وصفها، فاخترها أو ألف دينار، اخترت الألف الدينار، فأمرها، فدخلت إلى حرمه و أخذت المال.

و هذه القصيدة من فاخر الشعر و جيّده و حسنه، فمن مختارها و نادرها قوله:

صوت

بل إن ترى شمطا تفرّع لمّتي # و حنا قناتي و ارتقى في مسحلي[8]

[1]نحلة: عطاء.

[2]هذا البيت تكملة من المختار.

[3]العوارض: جمع عارضة: الثنية من الأسنان، أو صفحة الخد، طفلة: ناعمة رخصة.

[4]الحنوة: الريحانة، الخزامى: نبات عطري الرائحة، حومل: اسم مكان يقول: كأن ريحها ريح القرنفل، أو ريح الريحان المخلوط بخزامى

حومل.

[5]الأشمط: المختلط سواد شعره ببياض، في رأس مشرفة الذرا: في رأس قمة عالية، متبتل: متعبد، و جواب الشرط فيما يأتي.

[6]جار: مبالغة من جأر: رفع صوته و المراد رفع الصوت بالتسبيح و نحوه، و هو صفة لأشمط في البيت السابق، تخدد لحمه: تشقق من كثرة قيام الليل، مستعمل: مستعمل أعضاءه في أعمال التعبد، و ربما كانت «بتعمل» بمعنى متكلف العمل، مرغم نفسه عليه.

[7]لصبا: جواب «لو» في البيت الرابع، الناموس: بيت الراهب. و خلاصة المعنى أن هذه الفاتنة لو عرضت لراهب هذه صفته لمال إليها، و كاد يولي وجهه شطرها لا شطر القبلة.

[8]الخطاب في البيت لمحبوبته أو زوجته، الشمط: ابيضاض يخالط سواد الشعر، تفرع لمتى: انتشر، و تفشى فيها، حنا قناتي: قوس ظهري، المسحل: جانب اللحية.

و دلفت من كبر كأنّي خاتل # قنصا و من يدبب لصيد يختل[1]

فلقد أرى حسن القناة قويمها # كالنّصل أخلصه جلاء الصّيقل[2]

أزمان إذ أنا و الجديد إلى بلى # تصبي الغواني ميعتي و تنقّلي[3]

/غنى بذلك معبد ثقيلا أول:

/

و لقد شهدت الخيل يوم طرادها # بسليم أوظفة القوائم هيكل[4]

متقاذف شنج النّسا عبل الشّوى # سبّاق أندية الجياد عميثل[5]

لو لا أكفكفه لكان إذا جرى # منه العزيم يدقّ فأس المسحل[6]

و إذا جرى منه الحميم رأيته # يهوى بفارسه هوىّ الأجدل[7]

و إذا تعلّل بالسّياط جيادها # أعطاك نائيه و لم يتعلّل[8]

و دعوا: نزال فكنت أول نازل # و علام أركبه إذا لم أنزل؟

و لقد جمعت المال من جمع امرئ # و رفعت نفسي عن لئيم المأكل[9]

و دخلت أبنية الملوك عليهم # و لشرّ قول المرء ما لم يفعل

و لربّ ذي حنق عليّ كأنما # تغلي عداوة صدره كالمرجل[10]

/أزجيته عنّي فأبصر قصده # و كويته فوق النّواظر من عل[11]

و أخي محافظة عصى عذّاله # و أطاع لذّته معمّ مخول

[1]الختل: الخداع، شبه مشية الشيخ الوئيدة بمشية من يريد مباغتة الطير ليصيده، فهو يتئد في سيره، حتى لا يحدث حركة.

[2]البيت جواب

«إن ترى شمطا»

حسن القناة: مفعول ثان «لأرى» بالبناء للمجهول، يقول: إن شوه الشيب منظري اليوم فقد كنت بالأمس حسن القوام.. الخ.

[3]جملة

«و الجديد إلى بلى»

معترضة بين المبتدأ و خبره، الميعة من كل شيء: أوله، و المراد هنا عهد الشباب.

[4]سليم: صفة موصوف محذوف أي: بفرس سليم.. الخ. أوظفة: جمع وظيف: مستدق الذراع و الساق من الفرس و نحوه، هيكل: ضخم.

[5]متقاذف: سريع، شنج: منقبض، النسا: عصب الورك يمتد منه إلى الكعب، عبل الشوى: مندمج الأطراف، عميثل: ضخم قوي، «أندية الجياد» نرجح أنها تحريف آبدة الجياد أي: سباق الجياد الشاردة.

[6]العزيم: الجري، المسحل: اللجام، فأس المسحل: حديدته التي في حنك الفرس، يقول: لو لا أنني أزجره، و أخفف من وطأة سيره لقضم فأس اللجام، و في هد، هج، و «المختار» : «الشكيم» بدل «العزيم» .

[7]الحميم: العرق، الأجدل: الصقر، و سيلان العرق: كناية عن الحمو و الإيغال في العدو.

[8]جيادها: جياد الخيل، أي إذا احتاج جياد الخيل إلى السياط أعطاك هو المكان النائي دون حاجة إليها، و في هج: «أعطاك ثانية»

بدل

«أعطاك نائية»

.

[9]تنكير امرئ هنا للتعظيم، أي: من جمع امرئ عظيم كريم و في هج

«لئيم المنزل»

.

[10]في «المختار» ، هد، هج:

«و ألد ذي حنق»

.

[11]أزجيته: دفعته، و في بعض النسخ: «أوجيته» و المعنى واحد. ـ

هشّ يراح إلى النّدى نبّهته # و الصبح ساطع لونه لم ينجل[1]

فأتيت حانوتا به فصبحته # من عاتق بمزاجها لم تقتل[2]

صهباء إلياسيّة أغلى بها # يسر كريم الخيم غير مبخّل[3]

و معرّس عرض الرداء عرسته # من بعد آخر مثله في المنزل[4]

و لقد أتت مائة عليّ أعدّها # حولا فحولا لا بلاها مبتل

فإذا و ذاك كأنه ما لم يكن # إلا تذكّره لمن لم يجهل[5]

و لقد أتت مائة عليّ أعدّها # حولا فحولا لا بلاها مبتل

فإذا الشّباب كمبذل أنضيته # و الدهر يبلي كلّ جدّة مبذل[6]

هلاّ سألت و خبر قوم عندهم # و شفاء غيّك خابرا أن تسألي[7]

هل نكرم الأضياف إن نزلوا بنا # و نسود بالمعروف غير تنحّل؟[8]

/و نحلّ بالثغر المخوف عدوّه # و نردّ حال العارض المتهلّل[9]

و نعين غارمنا و نمنع جارنا # و نزين مولى ذكرنا في المحفل[10]

و إذا امرؤ منا حبا فكأنّه # مما يخاف على مناكب يذبل[11]

و متى تقم عند اجتماع عشيرة # خطباؤنا بين العشيرة يفصل[12]

و يرى العدوّ لنا دروءا صعبة # عند النجوم منيعة المتأوّل[13]

[1]يراح إلى الندى: يرتاح إليه، و في «المختار» : «ساطع ضوئه» .

[2]العاتق: الخمر المعتقة.

[3]إلياسية: نسبة الى إلياس، و لعله اسم الخمار، و في هد، هج: «صافية القذى» بدل «إلياسية» يسر: سهل سمح، أو يلعب الميسر، و في «المختار» : «إبليسية» .

[4]المعرس: مكان التعريس: الإقامة ليلا، و في هج: «عرض الندى» بدل

«عرض الرداء»

.

[5]لعل الأحسن «فإذا هذا و ذاك» فحذف المعطوف عليه، و قد تكون «فإذا» تحريف «هذا» فلا نحتاج إلى تقدير.

[6]المبذل: الثوب يلبس في المهنة.

[7]جملتا

«و خبر قوم..

إلخ البيت» اعتراض بين السؤال و المسئول عنه، خابرا: مفعول مقدم لقوله: «أن تسألي» .

[8]غير تنحل: غير ادعاء و كذب. و يروى: غير تبخل.

[9]العارض المتهلل: السحاب المعترض في الأفق، و لعله يقصد به الجيش العرمرم.

[10]المولى: من معانيه الصديق، يريد أن الصديق إذا ذكرهم في محفل وجد ما يقوله.

[11]يذبل: اسم جبل.

[12]يفصل: جواب «متى» ، يريد أن خطباءهم أرباب القول الفصل في الخصومات التي تقع بين العشائر. و في «المختار» : تفصل.

[13]الدروء: جمع درء، و هو النتوء في الجبل، المتأول: من تأول الأمر: توسمه و تحراه، يريد أن لهم مراكب و عرة، لا يتوسعها أو يتحرى سلوكها إنسان.

و إذا الحمالة أثقلت حمّالها # فعلى سوائمنا ثقيل المحمل[1]

و نحقّ في أموالنا لحليفنا # حقّا يبوء به و إن لم يسأل

و هذه جملة جمعت فيها أغاني من أشعار اليهود، إذ كانت نسبتهم و أخبارهم مختلطة، فمن ذلك:

صوت

أنّى تذكّر زينب القلب # و طلاب وصل عزيزة صعب

/ما روضة جاد الربيع لها # موشيّة ما حولها جدب

بألذّ منها إذ تقول لنا # سيرا قليلا يلحق الركب[2]

الشعر لأوس بن ذبّي القرظي، و الغناء لابن سريج ثقيل أول بالسبابة في مجرى البنصر عن إسحاق، و زعم عمرو أن فيه لحنا من الثقيل الأول بالوسطى لمالك، و أن فيه صنعة لابن محرز، و لم يجنسها.

[1]الحمالة: ما يحمل في الديات و نحوها، السائمة: الماشية، يريد أن إبلهم تتكفل بأداء الحمالات المطلوبة، و إن ثقل محملها.

[2]سيرا: مفعول مطلق لفعل محذوف، أي: سيروا على مهل حتى نلحق بكم: رفقا بالقوارير.

8-أخبار أوس و نسب اليهود النازلين بيثرب و أخبارهم

أوس بن ذبّي اليهوديّ رجل من بني قريظة، و بنو قريظة و بنو النضير يقال لهم: الكاهنان، و هم من ولد الكاهن ابن هارون بن عمران أخي موسى بن عمران صلى اللّه على محمد و آله و عليهما، و كانوا نزولا بنواحي يثرب بعد وفاة موسى ابن عمران عليه السلام، و قبل تفرق الأزد عند انفجار سيل العرم و نزول الأوس و الخزرج بيثرب.

العمالقة في المدينة

أخبرني بذلك عليّ بن سليمان الأخفش، عن جعفر بن محمد العاصي[1]عن أبي المنهال عيينة بن المنهال المهلبي، عن أبي سليمان: جعفر بن سعد، عن العماري، قال:

كان ساكنو المدينة في أول الدهر قبل بني إسرائيل قوما من الأمم الماضية، يقال لهم: العماليق، و كانوا قد تفرقوا في البلاد، و كانوا أهل عز و بغي شديد، فكان ساكني المدينة منهم بنو هفّ[2]و بنو سعد و بنو الأزرق و بنو مطروق، و كان ملك الحجاز منهم رجل يقال له: الأرقم، ينزل ما بين تيماء إلى فدك، و كانوا قد ملئوا المدينة، و لهم بها نخل كثير و زروع، و كان موسى بن عمران عليه السلام قد بعث الجنود إلى الجبابرة من أهل القرى يغزونهم، فبعث موسى عليه السلام إلى العماليق جيشا من بني إسرائيل، و أمرهم أن يقتلوهم جميعا إذا ظهروا عليهم، و لا يستبقوا منهم أحدا، فقدم الجيش الحجاز، فأظهرهم اللّه عز و جل على العماليق، فقتلوهم أجمعين إلا ابنا للأرقم؛ فإنه كان وضيئا جميلا، فضنّوا به على القتل، و قالوا: نذهب به إلى موسى بن عمران، فيرى فيه رأيه، فرجعوا إلى الشام، /فوجدوا موسى- عليه السلام-قد توفي، فقالت لهم بنو اسرائيل: ما صنعتم؟فقالوا: أظهرنا اللّه جل و عز عليهم، فقتلناهم، و لم يبق منهم أحد غير غلام كان شابا جميلا، فنفسنا به عن القتل، و قلنا: نأتي به موسى عليه السلام، فيرى فيه رأيه، فقالوا لهم: هذه معصية: قد أمرتم ألاّ تستبقوا منهم أحدا، و اللّه لا تدخلون علينا الشام أبدا.

أول استيطان اليهود المدينة

فلما منعوا ذلك قالوا: ما كان خيرا لنا من منازل القوم الذين قتلناهم بالحجاز؛ نرجع إليهم[3]، فنقيم بها، فرجعوا على حاميتهم، حتى قدموا المدينة، فنزلوها، و كان ذلك الجيش أول سكنى اليهود المدينة، فانتشروا في نواحي المدينة كلها إلى العالية، فاتّخذوا بها الآطام[4]و الأموال و المزارع، و لبثوا بالمدينة زمانا طويلا.

[1]في هج: «محمد بن عاصم» و في هد: «محمد العاصمي» .

[2]في هج: «بنو نعف» .

[3]في بعض ب: «يرجع اليها» .

[4]الآطام: جمع أطم بضمتين، أو أطم بضم فسكون: الحصون، أو كل بناء مرتفع.

بنو قريظة النضير يلحقون بإخوانهم

ثم ظهرت الروم على بني إسرائيل جميعا بالشام، فوطئوهم، و قتلوهم، و نكحوا نساءهم فخرج بنو النّضير و بنو قريظة و بنو بهدل[1]هاربين منهم إلى من بالحجاز من بني إسرائيل لمّا غلبتهم الروم على الشام، فلما فصلوا عنها بأهليهم بعث ملك الروم في طلبهم؛ ليردهم، فأعجزوه، و كان ما بين الشام و الحجاز مفاوز، فلم بلغ/طلب الروم التمر[2]انقطعت أعناقهم عطشا، فماتوا، و سمي الموضع تمر الروم، فهو اسمه إلى اليوم، فلما قدم بنو النضير و بنو قريظة و بهدل المدينة نزلوا الغابة، فوجدوها وبيّة[3]فكرهوها، و بعثوا رائدا أمروه أن يلتمس منزلا سواها، فخرج حتى أتى العالية، و هي بطحان و مهزور: واديان من حرّة على تلاع أرض عذبة، بها مياه عذبة تنبت حرّ الشجر، فرجع إليهم، فقال: /قد وجدت لكم بلدا طيبا نزها على حرّة يصب فيها واديان على تلاع عذبة و مدرة[4]طيبة في متأخّر الحرة و مدافع الشّرج، قال: فتحوّل القوم إليها من منزلهم ذلك، فنزل بنو النضير و من معهم على بطحان، و كانت لهم إبل نواعم، فاتخذوها أموالا، و نزلت بنو النضير و من معهم على بطحان، و كانت لهم إبل نواعم، فاتخذوها أموالا، و نزلت بنو قريظة و بهدل و من معهم على مهزور، فكانت لهم تلاعه و ما سقي[5] من بعاث و سماوات[6]، فكان ممن يسكن المدينة-حين نزلها الأوس و الخزرج-من قبائل بني إسرائيل بنو عكرمة[7]، و بنو ثعلبة، و بنو محمر[8]، و بنو زغورا[9]، و بنو قينقاع، و بنو زيد، و بنو النضير، و بنو قريظة، و بنو بهدل، و بنو عوف، و بنو الفصيص[10]، فكان يسكن يثرب جماعة من[11]أبناء اليهود، فيهم الشرف و الثروة و العز على سائر اليهود، و كان بنو مرانة في موضع بني حارثة، و لهم كان الأطم الذي يقال له: الخال.

بطون من العرب بالمدينة

و كان معهم من غير بني إسرائيل بطون من العرب منهم: بنو الحرمان[12]: حي من اليمن، و بنو مرثد حي من بليّ، و بنو أنيف من بليّ أيضا، و بنو معاوية حي من بني سليم ثم من بني الحارث بن بهثة، و بنو الشطية: حي من غسّان، و كان يقال لبني قريظة و بني النضير خاصة من اليهود: الكاهنان، نسبوا بذلك إلى جدهم الذي/يقال له الكاهن، كما يقال: العمران و الحسنان و القمران[13]، قال كعب بن سعد القرظيّ: [1]في بعض النسخ: «هدل» .

[2]في هد، هج: «الثمد» .

[3]وبية: تخفيف و بيئة-بالهمز-بمعنى كثر فيها الوباء.

[4]مدرة: تربة.

[5]العلها «و ما بقي» بدل «و ما سقي» .

[6]في ب: «سمرات» و في آخر: «سمران» .

[7]في هد، هج؛ «بنو عكوة» .

[8]في ب: «محمم» .

[9]في ب: «بنو زعورا» بالعين المهملة بدل «بنو زغورا» و في أخرى: «بنو زرعوا» .

[10]في هد، هج: «بنو القصص» .

[11]في هد. هج: «جماع من أمناء اليود» .

[12]في هد: «بنو الحرماء» .

[13]العمران: أبو بكر و عمر، و الحسنان: الحسن و الحسين، و القمران: الشمس و القمر، و يسمى هذا في اللغة التغليب.

بالكاهنين قررتم في دياركم # جمّا ثواكم و من أجلاكم جدبا[1]

و قال العبّاس بن مرداس السّلمي يردّ على خوّات بن جبير لمّا هجاهم:
هجوت صريح الكاهنين و فيكم # لهم نعم كانت مدى الدهر ترتبا[2]

عرب آخرون يلحقون بإخوانهم

فلما أرسل اللّه سيل العرم على أهل مأرب، و هم الأزد، قام رائدهم فقال: من كان ذا جمل مفنّ و وطب مدنّ و قربة و شنّ، فلينقلب عن بقرات النعم، فهذا اليوم يوم همّ[3]و ليلحق بالثّنى من شنّ-قال و هو بالسراة-فكان الذين نزلوه أزد شنوءة، ثم قال لهم: و من كان ذا فاقة و فقر، و صبر على أزمات الدهر فليلحق ببطن مرّ، فكان الذين سكنوه خزاعة، ثم قال لهم: من كان منكم يريد الخمر و الخمير، و الأمر و التأمير، و الديباج و الحرير، فليلحق ببصري و الحفير، و هي من أرض الشام، فكان الذين سكنوه غسّان ثم قال لهم: و من كان منكم ذا همّ بعيد و جمل شديد، و مزاد جديد، فليلحق بقصر عمان الجديد، فكان الذين نزلوه أزد عمان، ثم قال: و من كان يريد الرّاسخات في الوحل، المطمعات في المحل، فليلحق بيثرب ذات النخل. فكان الذين نزلوها الأوس و الخزرج، فلما توجهوا إلى المدينة و وردوها نزلوا/في صرار[4]ثم تفرقوا، و كان منهم من لجأ إلى عفاء[5]من أرض لا ساكن فيه، فنزلوا به، و منهم من لجأ إلى قرية من قراها، فكانوا مع أهلها، فأقامت الأوس و الخزرج في منازلهم التي/نزلوها بالمدينة في جهد و ضيق في المعاش، ليسوا بأصحاب إبل و لا شاة؛ لأن المدينة ليست بلاد نعم، و ليسوا بأصحاب نخل و لا زرع، و ليس للرجل منهم إلا الأعذاق[6]اليسيرة، و المزرعة يستخرجها من أرض موات، و الأموال لليهود، فلبثت الأوس و الخزرج بذلك حينا.

أبو جبيلة يفتك باليهود

ثم إن مالك بن العجلان وفد إلى أبي جبيلة الغسّاني و هو يومئذ ملك غسان، فسأله عن قومه و عن منزلهم فأخبره بحالهم؛ و ضيق معاشهم، فقال له أبو جبيلة: و اللّه ما نزل قوم منا بلدا قط إلا غلبوا أهله عليه، فما بالكم؟ ثم أمره بالمضي إلى قومه، و قال له: أعلمهم أني سائر إليهم، فرجع مالك بن العجلان، فأخبرهم بأمر أبي جبيلة؛ ثم قال لليهود: إن الملك يريد زيارتكم فأعدّوا نزلا فأعدّوه، و أقبل أبو جبيلة سائرا من الشام في جمع كثيف، حتى قدم المدينة، فنزل بذي حرض، ثم أرسل إلى الأوس و الخزرج، فذكر لهم الذي قدم له، و أجمع أن يمكر باليهود حتى يقتل رءوسهم و

أشرافهم، و خشي إن لم يمكر بهم أن يتحصّنوا في آطامهم، فيمنعوا منه حتى يطول حصاره إياهم، [1]جما ثواكم: كثيرة إقامتكم، و في هد، هج بدل المصراع الثاني: «إذ فرقوا هام من أجلاكمو حدبا»

.

[2]ترتبا: أمرا ثابتا.

[3]المفن: ذو الفن، فلعله يعني تفنن الجمل في ضروب السير. الوطب: الإناء يسقى فيه اللبن و غيره، و لعلها «و وطب و دن» ، يوم هم: يوم همة و عزيمة.

[4]صرار: موضع على قرب من المدينة.

[5]عفاء: يباب.

[6]الأعذاق: جمع عذق-بفتح العين-و هو النخلة بحملها.

فأمر ببنيان حائر[1]واسع، فبني، ثم أرسل إلى اليهود: أن أبا جبيلة الملك قد أحب أن تأتوه، فلم يبق وجه من وجوه القوم إلا أتاه، و جعل الرجل يأتي معه بخاصّته و حشمه رجاء أن يحبوهم، فلما اجتمعوا ببابه أمر رجالا من جنده أن يدخلوا الحائر، و يدخلوهم/رجلا رجلا، فلم يزل الحجّاب يأذنون لهم كذلك، و يقتلهم الجند الذين في الحائر، حتى أتوا على آخرهم

سارة القريظية ترثي قومها

فقالت سارة القريظية ترثي من قتل، منهم أبو جبيلة، تقول: بنفسي أمّة لم تغن شيئا # بذي حرض تعفّيها الرياح

كهول من قريظة أتلفتها # سيوف الخزرجيّة و الرّماح

رزئنا و الرزيّة ذات ثقل # يمرّ لأهلها الماء القراح

و لو أربوا بأمرهم لجالت # هنالك دونهم جأوا رداح[2]

الرمق يمدح أبا جبيلة

و قال الرّمق[3]، و هو عبيد بن سالم بن مالك بن عوف بن عمرو بن عوف بن الخزرج يمدح أبا جبيلة الغساني: لم يقض دينك في الحسا # ن و قد غنيت و قد غنينا[4]

الرّاشقات المرشقا # ت الجازيات بما جزينا[5]

أمثال غزلان الصرا # ثم يأتزرن و يرتدينا[6]

/الرّيط و الدّيباج # و الزّرد المضاعف و البرينا[7]

و أبو جبيلة خير من # يمشي و أوفاهم يمينا

و أبرّه برّا و أعلـ # مه بعلم الصالحينا[8]

أبقت لنا الأيام # و الحرب المهمّة تعترينا

كبشا لنا ذكرا يفلّ # حسامه الذكر السّنينا[9]

[1]الحائر: المكان المطمئن الوسط المرتفع الحروف يجتمع فيه الماء، فيتحير، و لا يخرج.

[2]أربوا: كانوا من ذوي الأرب-بفتح الهمزة و كسرها مع سكون الراء- بمعنى الفطنة و الحذق، الجأوا: مقصور الجأواء: من أوصاف الكتيبة، رداح: كثيرة العدد، و في بعض المراجع ورد البيت على هذا النحو: و لو أذنوا بحربهمو لجالت # هنالك دونهم حرب رداح

[3]في بعض النسخ: «الوسق» و في آخر: «الربيق» .

[4]غنيت، غنين: أقمت و أقمن: من غنى بالمكان أقام به، أي: لم تنل مرادك من الحسان من غير نأي و لا بعد، فأنت و هن في مكان واحد.

[5]الراشقات: الراميات بسهام العيون، المرشقات: من أرشق الظبى: مد عنقه.

[6]الصرائم: جمع صريمة: القطعة من الرمل.

[7]الريط: مفعول يرتدين في البيت السابق، و هي الثياب اللينة الرقيقة، و في هد، هج: «الخمل» بدل «الزرد» و هو أنسب، و الخمل: القطيفة و نحوها. و البرين، جمع برة: الحلقة من سوار أو خلخال أو حلق و نحو ذلك.

[8]في هد، هج:

«بفعل الصالحينا»

.

[9]الكبش: سيد القوم المدافع عنهم، الذكر السنين: السيف المسنون، و في ب: «الثمين» بدل «السنين» و هو تحريف.

و معاقلا شمّا و أسيـ # افا يقمن و ينحنينا

/و محلّة زوراء تر # جف بالرجال المصلتينا[1]

بقية خبر أبي جبيلة

فلما أنشدوا أبا جبيلة ما قال الرمق، أرسل إليه، فجيء به، و كان رجلا ضئيلا غير وضيء، فلما رآه قال: «عسل طيب و وعاء سوء» ، فذهبت مثلا، و قال للأوس و الخزرج: إن لم تغلبوا على هذه البلاد بعد من قتلت من أشراف أهلها فلا خير فيكم، ثم رحل إلى الشام.

و قال الصامت بن أصرم النّوفليّ يذكر قتل أبي جبيلة اليهود: سائل قريظة من يقسّم سبيها # يوم العريض و من أفاء المغنما؟

جاءتهم الملحاء يخفق ظلّها # و كتيبة خشناء تدعو أسلما[2]

عمّي الذي جلب الهمام لقومه # حتى أحلّ على اليهود الصّيلما[3]

/يعني بقوله: «من يقسّم سبيها» نسوة سباهنّ أبو جبيلة من بني قريظة، و كان رآهن فأعجبنه، و أعطى مالك بن العجلان منهن امرأة.

مالك بن العجلان يقتفي أثر أبي جبيلة

قال أبو المنهال أحد بني المعلّى: إنهم أقاموا زمنا بعد ما صنع، و يهود تعترض عليهم، و تناوئهم، فقال مالك ابن العجلان لقومه: و اللّه ما أثخنّا يهود غلبة كما نريد، فهل لكم أن أصنع لكم طعاما، ثم أرسل في مائة من أشراف من بقي من اليهود، فإذا جاءوني فاقتلوهم جميعا، فقالوا: نفعل، فلما جاءهم رسول مالك قالوا: و اللّه لا نأتيهم أبدا، و قد قتل أبو جبيلة منا من قتل، فقال لهم مالك: إن ذلك كان على غير هوى منا، و إنما أردنا أن نمحوه، و تعلموا حالكم عندنا، فأجابوه، فجعل كلما دخل عليه رجل منهم أمر به مالك فقتل، حتى قتل منهم بضعة و ثمانين رجلا، ثم إن رجلا منهم أقبل حتى قام على باب مالك، فتسمّع فلم يسمع صوتا فقال: أرى أسرع و رد و أبعد صدر[4]، فرجع و حذّر أصحابه الذين بقوا، فلم يأت منهم أحد، فقال رجل من اليهود لمالك بن العجلان: فسفّهت قيلة أحلامها # ففيمن بقيت و فيمن تسود؟[5]

فقال مالك:

فإنّي امرؤ من بني سالم # بن عوف و أنت امرؤ من يهود

قال: و صوّرت اليهود مالكا في بيعهم و كنائسهم، فكانوا يلعنونه كلما دخلوها، فقال مالك بن العجلان في ذلك قوله: [1]زوراء: بعيدة، يريد بعيدة المنال، المصلتين: المجردين سيوفهم.

[2]الملحاء: الكتيبة العظيمة، الخشناء: كثيرة السلاح.

[3]الصيلم: الداهية الشديدة، أو اسم من أسماء السيف، و في ب: «عي» بدل «عمي» و هو تحريف.

[4]يريد إن دخل لا يرجع.

[5]قيلة: أم الأوس و الخزرج، أحلامها: بدل من قيلة. و في ب بدل المصراع الأول

«تسقيت قبلة أخلافها»

و هو تحريف.

تحامى اليهود بتلعانها # تحامي الحمير بأبوالها[1]

/فما ذا عليّ بأن يلعنوا # و تأتي المنايا بأذلالها[2]

اليهود يذلون للعرب

قال: فلما قتل مالك من يهود من قتل ذلّوا؛ و قلّ امتناعهم؛ و خافوا خوفا شديدا؛ و جعلوا كلما هاجهم أحد من الأوس و الخزرج بشيء يكرهونه لم يمش بعضهم إلى بعض، كما كانوا يفعلون قبل ذلك، و لكن يذهب اليهوديّ إلى جيرانه الذين هو بين أظهرهم فيقول: إنما نحن جيرانكم و مواليكم، فكان كل قوم من يهود قد لجئوا إلى بطن من الأوس و الخزرج، يتعززون بهم.

يهودية تعتنق الإسلام

و ذكر أبو عمرو الشيباني أن أوس بن ذبّى القرظي كانت له امرأة من بني قريظة أسلمت و فارقته، ثم نازعتها نفسها إليه، فأتته، و جعلت ترغبه في الإسلام، فقال فيها: دعتني إلى الإسلام يوم لقيتها # فقلت لها: لا بل تعالي تهوّدي

فنحن على توراة موسى و دينه # و نعم لعمري الدين دين محمد

/كلانا يرى أن الرّسالة دينه # و من يهد أبواب المراشد يرشد[3]

و من الأغاني في أشعار اليهود:

صوت

أ عاذلتي ألا لا تعذليني # فكم من أمر عاذلة عصيت

دعيني و ارشدي إن كنت أغوى # و لا تغوى زعمت كما غويت

أعاذل قد أطلت اللّوم حتّى # لو أنّي منته لقد انتهيت

و حتى لو يكون فتى أناس # بكى من عذل عاذلة بكيت

و صفراء المعاصم قد دعتني # إلى وصل فقلت لها: أبيت

و زقّ قد جررت إلى النّدامى # و زقّ قد شربت و قد سقيت

الشعر للسموأل بن عاديا-فيما رواه السكري عن الطوسيّ-و رواه أبو خليفة عن محمد بن سلام، و الغناء [1]تحامى: مصدر تحامي، يريد أنهم يطلبون الحماية بلعنه في الكنائس كما تحمي الحمير نفسها ببولها، و في ب «تخاني» -بالنون- و هو تحريف.

[2]أذلال: جمع ذل-بفتح الذال-بمعنى الطريق الممهد. أي و ما ذا يضيرني من لعنهم و المنايا تسير في طرقها إليهم؟ (أو سعتهم سبّا و راحوا بالإبل) .

[3]في هد. هج: «الرشادة» بدل «الرسالة» .

349

لابن محرز خفيف ثقيل بالسبّابة في مجرى الوسطى عن إسحاق في الأول و الثاني و الرابع و الخامس من الأبيات؛ و زعم ابن المكي أنه لمعبد، و زعم عمرو ابن بانة أنه لمالك، ولد حمان أيضا في الأول و الثاني و الخامس و السادس رمل بالوسطى و زعم ابن المكي أن هذا الرمل لابن سريج، و في الأول و الثاني و السادس رمل بالوسطى، لأبي عبيد مولى فائد ثاني ثقيل عن يحيى المكي، و زعم الهشامي أن الرمل لعبد العزيز الدفاف.

9-أخبار السموأل و نسبه

نسبه

هو السموأل بن عريض بن عاديا، بن حباء[1]، ذكر ذلك أبو خليفة عن محمد بن سلام و السكري عن الطوسي و ابن حبيب، و ذكر أن الناس يدرجون عريضا في النسب، و ينسبونه إلى عاديا جده، و قال عمر بن شبة: هو السموأل بن عاديا، و لم يذكر عريضا.

و حكى عبد اللّه بن أبي سعد عن دارم بن عقال-و هو من ولد السموأل-أن عاديا بن رفاعة بن ثعلبة بن كعب ابن عمرو مزبقيا بن عامر ماء السماء، و هذا عندي محال؛ لأن الأعشى أدرك شريح بن السموأل و أدرك الإسلام، و عمرو مزيقيا قديم، لا يجوز أن يكون بينه و بين السموأل ثلاثة آباء و لا عشرة بل أكثر، و اللّه أعلم.

من مفاخر السموأل

و قد قيل: إن أمه كانت من غسان، و كلهم قالوا: إنه كان صاحب الحصن المعروف بالأبلق بتيماء المشهور بالوفاء، و قيل: بل هو من ولد الكاهن بن هارون بن عمران، و كان هذا الحصن لجده عاديا، و احتفر فيه بئرا رويّة عذبة، و قد ذكرته الشعراء في أشعارها، قال السموأل: فبالأبلق الفرد بيتي به # و بيت النضير سوى الأبلق

و قال السموأل يذكر بناء جدّه الحصن:

بنى لي عاديا حصنا حصينا # و ماء كلما شئت استقيت

و كانت العرب تنزل به، فيضيفها، و تمتار من حصنه، و تقيم هناك سوقا.

/و به يضرب المثل في الوفاء لإسلامه ابنه حتى قتل، و لم يخن أمانته في أدراع أودعها.

امرؤ القيس يفد عليه

و كان السبب في ذلك-فيما ذكر لنا محمد بن السائب الكلبي-أن امرأ القيس بن حجر لمّا سار إلى الشام يريد /قيصر نزل على السموأل بن عاديا يحصنه الأبلق بعد إيقاعه ببني كنانة على أنهم بنو أسد و كراهة أصحابه لفعله، و تفرقهم عنه، حتى بقي وحده، و احتاج إلى الهرب، فطلبه المنذر بن ماء السماء، و وجه في طلبه جيوشا من إياد و بهراء و تنوخ و جيشا من الأساورة أمده بهم أنو شروان، و خذلته حمير، و تفرقوا عنه: فلجأ[2]إلى السموأل و معه أدراع كانت لأبيه خمسة: الفضفاضة، و الضافية، و المحصنة

و الخريق، و أم الذيول، و كانت الملوك من بني آكل [1]في هد: «عاديا بن حيا» ، و في هج: «عاديا بن حبيا» .

[2]فلجأ... الخ: تكرار لجملة «نزل على السموأل» التي تقدمت، و ذلك لطول الفصل. ـ

المرار يتوارثونها ملك عن ملك[1]، و معه بنته هند، و ابن عمه يزيد بن الحارث بن معاوية بن الحارث، و سلاح و مال كان بقي معه، و رجل من بني فزارة يقال له: الربيع بن ضبع شاعر، فقال له الفزاريّ: قل في السموأل شعرا تمدحه به، فإن الشعر يعجبه و أنشده الربيع شعرا مدحه به و هو قوله: و لقد أتيت بني المصاص مفاخرا # و إلى السموأل زرته بالأبلق[2]

فأتيت أفضل من تحمّل حاجة # إن جئته في غارم أو مرهق[3]

عرفت له الأقوام كلّ فضيلة # و حوى المكارم سابقا لم يسبق

/قال: فقال امرؤ القيس فيه قصيدته:

طرقتك هند بعد طول تجنّب # وهنا و لم تك قبل ذلك تطرق

قال: و قال الفزاري: إن السموأل يمنع منك حتى يرى ذات عينك، و هو في حصن حصين و مال كثير، فقدم به على السموأل، و عرفه إياه، و أنشداه الشعر، فعرف لهما حقّهما، و ضرب على هند قبّة من أدم، و أنزل القوم في مجلس له براح، فكانت عنده ما شاء اللّه[4].

امرؤ القيس يستودعه ودائعه و يرحل

ثم إن امرأ القيس سأله أن يكتب له إلى الحارث بن أبي شمر الغسّاني أن يوصله إلى قيصر، ففعل، و استصحب معه رجلا يدله على الطريق، و أودع بنيه[5]و ماله و أدراعه السموأل، و رحل إلى الشام، و خلّف ابن عمه يزيد بن الحارث مع ابنته هند، قال: و نزل الحارث بن ظالم في بعض غاراته بالأبلق؛ و يقال: بل الحارث بن أبي شمر الغساني؛ و يقال: بل كان المنذر وجه بالحارث بن ظالم في خيل، و أمره بأخذ مال امرئ القيس من السموأل.

يضحي بابنه في سبيل الوفاء

فلما نزل به تحصن منه، و كان له ابن قد يفع و خرج إلى قنص له، فلما رجع أخذه الحارث بن ظالم، ثم قال للسموأل: أ تعرف هذا؟قال: نعم، هذا ابني، قال: أ فتسلّم ما قبلك أم أقتله؟قال: شأنك به، فلست أخفر ذمّتي، و لا أسلم مال جاري، فضرب الحارث وسط الغلام، فقطعه قطعتين، و انصرف عنه؛ فقال السموأل في ذلك: وفيت بأدرع الكنديّ إني # إذا ما ذمّ أقوام وفيت

و أوصى عاديا يوما بألاّ # تهدّم يا سموأل ما بنيت

بنى لي عاديا حصنا حصينا # و ماء كلّما شئت استقيت

[1]في بعض النسخ: «يتوارثونها ملكا عن ملك» بالنصب على الحالية، لا بالرفع على البدلية، كما في ب، و كلاهما صحيح.

[2] «المختار» ، هد، هج «بني المضاض» بالضاد المعجمة، لا بالصاد المهملة، كما في ب، و في بعض النسخ: «جئته» بدل «زرته» .

[3]في «المختار» :

«في موثق أو مرهق»

.

[4]في هد: «فأقاما عنده ما شاء اللّه» .

[5]في هد: «و أودع أمته» ، و في هج: «و أودع ابنته» .

الأعشى يستجير بابنه فيجيره

و قال الأعشى يمدح السموأل و يستجير بابنه شريح[1]بن السموأل من رجل كلبي كان الأعشى هجاه، ثم ظفر به، فأسره، و هو لا يعرفه، فنزل بشريح بن السموأل، و أحسن ضيافته، و مرّ بالأسرى، فناداه الأعشى:
شريح لا تسلمني اليوم إذا علقت # حبالك اليوم بعد القيد أظفاري[2]

/قد سرت ما بين بلقاء إلى عدن # و طال في العجم تكراري و تسياري[3]

فكان أكرمهم عهدا و أوثقهم # عقدا أبوك بعرف غير إنكار

كالغيث ما استمطروه جاد وابله # و في الشدائد كالمستأسد الضاري

كن كالسّموءل إذ طاف الهمام به # في جحفل كسواد الليل جرّار[4]

إذ سامه خطّتي خسف فقال له: # قل ما تشاء فإني سامع حار[5]

فقال: غدر و ثكل أنت بينهما # فاختر، و ما فيهما حظّ لمختار

فشكّ غير طويل ثم قال له: # اقتل أسيرك إنّي مانع جاري

و سوف يعقبنيه إن ظفرت به # ربّ كريم و بيض ذات أطهار[6]

لا سرّهنّ لدينا ذاهب هدرا # و حافظات إذا استودعن أسراري[7]

فاختار أدراعه كيلا يسبّ بها # و لم يكن وعده فيها بختّار[8]

/فجاء شريح إلى الكلبي فقال له: هب لي هذا الأسير المضرور فقال: هو لك، فأطلقه، و قال له: أقم عندي، حتى أكرمك، و أحبوك، فقال له الأعشى: إن تمام إحسانك إليّ أن تعطيني ناقة ناجية[9]، و تخلّيني الساعة، فأعطاه ناقة ناجية، فركبها و مضى من ساعته. و بلغ الكبيّ أن الذي وهب لشريح هو الأعشى، فأرسل إلى شريح، ابعث إليّ الأسير الذي وهبت لك حتى أحبوه، و أعطيه، فقال: قد مضى، فأرسل الكلبيّ في أثره، فلم يلحقه.

[1]في هد، هج: «شويح» بدل «شريح» .

[2]في هد، هج، «المختار» : «بعد القد» بدل «بعد القيد» و المعنى واحد.

[3] «المختار» ، هد، هج «بانقيا» بدل «بلقاء» .

[4]يقصد بالهمام الحارث بن ظالم الذي تقدم ذكره، أو المنذر الذي أرسله، و في هد: «في عسكر» بدل «في جحفل» و في هج و المختار «كهزيع الليل» بدل «كسواد الليل» .

[5]حار: ترخيم حارث.

[6]يعني

«ببيض ذات أطهار»

زوجاته.

[7]كان القياس أن تتكرر «لا» .

[8]ختار: غدار.

[9]ناجية: سريعة، و إنما بادر الأعشى بالهرب خشية أن يعرف الكلبي هويته فيسترده.

10-سعية بن عريض

سعية[1]بن عريض بن عاديا أخو السموأل شاعر، فمن شعره الذي يغنّى فيه قوله:

صوت

يا دار سعدى بمقصى تلعة النّعم # حيّيت دارا على الإقواء و القدم[2]

عجنا فما كلّمتنا الدار إذ سئلت # و ما بها عن جواب خلت من صمم

و ما بجزعك إلا الوحش ساكنة # و هامد من رماد القد و الحمم[3]

الشعر لسعية بن عريض، و الغناء لابن محرز ثقيل أول بالسبابة في مجرى البنصر عن إسحاق، و فيه خفيف ثقيل عن الهشامي، و له فيه خفيف ثقيل عن الهشامي، و يقال: إنه لمالك، و فيه لابن جؤذرة رمل عن الهشامي.

و سعية بن عريض القائل، و فيه غناء:

صوت

لباب هل عندك من نائل # لعاشق ذي حاجة سائل

علّلته منك بما لم ينل # يا ربّما علّلت بالباطل

الغناء لابن سريج رمل بالسبابة في مجرى الوسطى، عن إسحاق، و فيه لابن الهربذ/خفيف رمل بالوسطى عن عمرو، و فيه لمتيّم رمل آخر من جامعها، و فيه لحن ليونس غير مجنس، و أول هذه القصيدة: لباب يا أخت بني مالك # لا تشتري العاجل بالآجل

لباب داويني و لا تقتلي # قد فضّل الشافي على القاتل[4]

إن تسألي بي فاسألي خابرا # و العلم قد يكفي لدى السائل

/ينبيك من كان بنا عالما # عنّا و ما العالم كالجاهل

أنّا إذا حارت دواعي الهوى # و أنصت السامع للقائل

[1]في هد، هج: «سعيد» بدل «سعيه» و في ب: سعية بن غريض و له ترجمة في الجزء 3/129 ط الدار.

[2]مقصى: اسم مكان من قصا: بمعنى بعد، و هذه هي رواية هد، و في ب: بمنضى «و هو تحريف» .

[3]الجزع: منعطف الوادي، أو وسطه، و رواية «بجزعك» رواية هد، هج، و ب و الحمم: الفحم و الرماد، و كل ما تخلف مما أحرقته النار.

[4]في «المختار» :

«قد فضل الساقي... »

.

و اعتلج القوم بألبابهم # في المنطق الفاصل و النائل[1]

لا نجعل الباطل حقّا و لا # نلظّ دون الحق بالباطل[2]

نخاف أن تسفه أحلامنا # فنخمل الدهر مع الخامل

معاوية يتمثل بشعره

أخبرني محمد بن خلف وكيع[3]، قال: حدثني أحمد بن الهيثم الفراسي: قال: حدثني العمري، عن العتبي، قال: كان معاوية يتمثل كثيرا إذا اجتمع الناس في مجلسه بهذا الشعر: إنا إذا مالت دواعي الهوى # و أنصت السامع للقائل

لا نجعل الباطل حقّا و لا # نلظّ دون الحق بالباطل

نخاف أن تسفه أحلامنا # فنخمل الدهر مع الخامل

عبد الملك بن مروان يسمع شعره قبل القضاء

أخبرني الحرميّ بن أبي العلاء: قال: حدثنا الزبير بن بكار: قال: أخبرني عبد الملك بن عبد العزيز قال: أخبرني خالي يوسف بن الماجشون، قال:

كان عبد الملك بن مروان إذا جلس للقضاء بين الناس أقام وصيفا على رأسه ينشده: إنا إذا مالت دواعي الهوى # و أنصت السّامع للقائل

و اصطرع القوم بألبابهم # نقضي بحكم عادل فاصل

لا نجعل الباطل حقّا و لا # نلظّ دون الحق بالباطل

نخاف أن تسفه أحلامنا # فنخمل الدّهر مع الخامل

ثم يجتهد عبد الملك في الحق بين الخصمين.

أصحابه يميلون مع الريح

أخبرني وكيع و الحسن بن علي قالا: حدثنا أبو قلابة: قال: حدثنا الأصمعي، عن أبي الزناد، عن أبيه، عن رجال من الأنصار: أنّ سعية بن عريض أخا السموأل بن عاديا كان ينادم قوما من الأوس و الخزرج، و يأتونه، فيقيمون عنده، و يزورونه في أوقات قد ألف زيارتهم فيها، فأغار عليه بعض ملوك اليمن، فانتسف[4]من ماله حتى افتقر، و لم يبق له مال، فانقطع عنه إخوانه، و جفوه، فلما أخصب، و عادت حاله، و تراجعت راجعوه، فقال في ذلك: [1]في «المختار» :

«نقضي بحكم عادل فاصل»

بدل:

«في المنطق الفاصل و النائل»

، و في هد، هج:

«في المنطق القائل و الفاصل»

.

[2]لظ بالشيء و ألظ به: تمسك به، و لزمه. و في «المختار» : «نلط» .

[3]في هد: محمد بن خلف بن المرزبان.

[4]انتسف ماله: من نسف الشيء: اقتلعه من أصله.

أرى الخلاّن لما قلّ مالي # و أجحفت النوائب ودّعوني

فلما أن غنيت و عاد مالي # أراهم لا أبا لك راجعوني

/و كان القوم خلاّنا لمالي # و إخوانا لما خوّلت دوني

فلما مرّ مالي باعدوني # و لما عاد مالي عاودوني[1]

[2] و من أشعار اليهود و يغنّى به[2]:

صوت

هل تعرف الدار خفّ ساكنها # بالحجر فالمستوى إلى ثمد[3]

دار لبهنانة خدلّجة # تضحك عن مثل جامد البرد[4]

نعم ضجيع الفتى إذا برد # الليل و غارت كواكب الأسد

/يا من لقلب متيّم سدم # عان رهين أحيط بالعقد[5]

أزجره و هو غير مزدجر # عنها و طرفي مقارن السّهد

تمشي الهوينا إذا مشت فضلا # مشى النزيف المبهور في صعد[6]

تظل من زور بيت جارتها # واضعة كفها على الكبد[7]

/الشعر لأبي الزّناد[8]اليهودي العديمي[9]، و الغناء لابن مسجح ثقيل أول بالوسطى في الثلاثة الأبيات الأول، عن الهشامي و يحيى المكي، و فيها لمعبد خفيف ثقيل أول عن الهشامي، و قال: أظنه من منحول يحيى بن المكي، و قد نسب قوم هذا اللحن المنسوب إلى معبد إلى ابن مسجح، و لابن محرز في

«يا من لقلب»

.

و ما بعده خفيف ثقيل مطلق في مجرى الوسطى عن إسحاق، و ذكر عمرو أن فيها لحنا لمعبد لم يذكر طريقته، و ذكر ذلك في كتاب عمله الواثق قديما غير مجنس، و هذا الشعر يقوله أبو الزناد في أهل تيماء يرثيهم، و ذكر ذلك عمر بن شبة: [10]و من الغناء في أشعار اليهود من قريظة و النّضير[10]: [1]في هد، هج: «فلما شذ» بدل «فلما مر» .

(2-2) التكملة من هج.

[3]في هد، هج: «إلى السند» .

[4]الهنانة: الطيبة النفس و الريح، و الضحوك الخفيفة الروح، الخدلجة: الممتلئة الساقين و العضدين.

[5]سدم: يقال: عاشق سدم: شديد العشق.

[6]فضل: مختالة في مشيتها، تفضل من ذيل ردائها، النزيف: المنتشى من السكر و نحوه، المبهور: من انقطع نفسه من الإعياء، في صعد: في علو و ارتفاع، لأن مشية الصاعد أشق من مشية المنحدر، إذ الأول ضد جاذبية الأرض بخلاف الثاني.

[7]كنى بوضع اليد على الكبد عن الخوف من الرقباء و نحوهم.

[8]في هج: «لأبي الذيان» .

[9]في هد: «القرظي» .

(10-10) التكملة من هد.

356

صوت

دور عفت بقرى الخابور غيّرها # بعد الأنيس سوافي الرّيح و المطر

إن تمس دارك ممّن كان ساكنها # وحشا فذلك صرف الدهر و الغير[1]

و قد تحل بها بيض ترائبها # كأنها بين كثبان النّقا البقر[2]

الشعر للربيع بن أبي الحقيق، روى ذلك السكري، عن الطوسي، و عن محمد بن حبيب، و الغناء لابن محرز خفيف ثقيل أول بالوسطى عن عمرو، و هو صوت مشهور ابتداؤه نشيد.

[1]في هد، هج

«ممن كان يسكنها»

.

[2]في بعض النسخ بدل المصراع الأول

«حلت بها كل مبيض تراتبا»

و التراتب: عظام الصدر مما يلي الترقوتين، أو موضع القلادة، مفردها تربية.

11-أخبار الربيع بن أبي الحقيق[1]

الربيع رئيس لبني قريظة

كان الربيع من شعراء اليهود من بني قريظة، و هم و بنو النضير جميعا من ولد هارون بن عمران، يقال لهما: الكاهنان، و كان الربيع أحد الرؤساء في يوم حرب بعاث، و كان حليفا للخزرج هو و قومه، فكانت رئاسة بني قريظة للربيع، و رئاسة الخزرج لعمرو بن النّعمان البياضيّ، و كان رئيس بني النضير يومئذ سلام بن مشكم.

يلتقي بالنابغة الذبياني

أخبرني عمي و محمد بن حبيب بن نصر المهلبيّ، قال: حدثنا عبد اللّه بن أبي سعد، قال: حدثني محمد بن الحسن الأنصاريّ، قال: حدثني الحسن بن موسى؛ مولى بني مازن بن النجار عن أبي عبيدة قال: أقبل النابغة الذبياني يريد سوق بني قينقاع، فلحقه الربيع بن أبي الحقيق نازلا من أطمه، فلما أشرفا على السوق سمعا الضّجّة، و كانت سوقا عظيمة، فحاصت[2]بالنابغة ناقته، فأنشأ يقول: كادت تهال[3]من الأصوات راحلتي

ثم قال للربيع بن أبي الحقيق: أجز يا ربيع، فقال: و النّفر منها إذا ما أوجست خلق

فقال النابغة: ما رأيت كاليوم شعرا، ثم قال: لو لا أنهنهها[4]بالسّوط لاجتذبت

/أجز يا ربيع، فقال:

منّي الزمام و إنّي راكب لبق

فقال النابغة:

قد ملّت الحبس في الآطام و استعفت[5]

[1]خلت طبعة بولاق من هذه الترجمة، و لكنها جاءت هنا في النسخ: هج، هد، مج، مه و كذا في الجزء الواحد و العشرين من طبعة ليدن.

[2]حاصت ناقته: نفرت، و حادت.

[3]تهال: يعتريها الهول.

[4]أنهنها: أزجرها.

[5]استعفت: لعل المراد بهذا الفعل أنها طلبت من يسعفها بمنازلها، و في نسخة: و اشتعفت بالشين.

أجز يا ربيع، فقال:

إلى مناهلها لو أنّها طلق

فقال النابغة: أنت يا ربيع أشعر الناس.

أبان بني عثمان يتمثل بأبياته

حدثنا أحمد بن عبد العزيز الجوهري، و محمد بن العباس اليزيدي، قال: حدثنا عمر بن شبّة قال: حدثني الحزاميّ قال: حدثني سعيد بن محمد الزّبيريّ، قال: حدثنا ابن أبي الزناد، عن أبيه قال: قلّ ما جلست إلى أبان بن عثمان إلا سمعته يتمثل بأبيات ابن أبي الحقيق.

سئمت و أمسيت رهن الفرا # ش من جرم قومي و من مغرم[1]

و من سفه الرّأي بعد النّهى # و غيب الرشاد، و لم يفهم

فلو أنّ قومي أطاعوا الحلـ # يم لم يتعدّوا و لم نظلم

و لكنّ قومي أطاعوا الغوا # ة حتى تعكّص أهل الدم[2]

/فأودى السّفيه برأي الحلـ # يم و انتشر الأمر لم يبرم

يعاتب قوما من الأنصار

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي، قال: حدثنا معاذ[3]، عن أبي عبيدة قال: قال الربيع بن أبي الحقيق يعاتب قوما من الأنصار في شيء بينهم و بينه: رأيت بني العنقاء زالوا و ملكهم # و آبوا بأنف في العشيرة مرغم[4]

فإن يقتلوا نندم لذاك و إن بقوا # فلا بدّ يوما من عقوق و مأتم[5]

و إنّا فويق الرأس شؤبوب مزنة # لها برد ما يغش م الأرض يحطم[6]

[1]في بعض النسخ: «مغرمي» بالاضافة إلى ياء المتكلم.

[2]تعكص أهل الدم: ضنوا.

و روى البيتان في «المختار» هكذا: و لكن قومي أطاعوا الغوا # ة و انتشر الأمر لم يبرم

فأودى السفيه برأي الحليم # حتى تحكم أهل الدم

[3]في هد. هج: «دماذ» .

[4]في هج: «بني النجار» بدل «بني العنقاء» و في هد، هج: «زالوا و مالهم»

بدل

«زالوا و ملكهم»

و قد جرى البيت على غير الأفصح حيث عطف على ضمير الرفع المتصل بدون فاصل، يقول ابن مالك: و إن على ضمير رفع متصل # عطفت فافصل بالضمير المنفصل

أو فاصل ما و بلا فصل يرد # في النثر و النظم و ضعفه اعتقد

[5]يريد أنهم حلفاء، إن أصابهم أذى عز علينا. و إن سلموا بغوا علينا.

[6]الشؤبوب: الدفعة من المطر، يقول: نحن لهم كماء المزن المصحوب بالبرد الذي يحطم الأرض، يعني أننا نفاعون ضرارون، و في هد، هج: «ما يغش في الأرض»

«ما يفش م الأرض»

، «و أصلها من الأرض» .

صوت

و لنا بئر رواء جمّة # من يردها بإناء يغترف[1]

/تدلج الجون على أكنافها # بدلاء ذات أمراس صدف[2]

كلّ حاجاتي قد قضّيتها # غير حاجاتي من بطن الجرف[3]

الشّعر لكعب بن الأشرف اليهوديّ، و الغناء لمالك ثقيل أول عن يحيى المكي، قال: و فيه لابن عائشة خفيف ثقيل، و لمعبد ثاني ثقيل قال يحيى[4]في كتابه: و قد خلط الرواة في ألحانهم، و نسبوا لحن كلّ واحد منهم إلى صاحبه، و ذكر الهشامي أن فيه لابن جامع خفيف رمل بالبنصر، و فيه لجعدب لحن من كتاب إبراهيم غير مجنس.

[1]الرواء: الماء العذب، أو الكثير الذي يرتوى منه.

[2]تدلج: تسير ليلا، الجون: الإبل السوداء. أكنافها: جوانبها و نواحيها، أمراس: حبال، صدف: جمع صدوف. و هي المرأة تعرض لك وجهها ثم تصدف عنك: شبه بها حبال البئر، لأنها لا تزال تظهر و تختفي عند ملء الدلاء.

[3]بطن الجرف: موضع قرب المدينة. و لعل الشاعر كانت له حبيبة في هذا الموضع.

[4]في هج: «قال معبد» .

12-أخبار كعب و نسبه و مقتله

اسمه و نسبه

كعب بن الأشرف مختلف في نسبه، فزعم ابن حبيب أنه من طيء، و أمه من بني النّضير، و أن أباه توفي و هو صغير، فحملته أمه إلى أخواله، فنشأ فيهم، و ساد، و كبر أمره، و قيل: بل هو من بني النّضير.

و كان شاعرا فارسا، و له مناقضات مع حسان بن ثابت و غيره في الحروب التي كانت بين الأوس و الخزرج، تذكر في مواضعها إن شاء اللّه تعالى-و هو شاعر من شعراء اليهود فحل فصيح، و كان عدوا للنبي صلى اللّه عليه و سلم يهجوه، و يهجو أصحابه، و يخذّل منه العرب، فبعث النبي صلّى اللّه عليه و سلم نفرا من أصحابه، فقتلوه في داره.

ذكر خبره في ذلك

كان كعب بن الأشرف يهجو النبيّ صلّى اللّه عليه و سلم، و يحرّض عليه كفّار قريش في شعره، و كان النبي صلى اللّه عليه و سلم قدم المدينة، و هي أخلاط، منهم المسلمون الذين تجمعهم دعوة النبي صلّى اللّه عليه و سلم، و منهم المشركون الذين يعبدون الأوثان، و منهم اليهود، و هم أهل الحلقة[1]و الحصون، و هم حلفاء الحيين الأوس و الخزرج، فأراد النبي صلّى اللّه عليه و سلم-إذ قدم-استصلاحهم كلّهم، و كان الرجل يكون مسلما و أبوه مشرك، و يكون مسلما و أخوه مشرك، و كان المشركون و اليهود حين قدم النبي صلّى اللّه عليه و سلم يؤذونه و أصحابه أشدّ الأذى، فأمر اللّه نبيه و المسلمين بالصّبر على ذلك و العفو عنهم، و أنزل في شأنهم: **وَ لَتَسْمَعُنَّ مِنَ اَلَّذِينَ أُوتُوا اَلْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ[2]** الآية. و أنزل فيهم: **وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ اَلْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ[3]** /إلى قوله:

وَ اِصْفَحُوا فلما أبى كعب بن الأشرف أن ينزع عن أذى النبي صلّى اللّه عليه و سلم و أصحابه أمر النبي صلى اللّه عليه و سلم سعد بن معاذ أن يبعث إليه رهطا، فيقتلوه، فبعث إليه محمد بن مسلمة و أبا عبس بن جبير، و الحارث ابن أخي سعد، في خمسة رهط، فأتوه عشيّة، و هو في مجلس قومه بالعوالي، فلما رآهم كعب أنكر شأنهم، و كان يذعر منهم، فقال لهم: ما جاء بكم؟فقالوا: جئنا لنبيعك أدراعا نستنفق أثمانها، فقال: و اللّه لئن فعلتم ذلك لقد جهدتم[4]مذ نزل بكم هذا الرجل، ثم واعدهم أن يأتوه عشاء حين تهدأ أعين الناس، فجاءوا، فناداه رجل منهم، [1]الحلقة: يراد بها حلقة القوم، أو حلقة البئر.

[2]سورة آل عمران الآية 186.

[3]سورة البقرة الآية 109.

[4]جهدتم: افتقرتم، و ساءت حالكم، و يقصد بالرجل محمدا صلى اللّه عليه و سلم.

فقام ليخرج، فقالت امرأته: ما طرقوك ساعتهم هذه بشيء مما تحبّ، فقال: بلى إنهم قد حدّثوني حديثهم، و خرج إليهم، فاعتنقه أبو عبس، و ضربه محمد بن مسلمة بالسيف في خاصرته، و انحنوا عليه، حتى قتلوه، فرعبت اليهود /و من كان معهم من المشركين، و غدوا على النبي صلّى اللّه عليه و سلم فقالوا: قد طرق[1]صاحبنا الليلة، و هو سيّد من سادتنا، فقتل، فذكر لهم صلّى اللّه عليه و سلّم ما كان يؤذى به في أشعاره، و دعاهم إلى أن يكتب بينهم و بين المسلمين كتابا، فكتبت الصحيفة بذلك في دار الحارث، و كانت بعد النبي صلّى اللّه عليه و سلم عند علي بن أبي طالب رضي اللّه عنه. [2]

صوت

هل بالديار التي بالقاع من أحد # باق فيسمع صوت المدلج الساري

تلك المنازل من صفراء ليس بها # نار تضيء و لا أصوات سمّار

و يروى:

«ليس بها حيّ يجيب»

.

الشعر لبيهس الجرمي، و الغناء لأحمد بن المكّيّ ثقيل أول بالوسطى عن الهشامي، و قال عمرو بن بانة: فيه ثاني ثقيل بالبنصر، يقال: إنه لابن محرز، و قال الهشامي: فيه لحباب بن إبراهيم خفيف ثقيل، و هو مأخوذ من لحن ابن صاحب الوضوء.

ارفع ضعيفك لا يحر بك ضعفه

[3] [1]طرق؛ أتى ليلا.

[2]الخبر المتقدم ساقط من جميع النسخ التي بأيدينا، و هو منقول من ب.

[3]لا يحربك ضعفه: لا يرجع بك ضعفه عن نصرته: من حار يحور: رجع يرجع.

13-أخبار بيهس و نسبه

اسمه و نسبه

بيهس بن صهيب بن عامر بن عبد اللّه بن نائل بن مالك بن عبيد بن علقمة بن سعيد بن كثير بن غالب بن عديّ ابن بيهس بن طرود بن قدامة بن جرم بن ربّان بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة.

و يكنى أبا المقدام: شاعر فارس شجاع، من شعراء الدولة الأموية، و كان يبدو[1]بنواحي الشام مع قبائل جرم و كلب و عذرة، و يحضر إذا حضروا، فيكون بأجناد الشام، و كان مع المهلب بن أبي صفرة في حروبه للأزارقة، و كانت له مواقف مشهورة و بلاء حسن، و بعض أخباره في ذلك يذكر بعقب أخباره في هذا الشعر.

من هي صفراء

و قد اختلف الرواة في أمر صفراء التي ذكرها في شعره هذا، فذكر القحذميّ أنها كانت زوجته و ولدت له ابنا، ثم طلقها، فتزوجت رجلا من بني أسد، و ماتت عنده، فرثاها. و ذكر أبو عمرو الشيباني أنها كانت بنت عمّه دنية[2]، و أنه كان يهواها، فلم يزوّجها، و خطبها الأسديّ، و كان موسرا، فزوّجها.

قال أبو عمرو: و كان بيهس بن صهيب الجرميّ يهوى امرأة من قومه، يقال لها، صفراء بنت عبد اللّه بن عامر بن عبد اللّه بن نائل، و هي بنت عمه دنية، و كان يتحدث إليها، و يجلس في بيتها، و يكتم وجده بها، و لا يظهره لأحد، و لا يخطبها لأبيها؛ لأنه كان صعلوكا لا مال له، فكان ينتظر أن يثرى، و كان من أحسن الشباب وجها و شارة و حديثا و شعرا، فكان نساء الحيّ يتعرّضن له، و يجلسن إليه و يتحدثن معه، فمرت به صفراء، فرأته جالسا مع فتاة منهن، فهجرته زمانا لا تجيبه إذا دعاها، و لا تخرج إليه إذا زارها، /و عرض له سفر، فخرج إليه، ثم عاد، و قد زوّجها أبوها رجلا من بني أسد، فأخرجها، و انتقل عن دارهم بها، فقال بيهس بن صهيب: سقى دمنة صفراء كانت تحلّها # بنوء الثّريّا طلّها و ذهابها[3]

و صاب عليها كلّ أسحم هاطل # و لا زال مخضرّا مريعا جنابها[4]

أحبّ ثرى أرض إليّ و إن نأت # محلّك منها نبتها و ترابها[5]

[1]يبدو: يسكن البادية.

[2]دنيه: يقال: هو ابن عمي دنية أو دنيا: قريب لاصق.

[3]الدمنة: ما بقي من آثار الدور و نحوها، جملة

«صفراء كانت تحلها»

صفة «دمنة» طلها: فاعل سقي، الذهاب: جمع ذهبة، و هي المرة من المطر، نوء الثريا: مطرها، و في هد، هج: «نجاء الثريا» و لم نجد له معنى، و في ف: «لحا الثريا» و يختل به وزن البيت.

[4]صاب المطر و نحوه: أنصب، أسحم: أسود، يريد الغمام الأسود، لأنه أغزر مطرا.

[5]أحب: خبر مبتدأ محذوف تقديره «هي» يعود على الدمنة،

«محلك منها...

الخ» كلام مستأنف يعلل به سبب الحب، و في ف: محلك أرضا» بدل «محلك منها» .

على أنها غضبى عليّ و حبّذا # رضاها إذا ما أرضيت و عتابها[1]

و قد هاج لي حينا فراقك غدوة # و سعيك في فيفاء تعوي ذئابها[2]

نظرت و قد زال الحمول و وازنوا # بركوة و الوادي و خفّت ركابها

فقلت لأصحابي: أ بالقرب منهم # جرى الطير أم نادى ببين غرابها؟

يرثي صفراء

قال أبو عمرو: ثم ماتت صفراء قبل أن يدخل بها زوجها، فقال بيهس يرثيها: هل بالديار التي بالقاع من أحد # باق فيسمع صوت المدلج الساري

تلك المنازل من صفراء ليس بها # نار تضيء و لا أصوات سمّار

عفّت معارفها هوج مغبّرة # تسفي عليها تراب الأبطح الهاري[3]

/حتى تنكّرت منها كلّ معرفة # إلا الرّماد نخيلا بين أحجار[4]

طال الوقوف بها و العين تسبقني # فوق الرّداء بوادي دمعها الجاري[5]

إن أصبح اليوم لا أهل ذوو لطف # ألهوا لديهم و لا صفراء في الدار[6]

أرعى بعيني نجوم الليل مرتقبا # يا طول ذلك من همّ و إسهار[7]

فقد يكون لي الأهل الكرام و قد # ألهو بصفراء ذات المنظر الواري[8]

من المواجد أعراقا إذا نسبت # لا تحرم المال عن ضيف و عن جار[9]

لم تلق بؤسا و لم يضرر بها عوز # و لم تزحّف مع الصّالي إلى النار[10]

كذلك الدّهر إنّ الدّهر ذو غير # على الأنام و ذو نقض و إمرار[11]

[1]في هد: «و غضابها» بمعنى مغاضبتها، بدل: «و عتابها» .

[2]الفيفاء: القفراء، و في هد، هج، ف: «هاج لي حزنا» بدل «هاج لي حينا» و في النسخ الثلاث أيضا: «خشناء» بدل «فيفاء» و المعنى لا يتغير.

[3]هوج: جمع هوجاء، يريد: «رياح هوج» ، الهاري: تخفيف الهارئ: من هرأه بمعنى أذابه و أبلاه و في ف: «هوجاء مغبرة» .

[4]نخيلا: حال من الرماد بمعنى ناعم دقيق.

[5]بوادي دمعها: ظواهره.

[6]اللطف: اليسير من الطعام و نحوه، و في هد

«أصبو اليهم»

بدل

«ألهو لديهم»

و جواب إن الشرطية في البيت الثالث:

«فقد يكون لي الأهل...

الخ» .

[7]في هد، هج: «ليل» بدل «هم» .

[8]الواري: السمين، أو يريد به المضىء. و في «المختار» : «المنطق الواري» .

[9]المواجد: جمع ماجدة، لا تحرم المال: لا تمسكه: من أحرم الراعي، يقال: أحرم كذا عن كذا: أمسكه عنه.

[10]لم تزخّف: من زخفت المرأة العجين إذا أكثرت ماءه، و المراد أنها لم تصل النار لإنضاج الخبز، و في ب «لم ترجف» -بالجيم لا بالخاء-و قد رجحنا أن ثمة تصحيفا.

[11]النقض و الإمرار: ضدان: الأول فك الحبل، و الثاني قتله.

قد كاد يعتادني من ذكرها جزع # لو لا الحياء و لو لا رهبة العار[1]

سقي الإله قبورا في بني أسد # حول الربيعة غيثا صوب مدرار[2]/

من الذي بعدكم أرضى به بدلا # أو من أحدّث حاجاتي و أسراري؟[3]

يقف و صحبه على قبرها و ينشد

قال أبو عمرو: و اجتاز بيهس في بلاد بني أسد، فمر بقبر صفراء، و هو في موضع يقال له الأحضّ[4]، و معه ركب من قومه، و كانوا قد انتجعوا بلاد بني أسد، فأوسعوا لهم، و كان بينهم صهر و حلف، فنزل بيهس على القبر، فقال له أصحابه: أ لا ترحل، فقال: أما و اللّه[5]، حتى أظل نهاري كلّه عنده، و أقضي وطرا فنزلوا معه عند قبرها، فأنشأ يقول، و هو يبكي: ألمّا على قبر لصفراء فاقرءا # السّلام و قولا حيّنا أيّها القبر

و ما كان شيئا غير أن لست صابرا # دعاءك قبرا دونه حجج عشر[6]

برابية فيها كرام أحبّة # على أنّها إلا مضاجعهم قفر[7]

عشيّة قال الرّكب من غرض بنا # تروّح أبا المقدام قد جنح العصر[8]

فقلت لهم: يوم قليل و ليلة # لصفراء قد طال التجنّب و الهجر

و بتّ و بات الناس حولي هجّدا # كأنّ عليّ اللّيل من طوله شهر[9]/

إذا قلت هذا حين أهجع ساعة # تطاول بي ليل كواكبه زهر

أقول إذا ما الجنب ملّ مكانه # أ شوك يجافي الجنب أم تحته جمر؟

فلو أنّ صخرا من عماية راسيا # يقاسي الذي ألقى لقد ملّه الصخر[10]/

قال: و أما القحذميّ فإنه ذكر فيما أخبرني به هاشم بن محمد الخزاعيّ، عن عيسى بن إسماعيل رتينة عنه، أنّه كان تزوّجها، ثم طلّقها بعد أن ولدت منه ابنا؛ فتزوجها رجل من بني أسد، فماتت عنده، و ذكر من شعره فيها [1]يريد بالعار الذي يخشاه دمعه و ضعفه و انهياره أمام المصيبة، كما يقول جرير في رثاء زوجته: لو لا الحياء لهاجني استعبار # و لزرت قبرك و الحبيب يزار

[2]الربيعة: مكان قبر صفراء. صوب مدرار: مطر سحابة هطالة.

[3]في هد:

«من ذا الذي»

بدل

«من الذي»

، و في هد، هج، ف: «أم من» بدل «أو من» .

[4]في هد، هج: «الأحص» .

[5]في هد: «لا و اللّه» .

[6]اسم كان ضمير الشأن-، و لو كانت «كان» قامة «و «شيئا» مرفوعة لكان أحسن، دعاءك: مفعول «صابرا» و قبرا: مفعول «دعاءك» يقول: لا شيء إلا أنني لم أستطع الصبر على أن أدعو قبرك بعد مرور سنين عشر على وفاتك.

[7]في هج:

«كرام أعزة»

بدل

«كرام أحبة»

،

«لو لا مضاجعهم»

بدل

«إلا مضاجعهم»

.

[8]الغرض: الضجر و الملال.

[9]في ب «هجرا» بدل «هجدا» و المثبت من هد، هج، ف.

[10]عماية: اسم جبل.

و مراثيه لها قريبا مما تقدم ذكره. و ذكر أن بيهس بن صهيب كان من فرسان العرب، و كان مع المهلّب بن أبي صفرة في حروبه للأزارقة. [1]و كان يبدو بنواحي الشام مع قبائل جرم و كلب و يحضر إذا حضروا فيكون من أجناد الشام[1].

يتهم في قتيل

قال: أبو عمرو: و لما هدأت الفتنة بعد مرج راهط، و سكن الناس مرّ غلام من قيس بطوائف من جرم و عذرة و كلب، و كانوا متجاورين على ماء لهم؛ فيقال: إن بعض أحداثهم نخس «بيهس[2]» به ناقته فألقته، فاندقّت[3] عنقه، فمات؛ فاستعدى قومه عليهم عبد الملك، فبعث إلى تلك البطون من جاءه بوجوههم و ذوي الأخطار منهم، فحبسهم، و هرب بيهس بن صهيب الجرمي، و كان قد اتّهم أنه هو الذي نخس به، فنزل على محمد بن مروان /فعاذ به، و استجاره، فأجاره إلا من حدّ توجبه عليه شهادة، فرضي بذلك، و قال و هو متوار عند محمد: لقد كانت حوادث معضلات # و أيام أغصّت بالشّراب

و ما ذنب المعاشر في غلام # تقطّر بين أحواض الجباب[4]

على قوداء أفرطها جلال # و غضّ فهي باقية الهباب[5]

ترامت باليدين فأرهقته # كما زلّ النّطيح من القباب[6]

فإني و العقاب و ما أرجّى # لكالسّاعي إلى وضح السّراب

فلمّا أن دنا فرج بربّي # يكشّف عن مخفّقة يباب[7]

من البلدان ليس بها غريب # تخبّ بأرضها زلّ الذئاب[8]

فظنّي بالخليفة أنّ فيه # أمانا للبريء و للمصاب

و أنّ محمدا سيعود يوما # و يرجع عن مراجعة العتاب

/فيجبر صبيتي و يحوط جاري # و يؤمن بعدها أبدا صحابي

هو الفرع الذي بنيت عليه # بيوت الأطيبين ذوي الحجاب

قال: فلم يزل محمد بن مروان قائما و قاعدا في أمرهم مع أخيه، حتى أمّن بيهس بن صهيب و عشيرته، و احتمل دية المقتول لقيس[9]و أرضاهم.

(1-1) التكملة من هد، هج.

[2]زدنا كلمة «بيهس» ليتسق الكلام على نحو ما سيجيء.

[3]العنق يذكر و يؤنث.

[4]تقطر: وقع على قطره من علو، و في هد، ف: «الخباب» و في هج: «الحباب» بدل «الجباب» ، و هي أسماء أماكن.

[5]القوداء: الطويلة العنق و الظهر، يريد ناقة قوداء، أفرطها جلال: ضخمة، و غض: لها المراد غض البصر بمعنى أنها لا تسير على هدى، الهباب: الصياح، و في هج: «عصى» بدل «غض» .

[6]النطيح: المنطوح، و في هد، ف: «زال» بدل «زل» ، و في ب «الحقاب» و رجحنا رواية هج «القباب» ، و في ف، هد، هج: «البطيح» بالباء.

[7]المخفقة: الخالية، لعله يريد المكان الذي هرب إليه.

[8]زل: جمع أزل: السريع العدو الخفيف الوركين، و في ف، هد، هج: «الذباب» بدل «الذئاب» .

[9]في ب «بعسر» بدل «لقيس» و هو تحريف و التصويب، من هد، ج، ف.

366

صوت

نزل المشيب فما له تحويل[1] # و مضى الشّباب فما إليه سبيل

و لقد أراني و الشّباب يقودني # و رداؤه حسن عليّ جميل

الشعر للكميت بن معروف الأسديّ، و الغناء لمعبد خفيف، و لحنه من القدر الأوسط، من الثقيل الأول بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى عن إسحاق.

[1]في هج «ترحيل» .

14-أخبار الكميت بن معروف و نسبه

اسمه و نسبه

هو الكميت بن معروف بن الكميت بن ثعلبة بن رباب بن الأشتر بن جحوان بن فقعس بن طريف بن عمرو بن قعين بن الحارث بن ثعلبة بن دودان بن أسد بن خزيمة بن مدركة/بن إلياس بن مضر.

شاعر من شعراء الإسلام بدويّ، أمه سعدة بنت فريد بن خيثمة بن نوفل بن نضلة.

أسرته ما بين شعراء و شواعر

و الكميت أحد المعرقين في الشعر، أبوه معروف شاعر، و أمه سعدة شاعرة، و أخوه خيثمة أعشى بني أسد شاعر، و ابنه معروف الكميت شاعر.

فأما أبوه فهو القائل لعبد اللّه بن المساور بن هند: إنّ مناخي أمس يا بن مساور # إليك لمن شرب النّقاخ المصرّد[1]

تباعدت فوق الحق من آل فقعس # و لم ترج فيهم ردّة اليوم أو غد[2]

و قلت غنى لا فقر في العيش بعده # و كلّ فتى للنائبات بمرصد

كأنك لم تعلم محلّ بيوتكم # مع الحيّ بين الغور و المتنجّد

فلو لا رجال من جذيمة قصرة # عددت بلائي ثم قلت له اعدد[3]

أمه تؤنبه و ترثيه

و أمّه سعدة القائلة له، و قد تزوّج بنت أبي مهوش على مراغمة لها، و كراهة لذلك، فغضبت سعدة و قالت فيه: عليك بأنقاض العراق فقد علت # عليك بتخدين النّساء الكرائم[4]

لعمري لقد راش ابن سعدة نفسه # بريش الذّنابي لا بريش القوادم[5]

[1]الأبيات-كما يبدو-في العتاب. و البيت الأول من الطويل دخله الخرم، النقاخ: الماء العذب البارد، المصرد: من صرد العطاء: قلله، و ضرد الإناء: وضع فيه ماء لا يكفي للشرب، كأنه لا يحمد مقامه عنده.

[2]آل فقعس: قبيلة الشاعر، و لم ترج فيهم ردة اليوم و الغد: طرحتهم جانبا، و لم تحتفظ بخط رجعتهم إليك، أو رجعتك إليهم.

[3]قصرة: داني النسب، و في هد، ف:

«عددت بلادي»

بدل

.

[4]بتخدين النساء: باتخاذهن أخدانا، و في بعض النسخ: «غلت» بدل «علت» تقول له: عليك بمهازيل العراق، فقد ضنت عليك بكرائمها.

[5]القوادم: ريشات عشر أو أربع في مقدمة جناح الطائر.

بنى لك معروف بناء هدمته # و للشّرف العاديّ بان و هادم[1]

و هي القائلة ترثي ابنها الكميت:

لأمّ البلاد الويل ما ذا تضمّنت # بأكناف طوري من عفاف و نائل[2]

و من وقعات بالرجال كأنها # إذا عنّت الأحداث وقع المناصل

يعزّي المعزّى عن كميت فتنتهي # مقالته و الصّدر جمّ البلابل

أخوه يرثيه

و أعشى بني أسد أخو الكميت، و اسمه خيثمة، الذي يقول يرثي الكميت و غيره من أهل بيته: هوّن عليك فإنّ الدهر منجدب # كلّ امرئ عن أخيه سوف ينشعب[3]

فلا يغرّنك من دهر تقلّبه # إنّ اللّيالي بالفتيان تنقلب

/نام الخليّ و بتّ الليل مرتفقا # كما تزاور يخشى دفّه النّكب[4]

إذا رجعت إلى نفسي أحدّثها # عمّن تضمّن من أصحابي القلب[5]

من إخوة و بني عمّ رزئتهم # و الدّهر فيه على مستعتب عتب

عاودت وجدا على وجد أكابده # حتى تكاد بنات الصّدر تلتهب[6]

هل بعد صخر و هل بعد الكميت أخ # أم هل يعود لنا دهر فنصطحب؟[7]

لقد علمت و لو ملّيت بعدهم # أني سأنهل بالشّرب الذي شربوا[8]

ابنه معروف يتغزل

و معروف بن الكميت القائل:

لقد كنت أحسبني جلدا فهيّجني # بالشيب منزلة من أمّ عمّار

كانت منازل لا ورهاء جافية # على الحدوج و لا عطلا بمقفار[9]

[1]معروف: أبو الكميت، العادي: العتيق، يقال: مجد عادي، و شرف عادي، و في البيت إقواء.

[2]في هج، ف وردت «طورا» بالألف لا بالياء، و هي اسم مكان.

[3]منجدب: مطاوع جدبه: ذمه، و عابه.

[4]مرتفقا: متكئا على مرفق، تزاور: مال و انحرف، دفه: جنبه، النكب: المصاب في منكبه، و هو فاعل يتنازعه الفعلان «تزاور و يخشى» .

[5]القلب جمع قليب بمعنى البئر، و يعني الحفرة التي يدفن فيها الموتى.

[6]البيت جواب الشرط «إذا رجعت» ، بنات الصدر: كناية عن الضلوع، و في ف، هج «بنات الدهر» و الرواية الأولى أصح.

[7] «نصطحب» معطوف على «يعود» ، لا منصوب بأن مضمرة بعد فاء السببية الواقعة بعد الاستفهام، و إلا كان في البيت إقواء.

[8]و لو مليت: و لو أمهلت، الشرب-بكسر الشين-الماء الذي يشرب.

[9] «منازل» مضاف، و ورهاء مضاف إليه، «و لا» فاصلة بينهما، الورهاء: المرأة الكثيرة الشحم، الحدوج: جمع حدج-بكسر الحاء- و هو مركب من مراكب النساء كالهودج، العطل: المرأة لا حلى لها، المقفار: الأرض المقفرة، و في هد، هج، ف: «و لا عطلاء

و ما تجاورنا إذ نحن نسكنها # و لا تفرّقنا إلا بمقدار

صوت

أرقت لبرق دونه شذوان # يمان و أهوى البرق كلّ يماني[1]

فليت القلاص الادم قد وخدت بنا # بواد يمان ذي ربا و مجاني[2]

الشعر ليعلى الأحول الأزديّ، وجدت ذلك بخط أبي العباس محمد بن يزيد المبرد في شعر الأزد، و قال عمرو بن أبي عمرو الشيباني عن أبيه: هي ليعلى الأحول، كما روى غيره، قال: و يقال: إنها لعمرو بن أبي عمارة الأزدي من بني خنيس[3]، و يقال: إنها لجوّاس بن حيان من أزد عمان.

و أول هذه القصيدة، في رواية أبي عمرو، أبيات فيها غناء أيضا و هي:

صوت

أو يحكما يا واشي أمّ معمر # بمن و إلى من جئتما تشيان؟[4]

بمن لو أراه عانيا لفديته # و من لو رآني عانيا لفداني

لعريب في هذين البيتين ثقيل أول، و لعمرو بن بانة فيهما هزج بالوسطى من كتابه و جامع صنعته، و قال ابن المكي: لمحمد بن الحسن بن مصعب فيه هزج بالأصابع كلّها.

مقفار» و على الرواية الأولى كان القياس «عطل» بالجر لا بالنصب، و ربما صح اعتبار ورهاء و جافية و عطلا» صفات لكلمة «منازل» و على هذا يكون المراد من قوله «لا ورهاء» أنها ليست ورهاء الرياح: ليست عاصفتها، و التوجيه الأول أصح، و هو الذي يتمشى مع رواية هد، هج، ف، و إلا كان في البيت إقواء؛ إذ يلزم عليه نصب كلمة «مقفار» .

[1]شذوان: تثنية شذا: شجر تتخذ منه المساويك، كل: بدل من البرق.

[2]القلاص الأدم: النوق السمراء، و في هد، هج: «محانى» -بالحاء المهملة-بدل «مجاني» -بالجيم المعجمة-

[3]في هج: «حبيش» بدل «خنيس» .

[4]في هج: «أم مالك» بدل «أم معمر» .

15-أخبار يعلى و نسبه

اسمه و نسبه

يعلى الأحول بن مسلم بن أبي قيس، أحد بني يشكر بن عمرو بن رالان[1]-و رالان هو يشكر-و يشكر لقب لقب به-بن عمران بن عمرو بن عدي بن حارثة بن لوذان بن كهف الظلام-هكذا وجدته بخطّ المبرد-بن ثعلبة بن عمرو بن عامر.

شاعر فاتك خليع

:

شاعر إسلامي لص من شعراء الدولة الأموية، و قال هذه القصيدة و هو محبوس بمكة عند نافع بن علقمة الكناني[2]في خلافة عبد الملك بن مروان[3].

قال أبو عمرو: و كان يعلى الأحول الأزديّ لصّا فاتكا خاربا، و كان خليعا، يجمع صعاليك الأزد و خلعاءهم، فيغير بهم على أحياء العرب، و يقطع الطريق على السّابلة، فشكي إلى نافع بن علقمة بن الحارث بن محرث الكنانيّ ثم الفقيمي، و هو خال مروان بن الحكم، و كان والي مكة، فأخذ به عشيرته الأزديّين[4]، فلم ينفعه ذلك، و اجتمع إليه شيوخ الحيّ فعرّفوه أنه خليع قد تبرءوا منه و من جرائره إلى العرب، و أنه لو أخذ به سائر الأزد ما وضع يده في أيديهم[5]، فلم يقبل ذلك منهم، و ألزمهم إحضاره، و ضمّ إليهم شرطا يطلبونه إذا طرق الحيّ حتى يجيئوه به.

يسلمه قومه إلى الحاكم

فلما اشتدّ عليهم في أمره طلبوه، حتى وجدوه، فأتوا به، فقيّده و أودعه الحبس، فقال في محبسه:

قصيدته في سجنه

أرقت لبرق دونه شذوان # يمان و أهوى البرق كلّ يمان[6]

فبتّ لدى البيت الحرام أشيمه # و مطواي من شوق له أرقان[7]

[1]في ف، هج: «ابن فلان و فلان» بدل «ابن رالان» و أغلب الظن أنه تحريف.

[2]في هج: «الكندي» .

[3]في بعض النسخ: «في خلافة مروان» .

[4]في رواية «الأدنين» .

[5]العل المراد: ما وضع يعلى يده في أيدي قومه: ما أسلم نفسه إليهم.

[6]تقدم هذا البيت.

[7]أشيم: مضارع شام البرق و نحوه: تطلع إليه ليرى أين يقع مطره؟و في ب «أخيله» بدل «أشيمه» و المثبت من هد، هج و هو الصواب.

371

المطو: الصاحب.

إذا قلت: شيماه يقولان و الهوى # يصادف منّا بعض ما تريان[1]

جرى منه أطراف الشري فمشيّع # فأبيان فالحيّان من دمران[2]

فمرّان فالأقباض أقباض أملج # فماوان من واديهما شطنان[3]

هنالك لو طوّفتما لوجدتما # صديقا من أخوان بها و غوان[4]

و عزف الحمام الورق في ظلّ أيكة # و بالحي ذي الرّودين عزف قيان[5]/

ألا ليت حاجاتي اللواتي حبسنني # لدي نافع قصّين منذ زمان

و ما بي بغض للبلاد و لا قلى # و لكنّ شوقا في سواه دعاني[6]

فليت القلاص الأدم قد وخدت بنا # بواد يمان ذي ربا و مجاني[7]/

بواد يمان ينبت السّدر صدره # و أسفله بالمرخ و الشّبهان[8]

يدافعنا من جانبيه كليهما # عزيفان من طرفائه هدبان[9]

و ليت لنا بالجوز و اللوز غيلة # جناها لنا من بطن حلية جاني

الغيلة: شجر الأراك إذا كانت رطبة، و يروى في موضع: من بطن حلية: من حب جيحة.

و ليت لنا بالدّيك مكّاء روضة # على فنن من بطن حلية داني[10]

و ليت لنا من ماء حزنة شربة # مبردة باتت على طهمان[11]

و يروى: من ماء حمياء.

[1]شيماه: أمر من «شام» و ألف الاثنين لصديقيه: و الهاء للبرق المتقدم ذكره، و جملة «و الهوى... الخ البيت» اعتراضية، و مقول القول في البيت التالي و ما بعده.

[2]مشيع، و أبيان، و مران: أماكن، و ضمير «منه» يعود على البرق، أي يقول صاحباه: جرى ماء البرق في هذه الأماكن.

[3]مران، أملج: مكانان، أقباص: جمع قبص-بفتح القاف و كسرها-و هو مجتمع الرمل الكثير، ماوان: تثنية ماء، شطنان: بعيدان.

[4]وصل همزة «إخوان» لإقامة الوزن، و في هد «عمران» -بالعين- بدل «غوان» و ما في ب أصوب.

[5]الورق: جمع ورقاء: ما كان لونها لون التراب، الرودين: تثنية رود: الريح اللينة، و في ب «ذو» بدل «ذي» و لم نجد لها وجها.

[6]في ب «قلا» -بالألف-و كان القياس أن يقول: «في سواها» بدل «في سواه» لأن الضمير ضمير البلاد، و لعله أعاد الضمير على «نافع» في البيت السابق.

[7]تقدم هذا البيت.

[8]المرخ و الشبهان: مكانان.

[9]عزيفان: تثنية عزيف: صوت الرياح حين تسفى الرمال، الطرفاء: أنواع من الشجر، منها الأثل، هدبان: تثنية هدب: من قولهم: عثنون هدب: مسترسل، و هذه هي رواية هد، و في ب «هذبان» تثنية «هذب» من قولهم: فرس هذب: شديد السرعة، و في ف: «هدبان» و في هج: «هربان» ، و في هد، هج: «كلاهما» بدل «كليهما» ، و الذي اخترناه هو ما أثبتناه.

[10]المكاء: طائر.

[11]في هج، ف: «طهيان» بدل «طهمان» و في هد: «طيهان» و كلها أمكنة. ـ

372

صوت

إن السلام و حسن كلّ تحيّة # تغدو على ابن مجزّز و تروح[1]

هلا فدى ابن مجزّز متفحش # شنج اليدين على العطاء شحيح[2]

الشعر لجوّاس العذريّ، و الغناء لسائب بن خاثر خفيف ثقيل بالوسطى بن يحيى المكي و الهشامي من رواية حماد عن أبيه، في أخبار سائب خاثر و أغانيه.

[1]في هد، هج، ف: «محرر» -براءين مهملتين-بدل «مجزز» بزايين معجمتين.

[2]شنج اليدين: مقبوضهما، كناية عن البخل.

16-نسب جواس و خبره في هذا الشعر

اسمه و نسبه

هو جوّاس بن قطبة[1]العذريّ، أحد بن الأحبّ رهط بثينة، و جوّاس و أخوه عبد اللّه الذي كان يهاجي جميلا ابنا عمّها دنية، و هما ابنا قطبة بن ثعلبة بن الهون ابن عمرو بن الأحبّ بن حنّ بن ربيعة بن حرام بن عتبة[2]بن عبيد ابن كثير بن عجرة[3].

ينافر جميل بن معمر فترجح كفته

و كان جوّاس شريفا في قومه شاعرا، فذكر أبو عمرو الشيباني: أنّ جميل بن عبد اللّه بن معمر لمّا هاجى جوّاسا تنافرا إلى يهود تيماء، فقالوا لجميل: يا جميل، قل في نفسك ما شئت، فأنت و اللّه الشاعر الجميل الوجه الشريف، و قل أنت يا جواس في نفسك و في أبيك ما شئت، و لا تذكرنّ أنت يا جميل أباك في فخر؛ فإنه كان يسوق معنا الغنم بتيماء، عليه شملة لا توارى استه، و نفّروا[4]عليه جوّاسا، قال: و نشب الشرّ بين جميل و جوّاس، و كانت تحته أم الجسير أخت بثينة التي يذكرها جميل في شعره، إذ يقول: يا خليليّ إن أمّ جسير # حين يدنو الضّجيع من علله[5]

روضة ذات حنوة و خزامى # جاد فيها الربيع من سبله[6]

/قوم جميل يثأرون منه فغضب لجميل نفر من قومه يقال لهم بنو سفيان، فجاءوا إلى جوّاس ليلا و هو في بيته، فضربوه و عرّوا امرأته أمّ الجسير في تلك الليلة، فقال جميل: ما عرّ جوّاس استها إذ يسبّهم # بصقري بني سفيان قيس و عاصم[7]

هما جرّدا أمّ الجسير و أوقعا # أمرّ و أدهى من وقيعة سالم

[1]في بعض النسخ: «قطنة» ، بالنون لا بالباء.

[2]في هد، هج، ف: «ضبة» بدل «عتبة» .

[3]في ف، هج: «عجوة» .

[4]نفروا بالتشديد-نصروا، و فضلوا.

[5]العلل: الشرب مرة بعد مرة، و المراد العلل من رضاب أم جسير.

[6]الحنوة: نبات سهلي، أو هي الريحان، أو نوع من الآذريون، الخزامي: نبت طيب الرائحة، السبل: المطر.

[7]البيت من الطويل دخله الخزم، عر: ساء و ضر، و منع صرف جواس للضرورة و لم يتقدم مرجع لضمير «يسبهم» و لعل الأصل «يسبها»

و المعنى عليه: ما ساء جواسا تعرية است امرأته حين سبّها بهذين البطلين.

يعني سالم بن دارة.

فقال جوّاس:

/

ما ضرب الجوّاس إلا فجاءة # على غفلة من عينه و هو نائم[1]

فإلا تعجّلني المنيّة يصطبح # بكأسك حصناكم حصين و عاصم[2]

و يعطى بنو سفيان ما شئت عنوة # كما كنت تعطيني و أنفك راغم

جميل يحدو ركاب مروان بن الحكم

و قال أبو عمرو الشّيباني:

حجّ مروان بن الحكم، فسار بين يديه جميل بن عبد اللّه بن معمر، و جوّاس بن قطبة، و جوّاس بن القعطل الكلبيّ، فقال لجميل: انزل فسق بنا، فنزل جميل فقال: يا بثن حيي ودّعينا أو صلي # و هونّي الأمر فزوري و اعجلي[3]

/ثمّت أيّا ما أردت فافعلي # إني لآتي ما أتيت مؤتلى[4]

فقال له مروان: عدّ عن هذا، فقال:

أنا جميل و الحجاز وطني # فيه هوى نفسي و فيه شجني

هذا إذا كان السّياق ددني[5]

جواس بن قطبة يحدو ركاب مروان

فقال لجوّاس بن قطبة: انزل أنت يا جوّاس فسق بنا، فنزل فقال-و قد كان بلغه عن مروان أنه توعّده إن هاجى جميلا: لست بعبد للمطايا أسوقها # و لكنني أرمي بهنّ الفيافيا[6]

أتاني عن مروان بالغيب أنه # مبيح دمي أو قاطع من لسانيا

و في الأرض منجاة و فسحة مذهب # إذا نحن رققنا لهن المثانيا[7]

فقال له مروان: أما إن ذلك لا ينفعك إذا وجب عليك حق، فاركب لا ركبت.

[1]البيت من الطويل دخله الخزم أيضا.

[2]يصطبح بكأسك... الخ: يشرب بالكأس التي كنت أسقيك بها حصين و عاصم، و البيت هو و ما بعده إيعاد و تهديد.

[3]في هد، هج: «يا ابنة حنا» بدل «يا بثن حيي» .

[4]مؤتلى: من ألا الشيء ألو: استطاعه.

[5]الددن: اللهو، كالدد، و في هج: «بدني» بدل «ددني» و لا معنى له.

[6]البيت من الطويل دخله الخرم.

[7]المثاني: ما يكرر و يثنى من الآيات القرآنية و غيرها، و يريد بها هنا أناشيد الحداء، و ضمير «لهن» يعود على الإبل المفهومة من المقام، أو على المطايا المذكورة في البيت الأول، و في هد، هج: «و للمرء مذهب» بدل «و فسحة مذهب» .

جواس بن القعطل يحدو ركاب مروان

ثم قال لجوّاس بن القعطل-و يقال بل القصة كلها مع جواس بن قطبة-: انزل فارجز بنا، فنزل فقال هذه الأبيات: يقول أميري: هل تسوق ركابنا # فقلت: اتّخذ حاد لهن سوائيا[1]

تكرمت عن سوق المطيّ و لم يكن # سياق المطايا همّتي و رجائيا

/جعلت أبي رهنا و عرضي سادرا # إلى أهل بيت لم يكونوا كفائيا[2]

إلى شرّ بيت من قضاعة منصبا # و في شرّ قوم منهم قد بدا ليا

فقال له: اركب لا ركبت.

عود إلى الصوت و خبر ابن مجزز

و الأبيات التي فيها الغناء يرثي بها جوّاس بن قطبة العذريّ علقمة بن مجزّز قال أبو عمرو الشيبانيّ: و كان عمر ابن الخطاب رضي اللّه عنه بعث علقمة بن مجزز الكنانيّ ثم المدلجيّ في جيش إلى الحبشة، و كانوا لا يشربون قطرة من ماء إلا بإذن الملك، و إلا قوتلوا عليه، فنزل الجيش على ماء قد ألقت لهم فيه الحبشة سمّا، فوردوه مغترين[3]، فشربوا منه، فماتوا عن آخرهم، و كانوا قد أكلوا هناك تمرا، فنبت ذلك النّوى الذي ألقوه نخلا في بلاد الحبشة، و كان يقال له نخل ابن مجزز، فأراد عمر أن يجهّز إليهم جيشا عظيما فشهد عنده أن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم قال: اتركوا الحبشة ما تركوكم، و قال: وددت لو أن بيني و بينهم بحرا[4]من نار، فقال جوّاس العذري يرثي علقمة ابن مجزز: إنّ السّلام و حسن كلّ تحية # تغدو على ابن مجزّز و تروح

فإذا تجرّد حافراك و أصبحت # في الفجر نائحة عليك تنوح[5]

و تخيّروا لك من جياد ثيابهم # كفنا عليك من البياض يلوح

/فهناك لا تغني مودّة ناصح # حذرا عليك إذا يسدّ ضريح

/هلا فدى ابن مجزز متفحّش # شنج اليدين على العطاء شحيح

متمرّع ورع و ليس بماجد # متملّح و حديثه مقبوح[6]

و فيمن هلك مع ابن مجزز يقول جوّاس:

[1]كان القياس «اتخذ حاديا» و لكنه أجراها مجرى «و لو أن واش باليمامة داره» للضرورة.

[2]الرهن-بكسر الراء-من قولهم: هو رهن مال و نحوه، أي سائس.

[3]لعلها «معترين» بالعين المهملة، لا مغترين بالغين المعجمة، من اعترار الفقر و الحاجة، أو التعرض للمعروف دون سؤال.

[4]في هد: «جبلا» .

[5]لعل المراد: تجرد حافرا قبرك: تخففا من ثيابهما استعدادا للحفر.

[6]متمرع... الخ: صفات «لمتفحش» في البيت السابق، و المتمرع: طالب المرع: الخصب، يريد أنه جشع، ورع: جبان، متملح: يتكلف الملاحة، و في هج: «و حديثه مملوح» بدل «مقبوح» كأنه يريد أن حديثه ملح لا عذب.

أ لهفي لفتيان كأنّ وجوههم # دنانير وافت مهلك ابن مجزّز

صوت

أحبّتنا بأبي أنتم # و سقيا لكم حيثما كنتم

أطلتم عذابي بميعادكم # و قلتم نزور فما زرتم

فأمسك قلبي على لوعتي # و نمّت دموعي بما أكتم

ففيم أسأتم و أخلفتم # و قدما وفيتم و أحسنتم

الشعر لإبراهيم بن المدبر، و الغناء لعريب خفيف ثقيل.

17-أخبار إبراهيم بن المدبر

نشأته

أبو إسحاق بن المدبّر شاعر كاتب متقدم من وجوه كتاب أهل العراق و متقدميهم و ذوي الجاه و المتصرّفين في كبار الأعمال و مذكور الولايات، و كان المتوكل يقدّمه و يؤثره، و يفضله، و كانت بينه و بين عريب حال مشهورة، كان يهواها، و تهواه، و لهما في ذلك أخبار كثيرة، قد ذكرت بعضها في أخبار عريب، و أذكر باقيها هاهنا.

بين يدي المتوكل

أخبرني أحمد بن جعفر جحظة قال: حدثني إبراهيم بن المدبر قال: مرض المتوكل مرضة خيف عليه منها ثم عوفي، و أذن للناس في الوصول إليه، فدخلوا على طبقاتهم كافة و دخلت معهم، فلما رآني استدناني، حتى قمت وراء الفتح، و نظر إليّ مستنطقا فأنشدته: يوم أتانا بالسرور # فالحمد للّه الكبير

أخلصت فيه شكره # و وفيت فيه بالنّذور

لما اعتللت تصدّعت # شعب القلوب من الصدور[1]

من بين ملتهب الفؤا # دو بين مكتئب الضمير[2]

يا عدّتي للدّين و الدّنيـ # ا و للخطب الخطير

كانت جفوني ثرّة الـ # آماق بالدّمع الغزير

لو لم أمت جزعا لعمـ # رك إنني عين الصبور

/يومي هنالك كالسّنيـ # ن و ساعتي مثل الشّهور

يا جعفر المتوكل الـ # عالي على البدر المنير

اليوم عاد الدين[3]غضّ # العود ذا ورق نضير

و اليوم أصبحت الخلا # فة و هي أرسى من ثبير[4]

قد حالفتك و عاقدتـ # ك على مطاولة الدّهور

[1]هج: «من الصدور» .

[2]هج: «من بين مكتئب الفؤاد و بين ملتهب» .

[3]هج: «عاد الملك» .

[4]ثبير: جبل.

يا رحمة للعالميـ # ن و يا ضياء المستنير

يا حجة اللّه الّتي # ظهرت له بهدى و نور

للّه أنت فما نشا # هد منك من كرم و خير

حتى نقول و من[1]بقر # بك من وليّ أو نصير

البدر ينطق بيننا # أم جعفر فوق السرير!

فإذا تواترت العظا # ثم كنت منقطع النّظير

و إذا تعذّرت[2]العطا # يا كنت فيّاض البحور

تمضي الصواب بلا وزيـ # ر أو ظهير[3]أو مشير

فقال المتوكل للفتح: إن إبراهيم لينطق عن نية خالصة، و ودّ محض، و ما قضينا حقّه، فتقدم بأن يحمل إليه الساعة خمسون ألف درهم، و تقدم إلى عبيد اللّه بن يحيى بأن يولّيه عملا سريّا[4]ينتفع به.

المتوكل ينتقض عليه و يودعه السجن

حدثني عمّي قال: حدثني محمد بن داود بن الجرّاح قال: كان أحمد بن المدبّر ولي لعبيد اللّه بن يحيى بن خاقان عملا، فلم يحمد أثره فيه، و عمل على أن ينكبه. و بلغ أحمد ذلك فهرب، و كان عبيد اللّه منحرفا عن إبراهيم، شديد النّفاسة[5]عليه برأي المتوكل فيه، فأغراه به، و عرّفه خبر أخيه، و ادّعى عليه مالا جليلا، و ذكر أنه عند إبراهيم أخيه، و أوغر صدره عليه حتى أذن له في حبسه، فقال و هو محبوس: تسلي ليس طول الحبس عارا[6] # و فيه لنا من اللّه اختيار

فلو لا الحبس ما بلي اصطبار # و لو لا الليل ما عرف النهار

و ما الأيام إلا معقبات[7] # و لا السلطان إلا مستعار

و عن قدر حبست فلا نقيض # و فيما قدّر اللّه الخيار[8]

سيفرج ما ترين إلى قليل # مقدره و إن طال الإسار

و لإبراهيم في حبسه أشعار كثيرة حسان مختارة، منها قوله في قصيدة أولها: [1]من معطوفة على ضمير «نقول» بلا فاصل، و ذلك رأي مرجوح.

[2]في جـ: «تغورت» .

[3]ظهير: معين.

[4]في جـ، هج: «سنيا» ، يعني شريفا.

[5]النفاسة: مصدر نفست عليه الشيء إذا ضننت به، و لم تحب أن يصل إليه.

[6]في هج:

«تسل فليس طول الحبس عار»

على التصريح و جعل عار اسم ليس مؤخرا.

[7]معقبات: يعقب بعضها بعضا بالخير و الشر أو بالنور و الظلام.

[8]البيت زيادة في ج، و في هد: «حبست فلا تراعى» .

أ دموعها أم لؤلؤ متناثر # يندى به ورد جنيّ ناضر

يقول فيها:

لا تؤيسنّك من كريم نبوة # فالسيف ينبو و هو عضب باتر[1]

هذا الزمان تسومني أيامه # خسفا[2]و ها أنا ذا عليه صابر

/إن طال ليلى في الأسار فطالما # أفنيت دهرا ليله متقاصر

و الحبس يحجبني و في أكنافه # منّي على الضرّاء ليث خادر[3]

عجبا له كيف التقت أبوابه # و الجود فيه و الغمام الباكر؟[4]

هلا تقطّع أو تصدّع أو و هى # فعذرته؛ لكنّه بي فاخر

و منها قوله في قصيدة أولها:

ألا طرقت سلمى لدى وقعة السّاري # فريدا وحيدا موثقا نازح الدار[5]

هو الحبس ما فيه عليّ غضاضة # و هل كان في حبس الخليفة من عار!

يقول فيها:

أ لست ترين الخمر يظهر حسنها # و بهجتها بالحبس في الطين و القار![6]

/و ما أنا إلا كالجواد يصونه # مقوّمه للسّبق في طيّ مضمار

أو الدّرة الزهراء في قعر لجّة # فلا تجتلى إلا بهول و أخطار

و هل هو إلا منزل مثل منزلي # و بيت و دار مثل بيتي أو داري؟

فلا تنكري طول المدى و أذى العدى # فانّ نهايات الأمور لإقصار[7]

لعلّ وراء الغيب أمرا يسرّنا # يقدّره في علمه الخالق الباري

و إني لأرجو أن أصول بجعفر # فأهضم أعدائي و أدرك بالثّار

يثني على من خلّصه من سجنه

فأخبرني عمي عن محمد بن داود:

[1]ينبو: يبعد في ضربه.

[2]في هج: حتفا.

[3]أكنافه: نواحيه جمع كنف، الضراء: الشدة و الضيق، خادر: ملازم لأجمته. و في ف: «و السجن يحجبني» .

[4]في جـ: «و الربيع الباكر» بدل الغمام و لفظها أليق.

[5]الطرق: الضرب على الباب ليلا. وقعة الساري: نومته آخر الليل، نازح: بعيد عنه.

[6]القار و القير: ما يدهن به سداد الدنان.

[7]هذا البيت في هد، و هج، ساقط في غيرهما و معنى «إقصار» انتهاء و ترك و كف.

أن حبسه طال، فلم يكن لأحد في خلاصه منه حيلة مع عضل[1]عبيد اللّه و قصده إياه، حتى تخلّصه محمد بن عبد اللّه بن طاهر، و جوّد المسألة في أمره[2]، و لم يلتفت إلى عبيد اللّه، و بذل أن يحتمل في ماله كلّ ما يطالب به، فأعفاه المتوكل من ذلك، و وهبه له، و كان إبراهيم استغاث به و مدحه، فقال: دعوتك من كرب[3]فلبّيت دعوتي # و لم تعترضني إذ دعوت المعاذر

إليك و قد حلّئت[4]أوردت همّتي # و قد أعجزتني عن همومي المصادر

نمي بك عبد اللّه في العزّ و العلا # و حاز لك المجد المؤثّل طاهر

فأنتم بنو الدنيا و أملاك جوّها[5] # و ساستها و الأعظمون الأكابر

مآثر كانت للحسين و مصعب # و طلحة لا تحوي مداها المفاخر[6]

إذا بذلوا قيل الغيوث البواكر # و إن غضبوا قيل الليوث الهواصر[7]

تطيعكم يوم اللقاء البواتر # و تزهو[8]بكم يوم المقام المنابر

و ما لكم غير الأسرّة مجلس # و لا لكم غير السيوف مخاصر[9]

و لي حاجة إن شئت أحرزت مجدها # و سرّك منها أول ثم آخر

/كلام أمير المؤمنين و عطفه # فمالي بعد اللّه غيرك ناصر

و إن ساعد المقدور[10]فالنّجح واقع # و إلا فإني مخلص الودّ شاكر

عريب تكاتبه و تشفع له

حدثني جعفر بن قدامة قال:

كتبت عريب من سرّ من رأى إلى إبراهيم بن المدبر كتابا تتشوّقه فيه، و تخبره باستيحاشها له، و اهتمامها بأمره، و أنها قد سألت الخليفة في أمره، فوعدها بما تحبّ، فأجابها عن كتابها، و كتب في آخر الكتاب: لعمرك ما صوت بديع لمعبد # بأحسن عندي من كتاب عريب

[1]عضل: منع.

[2]جود المسألة في أمره: أحسن الشفاعة فيه.

[3]في جـ: «عن كرب» .

[4]في ب، س: جليت و هي تحريف، و معنى حلئت: منعت الماء.

[5]في هج: «شرقها» بدل «جوها» .

[6]المفاخر: جمع مفخرة: ما يتباهى به.

[7]الهواصر: الكواسر المحطمة.

[8]في م، هج، هد: و نزهى، و المعنى و نفتخر.

[9]المخصرة: ما يأخذه الملك بيده يشير به إذا خاطب و الخطيب إذا خطب.

[10]في م، هد، هج: «المقدار» ، و المعنى واحد.

تأمّلت في أثنائه خطّ كاتب # و رقّة مشتاق و لفظ خطيب

و راجعني من وصلها ما استرقّني # و زهّدني في وصل كلّ حبيب

فصرت لها عبدا مقرّا بملكها # و مستمسكا من ودها بنصيب

يحب نبتا و تحب هي مظفرا

أخبرني جعفر بن قدامة قال:

كان عليّ بن يحيى المنجّم و إبراهيم بن المدبر مجتمعين في منزل بعض الوجوه بسرّ من رأى على حال أنس، و كانت تغنّيهم جارية يقال لها نبت جارية البكرية[1]المغنية من جواري القيان، فأقبل عليها إبراهيم بن المدبّر بنظره و مزحه/و تجميشه[2]، و هي مقبلة على فتى كان أمرد من أولاد الموالي يقال له مظفّر، كانت تهواه، و كان أحسن الناس وجها، و لم يزل ذلك دأبهم إلى أن افترقوا، فكتب إليه عليّ بن يحيى يقول: لقد فتنت نبت فتى الظّرف و النّدى # بمقلة ريم فاتر الطّرف أحور

/و شدو يروق السامعين و يملأ الـ # قلوب سرورا مونق متخيّر

فأصبح في فجّ الهوى متقنّصا # عزيز على إخوانه ابن المدبّر[3]

و لم تدر ما يلقى بها و لو أنّها # درت روّحت من حرّه المتسعّر

و ذاك بها صبّ و نبت خليّة # و مشغولة عنه بوجه مظفّر

و لو أنصفت نبت لما عدلت به # سواه و حازت حسن مرأى و مخبر

فكتب إليه إبراهيم بن المدبر: طربت إلى قطربّل[4]و بلشكر[5] # و راجعت غيّا ليس عني بمقصر

و ذكّرني شعر أتاني مونق # حبائب قلبي في أوائل أعصري

فنهنهت[6]نفسي عن تذكّر ما مضى # و قلت: أفيقي لات حين تذكّر

أبا حسن ما كنت تعرف بالخنا # و لا بعلوّ في المكان المؤخّر[7]

و ما زلت محمود الشمائل مرتضى الخـ # لائق معروفا[8]بعرف و منكر

[1]في ف «بنت حارثة البكرية» بدل «جارية البكرية» .

[2]في ب، س «تخميشة» و هو تحريف، و التجميش: المغازلة بالقرص و اللعب.

[3]في جـ، هج: «لجّ الهوى» .

[4]قطربل: قرية بين بغداد و عكبرا ينسب إليها الخمر.

[5]بلشكر من قرى بغداد. و في هج: «و راجعت عما لست عنه بمقصر»

.

[6]نهنهت: كفت و زجرت.

[7]الخنا: الفحش في القبول، في جـ: «بغلو في المقال»

و في م:

«في المقام»

.

[8]في هج: «مقرونا» .

أ ترمي بنبت من جفاها تخيّرا # و باعدها عنه برأي موفّر؟[1]

و دافعها عن سرّها و هي تشتكي # إليه تباريح الهوى المتسعّر[2]

و لو كان تبّاعا دواعي نفسه # إذا لقضى أوطاره ابن المدبّر

/على أنه لو حصحص الحقّ باعها # و لو كان مشغوفا بها بمظفّر

بلؤلؤة زهراء يشرق ضوأها # و غرّة وجه كالصباح المشهّر

إلى اللّه أشكو أنّ هذا و هذه # غزالا كثيب ذي أقاح منوّر

و أنت فقد طالبتها فوجدتها # لها خلق لا يرغوي ذو توعّر

و حاولت منها سلوة عن[3]مظفّر # فما لان منها العطف عند التّخيّر[4]

نصحتك عن ودّ و لم أك جاهدا # فإن شئت فاقبل قول ذي النصح أوذر

فكتب إليه عليّ بن يحيى المنجم:

لعمري لقد أحسنت يا بن المدبّر # و ما زلت في الإحسان عين المشهّر

ظرفت و من يجمع من العلم مثل ما # جمعت أبا إسحاق يظرف و يشهر[5]

و لإبراهيم في نبت هذه أشعار كثيرة منها قوله: نبت إذا سكتت كان السكوت لها # زينا و إن نطقت فالدرّ ينتشر

و إنما أقصدت[6]قلبي بمقلتها # ما كان سهم و لا قوس و لا وتر

و قوله:

يا نبت يا نبت قد هام الفؤاد بكم # و أنت و اللّه أحلى الخلق إنسانا

ألا صليني فإنّي قد شغفت بكم # إن شئت سرّا و إن أحببت إعلانا

خاتما عريب

/أخبرني جعفر بن قدامة قال:

كان في إصبع إبراهيم بن المدبر خاتمان وهبتهما له عريب، و كانا مشهورين لها، /فاجتمع مع أبي العبيس بن حمدون في اليوم التاسع و العشرين من شعبان على شرب، فلما سكرا اتفقا على أن يصير إبراهيم إلى أبى العبيس، و يقيم عنده من غد إن لم ير الهلال، و أخذ الخاتمين منه رهنا. و رئي الهلال في تلك الليلة، و أصبح الناس صياما، [1]ف: «برأي موفر» بالفاء.

[2]المستعر: المتقد، و في جـ، و هد، و هج: «دافعها عن وصله» .

[3]في جـ، هد، هج: «سلوة من» .

[4]في جـ: «التجير» .

[5]في جـ: «و يشعر» .

[6]أقصدت: أصابت فلم تخطئ.

فكتب إبراهيم إلى أبي العبيس يطالبه بالخاتمين، فدافعه، و عبث به، فكتب إليه من غد: كيف أصبحت يا جعلت فداكا # إنني أشتكي إليك جفاكا

قد تمادى بك الجفاء و ما كنـ # ـت حقيقا و لا حريّا بذاكا

كن شبيها بمن مضى جعل اللـ # ـه لك العمر دائما و رعاكا

إنّ شهر الصيام شهر فكاك # أنت فيه و نحن نرجو الفكاكا

فاردد الخاتمين ردّا جميلا # قد تنعّمت[1]فيهما ما كفاكا

يا أبا عبد اللّه دعوة داع # يرتجي نجح أمره إذ دعاكا

[2]-يعني أبا عبد اللّه بن حمدون والد أبي العبيس المخاطب بهذا الشعر-[2]

خاتماي اللذان عند أبي العبـ # اس قد شارفا لديه الهلاكا

و هو حرّ و قد حكاك كما # أنك قد المكرمات تحكي أباكا

فبعث بالخاتمين إليه.

عريب تزوره؛ و تستزير أبا العبيس

و أخبرني جعفر قال:

زارت عريب إبراهيم بن المدبر و هو في داره على الشاطئ في المطيرة[3]و اقترحت عليه حضور أبي العبيس فكتب إليه إبراهيم: /

قل لابن حمدون ذاك الأريب # و ذاك الظريف و ذاك الحسيب[4]

كتابي إليك بشكوى عريب # لوجد شديد و شوق عجيب

و شوقي إليك كشوق الغريب # إلى أرضه بعد طول المغيب

و يومي إن أنت تمّمته # بقربك ذو كلّ حسن و طيب

حباني الزمان كما أشتهي # بقرب الحبيب و بعد الرقيب

فما زلت أشرب من كفّه # و أسقيه سقي اللطيف الأديب[5]

و يشكو إليّ و أشكو إليه # بقول[6]عفيف و قول مريب

[1]تنعمت: تمتعت: و في ب، س، جـ، هد، هج: «تولعت» .

(2-2) التكملة من هد و هج.

[3]المطيرة: قرية من متنزهات بغداد و سامراء.

[4]البيت من المتقارب دخله الخرم.

[5]في جـ: «الأريب» .

[6]هج، هد: «بفعل عفيف» .

إلى أن بدا لي وجه الصباح # كوجهك ذاك العجيب الغريب[1]

فلا تخلنا[2]يا نظام السرو # ر منك فأنت شفاء الكئيب

و غنّ لنا هزجا ممسكا # تخفّ له حركات اللبيب[3]

فإنك قد حزت حسن الغناء # و قد فزت منه بأوفى نصيب

و كن بأبي أنت رجع الجواب # فداؤك أنفسنا من مجيب[4]

يعجبه اللحن فيكمله

أخبرني جعفر قال:

غنّى أبو العبيس بن حمدون يوما عند إبراهيم:

صوت

إني سألتك بالذي # أدنى إليك من الوريد

إلاّ وصلت حبالنا # و كفيتنا شرّ الوعيد

/فزاد فيه إبراهيم[5]قوله:

الهجر لا مستحسن # بعد المواثق و العهود

و أراك مغراة به # أ فما غرضت من الصدود؟[6]

إني أجدّد لذّتي # ما لاح لي يوم جديد[7]

شربى معتّقة الكرو # م و نزهتي ورد الخدود

فغنى هذه الأبيات أبو العبيس متصلة باللحن الأول في البيتين و صار الجميع صوتا واحدا إلى الآن، و الأبيات الأخيرة لإبراهيم بن المدبر و الأوّلان ليسا له.

[1]في حـ، هد، هج: «الحبيب القريب» .

[2]في: جـ: «فلا تخلها» .

[3]في م: «يحن إليه فؤاد» .

[4]في حـ، و هج: «من حبيب» .

[5]في هج: «إبراهيم بن المدبر» .

[6]مغراة: مولعة من أغرى بالشيء أولع به، غرضت: ضجرت و مللت.

[7]في البيت إقواء و في هج، هد: «ما دمت في يوم جديد» .

نسبة هذا الصوت

الغناء في البيتين الأولين خفيف ثقيل مزموم[1]لأبي العبيس، و فيهما لبنان خفيف ثقيل آخر مطلق و فيهما لعريب[2]ثاني ثقيل بالوسطى.

يكمل لحنا آخر

قال جعفر: و غنته[3]يوما كراعة بسرّ من رأى و نحن حضور عنده.

/

يا معشر الناس أ ما مسلم # يشفع عند المذنب العاتب؟

ذاك الذي يهرب من وصلنا # تعلّقوا باللّه بالهارب

فزاد فيهما قوله:

ملّكته حبلى و لكنّه # ألقاه من زهد على غاربي

و قال إني في الهوى كاذب # فانتقم اللّه من الكاذب[4]

عود إلى حبس المتوكل له

حدثني عمي، قال: حدثني محمد بن داود قال: كتب إبراهيم بن المدبر إلى أبي عبد اللّه بن حمدون[5]في أيام نكبته يسأله إذكار المتوكّل و الفتح بأمره: كم ترى يبقى على ذا بدني # قد بلي من طول همّ و ضني![6]

أنا في أسر و أسباب ردّى # و حديد فادح يكلمني[7]

يا بن حمدون فتى الجود الذي # أنا منه في جنى ورد جنى

ما الذي ترقبه أم ما ترى # في أخ مضطهد مرتهن!

و أبو عمران موسى[8]حنق # حاقد[9]يطلبني بالإحن[10]

و عبيد اللّه أيضا مثله # و نجاح بي مجدّ ماييني

[1]مزعوم من الزم و هو شد الأوتار.

[2]في ب، س: لريق، و هو تحريف.

[3]في ب، س: «و غنيته» و هو تحريف.

[4]في هد، هج: «انتقم اللّه» بدون فاء.

[5]حمدون: أحد ندماء المتوكل.

[6]ضنى: تعب.

[7]يكلمني: يجرحني.
[8]أبو عمران موسى بن بغا الكبير أحد قواد المتوكل.
[9]كذا في م و في ب، س: حاقن، و لا معنى لها.
[10]جمع إحنة و هي الحقد و الغضب.

ليس يشفيه سوى سفك دمي # أو يراني مدرجا في كفني

و الأمير الفتح إن أذكرته # حرمتي قام بأمري و عني

فأل[1]صدق حين أدعو باسمه # و سرور حين يعرو حزني

قل له: يا حسن ما أوليتني # ما لما أوليتني من ثمن

زاد إحسانك عندي عظما # أنّه باد لمن يعرفني

لست أدري كيف أجزيك به # غير أني مثقل بالمنن

ما رأى القوم كذنبي عندهم # عظم ذنبي أنّني لم أخن

ذاك فعلي و تراثي عن أبي # و اقتدائي بأخي في السّنن

سنّة صالحة معروفة # هي منّا في قديم الزمن

/ظفر الأعداء بي عن حيلة # و لعل اللّه أن يظفرني

ليت أني و هم في مجلس # يظهر الحقّ به للفطن

فترى لي و لهم ملحمة # يهلك الخائن فيها و الدّني

و الذي أسأل أن ينصفني # حاكم يقضي بما يلزمني

قل لحمدون خليلي و ابنه # و لعيسى[2]حرّكوه يا بنى

-يعني يا بني الزانية، فلم يزالوا في أمره حتى خلّصوه-

هل جرب الخمر من فهما؟

حدثني محمد بن يحيى الصولي: قال:

كان إبراهيم بن المدبر يحب جارية للمغنية المعروفة بالبكرية بسرّ من رأى فقال فيها: /

غادرت قلبي في إسار لديك # فويلتا[3]منك و ويلي عليك

قد يعلم اللّه على عرشه[4] # أني أعاني الموت شوقا إليك

منّي بفكّ الأسر أو فاقتلي # أيهما أحببت من حسنييك

قد كنت لا أعدى[5]على ظالم # فصرت لا أعدي على مقلتيك

[1]في س: «قال» و هو تحريف. يعني التفاؤل باسم الفتح بن خاقان.

[2]يقصد عيسى بن إبراهيم النصراني كاتب سعيد بن صالح، و كان يسعى على ابن المدبر.

[3]كذا في ف، و في جـ: «فالويل لي منك» و في هد: «غودر قلبي» .
[4]كذا في ب، و في حـ، هج: «فليعلم اللّه تعالى اسمه» .
[5]لا أعين: و في ب: «أعدو» و لا معنى له.

الخمر من فيك لمن ذاقه # و الورد للناظر من وجنتيك

يا حسرتا إن متّ طوع الهوى # و لم أنل ما أرتجيه لديك

و أنشدها أبو عبد اللّه بن حمدون هذه الأبيات، و غنّت بها، و جعل يكرّر قوله: الخمر من فيك لمن ذاقه

و يقول: هذا و اللّه قول خبير مجرّب، فاستحيت من ذلك، و سبّت إبراهيم، فبلغه ذلك، فكتب إلى أبي عبد اللّه يقول: أ لم يشقك التماع البرق في السحر؟ # بلى و هيّج من وجد و من ذكر

ما زال دمعي غزير القطر منسجما # سحّا بأربعة تجري[1]من الدّرر

و قلت للغيث لما جاد وابله # و ما شجاني من الأحزان و السّهر

يا عارضا ماطرا أمطر على كبدي # فإنّها كبد حرّي من الفكر

لشدّ ما نال منّي الدهر و اعتلقت # يد الزمان و أوهت من قوى مرري[2]

/يا واحدي من عباد اللّه كلّهم # و يا غناي[3]و يا كهفي و يا وزري

أ حين أنشدت شعري في معذّبتي # أ ما رثيت لها من شدة الحصر؟

و ما شفعت بها شعري و قلت به # في ريقها البارد السلسال ذي الخصر[4]

لبئس مستنصحا في مثل ذلك يا # نفسي فداؤك من مستنصح غدر

و اليوم يوم كريم ليس يكرمه # إلاّ كريم من الفتيان ذو خطر

نشدتك اللّه فاصبحه[5]بصحبته # مباكرا فألذّ الشّرب في البكر

و أجمع نداماك فيه و اقترح رملا # صوتا تغنّيه ذات الدّل و الخفر

يرتاح للدّجن[6]قلبي و هو مقتسم # بين الهموم ارتياح الأرض للمطر

يا غادرا يا أحبّ الناس كلّهم # إليّ و اللّه من أنثى و من ذكر

[1]في هد: «تهمي» بدل «تجري» .

[2]مرري: قواي، جمع مرة.

[3]في حـ: «غياثي» .

[4]الخصر: البرد، و الفعل خصير.

[5]كذا في ف؛ و في ب، س: «فاصحبه» .

[6]جـ، هج: «للذكر» ، بدل «الدجن» .

و يا رجائي و يا سؤلي و يا أملي # و يا حياتي و يا سمعي و يا بصري

/و يا مناي و يا نوري و يا فرحي # و يا سروري و يا شمسي و يا قمري

لا تقبلي قول حسّادي عليّ و لا[1] # و اللّه ما صدقوا في القول و الخبر

أدالني[2]اللّه من دهر يضعضعني[3] # فقد حجبت عن التسليم و النظر

إن يحجبوا عنك في تقديرهم بصري # فكيف لم يحجبوا ذكري و لا فكري؟

/يا قوم قلبي ضعيف من تذكّرها # و قلبها فارغ أقسى من الحجر

اللّه يعلم أنّي هائم دنف # بغادة ليتها حظّي من البشر

مجلس من مجالسه

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال: حدثني عبد اللّه بن محمد المروزي، قال: حدثني الفضل بن العباس ابن المأمون، قال: زارتني عريب يوما و معها عدّة من جواريها، فوافتنا و نحن على شرابنا، فتحدثت معنا ساعة، و سألتها أن تقيم عندنا، فأبت، و قالت: قد وعدت جماعة من أهل الأدب و الظّرف أن أصير إليهم، و هم في جزيرة المربد[4]، منهم إبراهيم بن المدبر، و سعيد بن حميد، و يحيى بن عيسى بن منارة، فخلفت عليها، فأقامت. و دعت بدواة و قرطاس و كتبت إليهم سطرا واحدا؛ **بِسْمِ اَللّٰهِ اَلرَّحْمَنِ اَلرَّحِيمِ*** أردت، و لو لا، و لعلي.

و وجّهت الرقعة إليهم، فلما وصلت قرءوها، و عيوا بجوابها، فأخذها إبراهيم بن المدبّر، فكتب تحت أردت «ليت» و تحت لو لا «ما ذا» ؟و تحت لعلي «أرجو» و وجّه بالرقعة إليها، فلما قرأتها طربت و نعرت[5]، و قالت: أنا أترك هؤلاء و أقعد عندكم؟تركني اللّه إذا من يديه، و قامت فمضت و قالت لكم فيمن أتخلّفه عندكم من جواريّ كفاية[6].

عريب تتدله في حبه عند مكاتبتها له

أخبرني محمد بن خلف: قال: حدثني عبد اللّه بن المعتز، قال: قرأت في مكاتبات لعريب فصلا من جواب أجابت به إبراهيم بن المدبّر/مكاتبة بديعة بعيادة: قد استبطأت عيادتك-قدّمت قبلك-[7]و عذرتك، فما ذكرت عذرا ضعيفا لا ينبغي أن يفرح به[7]. فأستديم اللّه نعمه عندك.

[1]في حـ، هد: «فلا» .

[2]أدالني؛ نصرني.

[3]في جـ: «يضعفني» بمعنى يهدمني.

[4]كذا في ف؛ باقي النسخ «المؤيد» ؛ تصحيف.

[5]نعرت: صوتت بخيشومها.

[6]تخلف فلان فلانا: جعله خليفته، و في هد، هج: «لكم في جواري الكفاية» .

(7-7) التكملة من هد.

قال و كتبت إليه أيضا:

أستوهب اللّه حياتك، قرأت رقعتك المسكينة التي كلّفتها مسألتك[1]عن أحوالنا، و نحن نرجو من اللّه أحسن عوائده عندنا و ندعوه ببقائك، و نسأله الإجابة فلا تعوّد نفسك-جعلني اللّه فداءها-هذا الجفاء، و الثقة مني بالاحتمال و سرعة الرجوع.

و كتبت إليه و قد بلغها صومه يوم عاشوراء: قبل اللّه صومك و تلقّاه بتبليغك ما التمست، كيف ترى نفسك؟-نفسي فداؤك-و لم كدّرت جسمك في آب[2]، أخرجه اللّه عنك في عافية، فإنه فظ غليظ و أنت محرور[3]، و إطعام[4]عشرة مساكين أعظم لأجرك، و لو علمت لصمت لصومك مساعدة لك و كان الثواب في حسناتك دوني، لأن نيتي في الصوم كاذبة.

أخبرني جعفر بن قدامة قال:

اتصلت لعريب أشغال دائمة في أيام تركوا رسي[5]، و خدمتها فيما هنالك. فلم يرها إبراهيم بن المدبّر مدة، فكتب إليها:

صوت

إلى اللّه أشكو وحشتي و تفجّعي # و بعد المدى بيني و بين عريب

مضى دونها شهران لم أحل فيهما # بعيش و لا من قربها بنصيب

فكنت غريبا بين أهلي و جيرتي # و لست إذا أبصرتها بغريب

و إنّ حبيبا لم ير النّاس مثله # حقيق بأن يفدى بكلّ حبيب

/لعريب في هذه الأبيات خفيف ثقيل من رواية ابن المعتز، و هو من مشهور غنائها.

عود إلى مكاتبات عريب

و قال ابن المعتز في ذكره مكاتبات عريب إلى إبراهيم بن المدبر، و قد كتب إليها يشكو علته: كيف أصبحت أنعم اللّه صباحك و مبيتك؟و أرجو أن يكون صالحا، و إنما أردت إزعاج قلبي فقط.

و كتبت إليه تدعو له في شهر رمضان:

أفديك بسمعي و بصري و أهلّ اللّه هذا الشهر عليك باليمن و المغفرة، و أعانك على المفترض فيه و المتنفّل، و بلّغك مثله أعواما، و فرّج عنك و عنّي فيه.

قال و كتبت إليه:

[1]كلف، يتعدى إلى المفعول الثاني بنفسه.

[2]آب: شهر أغسطس. و في هد: «و لم كدرت نفسك بالصوم في آب» .

[3]محرور: يجد بصدره حرارة.

[4]في هد. و الطعام عشرة...

[5]كذا في النسخ و لم نقف له على معنى.

فداؤك السمع و البصر و الأمّ و الأب و من عرفني و عرفته. كيف ترى نفسك وقّيتها الأذى؟و أعمى اللّه شائنك، و مقّه؟[1]اللّه عند هذه الدعوة، و أرجو أن تكون قد أجيبت إن شاء اللّه، و كيف ترى الصوم؟عرّفك اللّه بركته، و أعانك على طاعته، و أرجو أن تكون سالما من كل مكروه بحول اللّه و قوّته، و وا شوقي إليك و وا وحشتي لك، ردّك اللّه إلى أحسن ما عوّدك، و لا أشمت بي فيك عدوّا و لا حاسدا. و قد وافاني كتابك لا عدمته إلاّ بالغنى عنه بك، و ذكرت حامله، فوجهت رسولي إليه/ليدخله، فأسأله عن خبرك، فوجدته منصرفا، و لو رأيته لفرشت خدّي له، و كان لذلك أهلا.

و كتبت إليه و قد عتبت عليه في شيء بلغها عنه: وهب اللّه لنا بقاءك ممتّعا بالنعم، ما زلت أمسّ[2]في ذكرك، فمرة بمدحك، و مرة بشكرك، و مرة بأكلك و ذكرك بما فيك لونا لونا. اجحد ذنبك الآن و هات حجج الكتّاب و نفاقهم، فأما خبرنا أمس فإما شربنا من فضلة نبيذك على تذكارك رطلا رطلا، و قد رفعنا حسباننا إليك، فارفع حسبانك إلينا، و خبّرنا من زارك أمس و ألهاك، و أي شيء كانت القصة على جهتها؟و لا تخطرف[3]، فتحوجنا إلى كشفك و البحث عنك[4]، و عن حالك، و قل الحقّ، فمن صدق نجا، و ما أحوجك إلى تأديب، فإنك لا تحسن أن تؤدّبه، و الحقّ أقول إنه يعتريك كزاز[5]شديد يجوز حدّ البرد. و كفاك بهذا من قولي عقوبة، و إن عدت سمعت أكثر من هذا، و السلام.

يشمت في الشامت به

حدثني عمي قال: حدثني محمد بن داود قال:

كان عيسى بن إبراهيم النّصراني المكنى أبا الخير كاتب سعيد بن صالح يسعى على إبراهيم بن المدبّر في أيام نكبته، فلما زالت، و مات سعيد نكب عيسى بن إبراهيم و حبس و نهبت داره فقال فيه إبراهيم بن المدبر: قل لأبي الشرّ إن مررت به # مقالة عريّت من اللّبس[6]

ألبسك اللّه من قوارعه # آخذة بالخناق و النّفس

/لا زلت يا بن البظراء مرتهنا # في شرّ حال و ضيق محتبس

أقول لما رأيت منزله # منتهبا خاليا من الأنس[7]

يا منزلا قد عفا من الطّفس[8] # و ساحة أخليت من الدّنس

[1]المراد أهلكه، من متى الطلعة: شقها للأبار. و في ب، س: «أمقه» ، و في هد: «و عطست و اللّه عند هذه الدعوة» .

[2]كذا في جـ و في هد، هج: «أدس» تصحيف.

[3]لا تخطرف: لا تجاوز الحقيقة.

[4]كذا في جـ و في س و ب: «عليك» و هو تحريف.

[5] «إنه يعتريك كزاز» المراد الانقباض و الانزواء، و الكزاز أصله داء من شدة البرد، و فعله كز.

[6]هد: عربت من الدنس» .

[7]الأنس: المؤانسين جمع أنيس.

[8]الطفس: الدنس.

من لاقتراف الفحشاء بعد أبي الشرّ و من للقبيح و النجس؟

تحية إلى أحبابه من الدير

أخبرني جعفر بن قدامة قال:

ولي إبراهيم بن المدبر بعقب نكبته و زوالها عنه الثغور الجزرية[1]، فكان أكثر مقامه بمنبج[2]، فخرج في بعض أيام ولايته إلى نواحي دلوك[3]و رعبان[4]، و خلّف بمنبج جارية كان يتحظّاها مغنية يقال لها غادر، فحدثني بعض كتابه أنه كان معه بدلوك، و هو على جبل من جبالها، فيه دير يعرف بدير سليمان من أحسن بلاد اللّه و أنزهها، /فنزل عليه و دعا بطعام خفيف فأكل و شرب، ثم دعا بدواة و قرطاس فكتب: أيا ساقيينا[5]وسط دير[6]سليمان # أديرا الكئوس فانهلاني و علاّني

و خصّا بصافيها أبا جعفر أخي # و ذا ثقتي بين[7]الأنام و خلصاني[8]

و ميلا بها نحو ابن سلاّم الذي # أودّ و عودا بعد ذاك لنعمان

/و عمّا بها الندمان و الصحب إنني # تنكّرت عيشي[9]بعد صحبي و إخواني

و لا تتركا نفسي تمت بسقامها # لذكرى حبيب قد شجاني و عنّاني[10]

ترحّلت عنه عن صدود و هجرة # و أقبل نحوي و هو باك فأبكاني

و فارقته و اللّه يجمع شملنا # بلوعة[11]محزون و غلّة حرّان

و ليلة عين المرج[12]زار خياله # فهيّج لي شوقا و جدّد أشجاني

فأشرفت أعلى الدّير أنظر طامحا # بألمح آماق و أنظر إنسان

لعلّي أرى أبيات منبج رؤية # تسكّن من وجدي و تكشف أحزاني

فقصّر طرفي و استهلّ بعبرة # و فدّيت من لو كان يدري لفدّاني

[1]تشمل أنطاكية و مرعش، و ف: «الخزرية» و في س، ب: الخزوية» و هو تحريف.

[2]منبج: من أعمال حلب شمالي الشام.

[3]دلوك، بفتح الدال كما في «القاموس» و «معجم ما استعجم» ، و في ياقوت بالضم: بليدة من نواحي حلب.

[4]في س، ب رعيان، بالياء و هو تحريف: مدينة بين حلب و سميساط.

[5]في س و ب: «يا ساقييا» و هو تحريف.

[6]دير سليمان: قرب دلوك مطل على مرج العين، و هو في غاية النزاهة.

[7]في م، ب «دون» .

[8]الخالص من الإخوان يستوى فيه الواحد و الجمع.

[9]في ب، س: «عيش» .

[10]في ياقوت: «قد سقاني و غناني» .

[11]في ب، س: «بكرعة» و هو تحريف.

[12]عين المرج: قرية من نواحي سامراء و كانت من منتزهات بغداد.

و مثّله شوقي إليه مقابلي # و ناجاه قلبي بالضمير و ناجاني[1]

يهدي شعره إلى أخيه

قرأت على ظهر دفتر فيه شعر إبراهيم بن المدبر أهداه مجموعا إلى أخيه أحمد، فلما وصل إليه قرأه و كتب عليه بخطه: أبا إسحاق إن تكن الليالي # عطفن عليك بالخطب الجسيم

فلم أر صرف هذا الدهر يجري # بمكروه على غير الكريم

وفاء عريب له

أخبرني جعفر بن قدامة قال: حدثني ميمون بن هارون قال: اجتمعت مع عريب في مجلس أنس بسرّ من رأى عند أبي عيسى بن المتوكل، و إبراهيم بن المدبر يومئذ ببغداد، فمرّ لنا أحسن يوم، و ذكرته عريب فتشوّقته/و أحسنت الثناء عليه و الذكر له، فكتبت إليه بذلك من غد، و شرحته له، فأجابني عن كتابي و كتب في آخره: أتعلم يا ميمون ما ذا تهيجه # بذكرك أحبابي و حفظهم العهدا

و وصف عريب في كريم وفائها # و إجمالها ذكرى و إخلاصها الودّا؟

عليها سلامي إن تكن دارها نأت # فقد قرّب اللّه الذي بيننا جدّا

سقى اللّه دارا بعدنا جمعتكم # و سكّن ربّ العرش ساكنها الخلدا[2]

و خصّ أبا عيسى الأمير بنعمة # و أسعد فيما أرتجيه له الجدّا

فما ثمّ من مجد و طول و سودد # و رأى أصيل يصدع الحجر الصّلدا

يصلحون بينه و بين عريب

حدثني جحظة قال: حدثني عبد اللّه بن حمدون قال:

اجتمعت أنا و إبراهيم بن المدبر و ابن منارة و القاسم و ابن زرزور في بستان بالمطيرة و في يوم غيم يهريق رذاذه و يقطر أحسن قطر، و نحن في أطيب عيش و أحسن يوم، فلم نشعر إلا بعريب قد أقبلت من بعيد، فوثب إبراهيم بن المدبر من بيننا، فخرج حافيا، حتى تلقّاها و أخذ بركابها[3]، حتى نزلت و قبّل الأرض بين يديها، و كانت قد هجرته مدّة لشيء أنكرته عليه، فجاءت و جلست و أقبلت عليه مبتسمة، /و قالت: إنما جئت إلى من هاهنا لا إليك.

فاعتذر و شيّعنا[4]قوله، و شفعنا له. فرضيت و أقامت عندنا يومئذ و باتت، و اصطبحنا من غد، و أقامت عندنا فقال إبراهيم: [1]في ياقوت: «و

ناجاه عني بالضمير» .

[2]في ف، هج، هد: رب الخلد.

[3]الركاب: حديدة معلقة في السرج يستعان بها على الركوب، و الجمع ركب كعنق.

[4]شيعنا: قوينا.

صوت

بأبي من حقّق الظن به # فأتانا زائرا مبتديا

كان كالغيث تراخى مدّة # و أتى بعد قنوط مرويا

طاب يومان لنا في قربه # بعد شهرين لهجر مضيا

فأقرّ اللّه عيني و شفى # سقما كان لجسمي مبليا

لعريب في هذا الشعر لحنان: رمل و هزج بالوسطى.

من شعره في عريب

أنشدني الصوليّ رحمه اللّه لإبراهيم بن المدبر في عريب: زعموا أني أحبّ عريبا # صدقوا و اللّه حبّا عجيبا

حلّ من قلبي هواها محلاّ # لم تدع فيه لخلق نصيبا

ليقل من قد رأى الناس قدما: # هل رأى مثل عريب عريبا؟

هي شمس و النساء نجوم # فإذا لاحت أفلن غيوبا

و أنشدني الصوليّ أيضا له[1]فيها:

ألا يا عريب وقيت الرّدى # و جنّبك اللّه صرف الزمن

فإنك أصبحت زين النساء # و واحدة الناس في كل فنّ

فقربك يدنى لذيذ الحياة # و بعدك ينفي لذيذ الوسن

فنعم الجليس و نعم الأنيس # و نعم السّمير و نعم السّكن[2]

/و أنشدني أيضا له:

إن عريبا حلقت وحدها # في كلّ ما يحسن من امرها

و نعمة للّه في خلقه # يقصّر العالم عن شكرها[3]

أشهد في جاريتيها على # أنهما محسنتا دهرها

فبدعة تبدع في شدوها # و تحفة تتحف في زمرها

يا ربّ أمتعها بما خوّلت # و امدد لنا يا ربّ في عمرها

أبو شراعة يودعه

أخبرنا أبو الفياض سوار بن أبي شراعة القيسي البصريّ قال: [1]هذا الخبر زيادة من ف.

[2]السكن: ما يسكن إليه و يستأنس به.

[3]كذا في ف.

كان إبراهيم بن المدبر يتولّى البصرة، و كان محسنا إلى أهل البلد إحسانا يعمهم، و يشتمل على جماعتهم[1] نفعه، و يخصّنا من ذلك بأوفر حظ و أجزل نصيب، فلما صرف عن البصرة شيّعه أهلها، و تفجّعوا لفراقه، و ساءهم صرفه، فجعل يرد الناس من تشييعهم على قدر مراتبهم[2]في الأنس به، حتى لم يبق معه إلاّ أبي، فقال له: يا أبا شراعة، إن المشيّع مودّع لا محالة، و قد بلغت أقصى الغايات، فبحقي عليك إلا انصرفت، ثم قال: يا غلام احمل إلى أبي شراعة ما أمرتك له به، فأحضر ثيابا و طيبا و مالا، فودّعه أبي، ثم قال: يا أبا إسحاق سر في دعة # و امض مصحوبا فما منك خلف

/ليت شعري أيّ أرض أجدبت # فأغيثت بك من جهد العجف[3]؟

/نزل الرّحم[4]من اللّه بهم # و حرمناك لذنب قد سلف

إنما أنت ربيع باكر # حيثما صرّفه اللّه انصرف

قلبه عند عريب

أخبرني عليّ بن العباس بن طلحة الكاتب قال:

قرأت جوابا بخط إبراهيم بن المدبر في أضعاف رقعة كتبتها إليه عريب، فوجدته قد كتب تحت فصل من الكتاب تسأله فيه عن خبره.

و ساءلتموه بعدكم كيف حاله # و ذلك أمر بيّن ليس يشكل

فلا تسألوا عن قلبه فهو عندكم # و لكن عن الجسم المخلّف فاسألوا

لا يسر و عريب نازحة

أخبرني عليّ بن العباس[5]قال: حدثني أبي قال: كنت عند إبراهيم بن المدبّر، فزارته بدعة و تحفة و أخرجتا إليه رقعة من عريب فقرأناها فإذا فيها: بنفسي أنت و سمعي و بصري، و قلّ ذاك لك، أصبح يومنا هذا طيّبا، طيّب اللّه عيشك، قد احتجبت سماؤه و رقّ هواؤه، و تكامل صفاؤه، فكأنه أنت في رقة شمائلك و طيب محضرك و مخبرك، لا فقدت ذلك أبدا منك، و لم يصادف حسنه و طيبه مني نشاطا و لا طربا لأمور صدّتني عن ذلك، أكره تنغيص ما أشتهيه لك من السرور بنشرها.

و قد بعثت إليك ببدعة و تحفة ليؤنساك و تسرّ بهما. سرّك اللّه و سرّني بك! فكتب إليها يقول: [1]في هج: و يشمل جماعتهم.

[2]هج: «على قدر منازلهم» .

[3]العجف: الهزال الشديد.

[4]الرحم هنا: الرحمة.

[5]في هج: على بن العباس بن أبي طلحة الكاتب.

كيف السرور و أنت نازحة # عنّي و كيف يسوغ لي الطرب!

إن غبت غاب العيش و انقطعت # أسبابه و ألحّت الكرب

و أنفذ الجواب إليها، فلم يلبث أن جاءت، فبادر إليها، و تلقاها حافيا حتى جاء بها على/حمار مصري كان تحتها إلى صدر مجلسه، يطأ الحمار على[1]بساطه و ما عليه، حتى أخذ بركابها، و أنزلها في صدر مجلسه و جلس بين يديها، ثم قال: ألا رب يوم قصّر اللّه طوله # بقرب عريب حبّذا هو من قرب

بها تحسن الدنيا و ينعم عيشها # و تجتمع السرّاء للعين و القلب

من شعره في جاريتي عريب

حدثني عليّ بن سليمان قال: أنشدني أبي قال:

أنشدني[2]إبراهيم بن المدبر، و قد كتب إلى بدعة و تحفة يستدعيهما، فتأخّرتا عنه فكتب إليهما: قل يا رسول لهذه # و لهذه بأبي هما

قد كان وصلكما لنا # حسنا ففيم قطعتما؟

أ عريب سيّدة النسا # ء بهجرنا أمرتكما؟

كلاّ و بيت اللّه بل # هذا جفاء منكما

صوت له غنته عريب

و أنشدني عليّ بن العباس لإبراهيم بن المدبر، و فيه لعريب هزج، و قال: ألا يا بأبي أنتم # نأت دار بنا عنكم

فإن كنتم تبدلتم # فما من بدل منكم

و إن كنتم على العهد # فأحسنتم و أجملتم

/و يا ليت المنى حقّت # فنبديها و لا تكتم

فكنتم حيثما كنا # و كنّا حيثما كنتم

من شعره في سجنه

و حدثني عليّ قال: حدثني أبي قال:

/دخلت ليلة على إبراهيم بن المدبر في أيام نكبته ببغداد في ليلة غيم، فلاح برق من قطب الشمال و نحن نتحدث، فقطع الحديث، و أمسك ساعة مفكرا، ثم أقبل عليّ فقال: [1]الفعل متعد بنفسه، و استعمله «اللسان»

كما جاء هنا فقال في مادة وطأ: لأن من يطأ على الشيء برجله فقد استقصى في هلاكه و أهانته.

[2]في س و ب زيادة «أبي» . ـ

بارق شرّد الكرى # لاح من نحو ما ترى

هاج للقلب شجوه # فاعترى منه ما اعترى

أيها الشادن[1]الذي # صاد قلبي و ما درى

كن عليما بشقوتي # فيك من بين ذا[2]الورى

عود إلى جاريتي عريب

و حدثني عن أبيه قال:

كنت عند إبراهيم بن المدبر فزارته بدعة و تحفة و أقامتا عنده، فأنشدنا يومئذ: أيها[3]الزائران حياكما اللـ # ه و من أنتما له بالسّلام

ما رأينا في الدهر بدرا و شمسا # طرقا ثم رجّعا[4]بالكلام

كيف خلّفتما عريبا سقاها اللّه # ربّ العباد صوب الغمام

هي كالشمس و الحسان نجوم # ليس ضوء النهار مثل الظلام

جمعت كلّ ما تفرّق في النا # س و صارت فريدة في الأنام

شعره في سجنه

و أنشدني عن أبيه لإبراهيم بن المدبر و هو محبوس:

/

و اني لأستنشي[5]الشّمال إذا جرت # حنينا إلى ألاّف قلبي و أحبابي

و أهدي مع الريح الجنوب إليهم # سلامي و شكوى طول حزني و أوصابي

فيا ليت شعري هل عريب عليمة # بذلك أو[6]نام الأحبة عما بي؟

يعاتب صديقه أبا الصقر

حدثني عمي، عن محمد بن داود قال:

كان إبراهيم بن المدبر صديق أبي الصقر إسماعيل بن بلبل فلم يرض فعله لمّا نكب و لا نيابته عنه فقال فيه: [1]الشادن: ولد الظبي.

[2]في س و ب: «ذي» : و هو تحريف.

[3]في س و ب: «أيهما» و هو تحريف و في هد: أيها الراكبان.

[4]الترجيع في الأصل؛ ترديد الصوت على نحو ما يفعل الملحنون، و المراد هنا تكرار لاستئذان، و في هج: ثم رجعنا في الكلام.

[5]أستنشي: أشم، و في س، ب: «لأستثنى» و في هد هج: «إني لأستشني» بلا واو، فيكون في البيت خرم.

[6]في ب، س: «أم» .

لا تطل عذلي عناء[1] # إن في العذل بلاء[2]

لست أبكي بطن مرّ[3] # فكديّا[4]فكداء[5]

إنّما أبكي خليلا # خان في الود الصفاء

يا أبا الصقر سقاك اللـ # ـه تهتانا[6]رواء[7]

و أدام اللّه نعما # ك و ملاّك[8]البقاء

لم تجاهلت ودادي # و تناسيت الإخاء؟

/كنت برّا فعلى رأ # سي تعلّمت الجفاء

لا تميلنّ مع الريـ # ـح إذا هبّت رخاء

ربّما هبّت عقيما[9] # تترك الدنيا هباء

حلم يتحقق

أخبرني علي بن العباس قال: حدثني أبي قال:

كنت عند إبراهيم بن المدبر وزارته عريب. /فقال لها: رأيت البارحة في النوم أبا العبيس و قد غنى في هذا الشعر و أنت تراسلينه فيه: يا خليليّ أرقنا حزنا # لسنا برق تبدّى موهنا[10]

و كأني أجزته بهذا البيت و سألتكما أن تضيفاه إلى الأول: و جلا عن وجه دعد موهنا # عجبا منه سنا أبدى سنا

فقالت: ما أملح و اللّه الابتداء و الإجازة!فاجعل ذلك في اليقظة، و اكتب إلى أبي العبيس و سله عني و عنك الحضور، فكتب إليه إبراهيم: يا أبا العباس يا أفتى الورى # زارنا طيفك في سكر الكرى

و تغنّى لي صوتا حسنا # في سنا برق على الأفق سرى

[1]في س و ب: «عيّما» .

[2]في س، ب: «عياء» .

[3]بطن مر: من نواحي مكة يجتمع عنده وادي النخلتين.

[4]بأسفل مكة عند ذي طوى بقرب شعب الشافعيين.

[5]بأعلى مكة عند المحصب.

[6]تهتانا: مطرا متتابعا.

[7]رواء: كثيرا مرويا.

[8]ملاك: أمتعك.

[9]عقيما: لا خير فيها.

[10]موهن، نحو نصف الليل.

و عريب عندنا حاصلة[1] # زين من يمشي على وجه الثّرى

نحن أضيافك في منزلنا # نتمثّاك فكن أنت القرى

قال: فسار إليهما أبو العبيس، و حدثه إبراهيم برؤياه، فحفظا الشعر، و غنيّا فيه بقية يومهما:

صوت

ألا حيّ قبل البين من أنت عاشقه # و من أنت مشتاق إليه و شائقه

و من لا تواتى داره غير فينة[2] # و من أنت تبكي كلّ يوم تفارقه

الشعر لقيس بن جروة الطائي الأجئيّ، قاله في غارة أغارها عمرو بن هند على إبل لطيّئ فحرّض زرارة بن عدس عمرو بن هند على طيئ و قال له: إنهم يتوعّدونك، فغزاهم و اتّصلت الأحوال إلى أن أوقع عمرو ببني[3]تميم في يوم أوارة[4]و خبر ذلك يذكرها هنا؛ لتعلّق بعض أخباره ببعض.

و الغناء لإبراهيم الموصلي ثقيل أول بالوسطى عن الهشامي و من مجموع غناء إبراهيم.

[1]في هد: «حاضرة» .

[2]الفينة: الحين.

[3]كذا في جـ، و في س، ب، ف: «ابن» .

[4]أوارة: اسم ماء أو جبل لبني تميم بناحية البحرين؛ و قد أوقع فيه عمرو بن هند ببني تميم.

18-ذكر الخبر في هذه الغارات و الحروب

يوم أوارة

نسخت ذلك من كتاب عمر بن محمد بن عبد الملك الزيات بخطه، و ذكر أن أحمد بن الهيثم بن فراس[1] أخبره به عن العمريّ عن هشام بن الكلبيّ عن أبيه و غيره من أشياخ طيّىء. قال: و حدثني محمد بن أبي السريّ عن هشام بن الكلبي قالوا: كان من حديث يوم أوارة أن عمرو بن المنذر بن ماء السماء-و هو عمرو بن هند يعرف باسم أمه هند بنت الحارث الملك المنصور بن حجر آكل المرار[2]الكنديّ و هو الذي يقال له مضرّط الحجارة-أنه كان عاقد هذا الحي من طيّىء على ألا ينازعوا و لا يفاخروا و لا يغزوا، و أن عمرو بن هند غزا اليمامة، فرجع منفضا[3]فمر بطيّئ، فقال له زرارة بن عدس بن زيد بن عبد اللّه بن دارم الحنظلي: أبيت اللعن!أصب من هذا الحيّ شيئا، قال له: ويلك!إنّ لهم عقدا، قال: و إن كان، فلم يزل به حتى أصاب نسوة و أذوادا[4].

قيس بن جروة يتهدد عمرو بن هند

فقال في ذلك الطائيّ، و هو قيس بن جروة أحد الأجئيين[5]قال: ألا حيّ قبل البين من أنت عاشقه # و من أنت مشتاق إليه و شائقه

و من لا تواتى داره غير فينة # و من أنت تبكي كلّ يوم تفارقه

و تعدو بصحراء الثويّة[6]ناقتي # كعدو النّحوص[7]قد أمخّت[8]نواهقه[9]

/إلى الملك الخير ابن هند تزوره # و ليس من الفوت الذي هو سابقه[10]

[1]و في س، ب: «الفراس» .

[2]المرار: شجر من أفضل العشب و أضخمه إذا أكلته الإبل قلصت مشافرها.

[3]منفضا: نافد الزاد.

[4]الذود: جماعة الإبل من ثلاث إلى عشر و لا يكون إلا من الإناث.

[5]في س، ب: الأحيين، و هو تحريف، و النسبة إلى أجأ.

[6]الثوية: موضع قرب الكوفة.

[7]النحوص: الأتان لا ولد لها و لا لبن فيها، و في هج: «كعد و رباع» .

[8]أمخت: صار لها مخ.

[9]النواهق: عظام شاخصة من ذي الحافر في مجرى الدمع، و المراد أنها سمينة.

[10]في ب، س: «سائقه» .

و إنّ نساء هنّ ما قال قائل # غنيمة سوء بينهنّ مهارقه[1]

و لو نيل في عهد لنا لحم أرنب # رددنا و هذا العهد أنت معالقه[2]

فهبك ابن هند لم تعقك أمانة # و ما المرء إلا عقده و مواثقه

و كنا إناسا خافضين بنعمة # يسيل بنا تلع[3]الملا[4]و أبارقه[5]

فأقسمت لا أحتلّ[6]إلاّ بصهوة[7] # حرام عليّ رمله و شقائقه[8]

و أقسم جهدا بالمنازل من منّى # و ما خبّ[9]في بطائهن درادقه[10]

لئن لم تغيّر ما قد فعلتم # لأنتحينّ[11]العظم ذو أنا[12]عارقه[13]

/فسمى عارقا بهذا البيت. فبلغ هذا الشعر عمرو بن هند، فقال له زرارة بن عدس: أبيت اللعن، إنه يتوعّدك. فقال عمرو بن هند لترملة[14]بن شعاث الطائي-و هو ابن عمّ عارق[15]: أ يهجوني ابن عمك و يتوعّدني! قال: و اللّه ما هجاك، و لكنه قد قال: و اللّه لو كان ابن جفنة جاركم # لكسا الوجوه غضاضة[16]و هوانا

و سلاسلا يبرقن في أعناقكم # و إذا لقطّع تلكم[17]الأقرانا[18]

و لكان عادته على جيرانه # ذهبا و ريطا رادعا و جفانا

[1]المهرق: ثوب أبيض أو ورق يكتب عليه العهود و ما أريد بقاؤه على الدهر، و المعنى: أن النساء اللاتي سباهن الملك و حسّن له بعض الناس الإيقاع بهن غنيمة شر لا ينتفع بها إذ قد سبق عهد الملك لهن بالأمان.

[2]معالقه: متعلق بذمتك، و المعنى لو صاد أحد أرنبا في حمانا لاقتصصنا منه وفاء بعهدنا فكيف بك لا تحمى نساء تعهدت لهن!

[3]تلع: جمع تلعة و هي ما علا من الأرض أو ما سفل منها و المراد الثاني.

[4]الملا: الصحراء.

[5]أبارق: جمع أبرق: أرض غليظة فيها حجارة و رمل و طين.

[6]أحتل: أنزل.

[7]صهوة: برج يتخذ في أعلى الرابية.

[8]شقائق: جمع شقيقة، و هي أرض صلبة بين رياض تنبت الشجر و العشب.

[9]الخبب: سير يراوح الفرس فيه بين يديه و رجليه.

[10]درادق: جمع دردق كعسكر: صغار الإبل.

[11]لأنتحين: لأقصدن، يريد لأصيبن هذا العظم.

[12]كذا في ف و «اللسان» و في س، ب: أنت.

[13]عرق العظم: أخذ اللحم الذي عليه كله؛ و في س، ب، جـ: «غارقة» ، و هو تحريف.

[14]في س، ب: «ثرملة» تحريف.

[15]في س، ب: «غارق» تحريف.

[16]في س، ب، هد: «ما إن كساكم غصة» .

[17]في جـ: «منكم» و في هج: «عنكم» .

[18]الأقران: جمع قرن كجبل؛ حبل.

قالوا: الرداع: المصبوغ بالزعفران، و إنما أراد ترملة أن يذهب سخيمته، فقال: و اللّه لأقتلنّه. فبلغ ذلك عارقا، فأنشأ يقول: من مبلغ عمرو بن هند رسالة # إذا استحقبتها[1]العيس[2]تنضى[3]على البعد

أ يوعدني و الرمل بيني و بينه؟ # تبين رويدا ما أمامة من هند

و من أجأ[4]دوني رعان[5]كأنّها # قنابل خيل[6]من كميت[7]و من ورد[8]

/غدرت بأمر أنت كنت اجتذبتنا # عليه و شرّ الشيمة الغدر بالعهد

فقد يترك الغدر الفتى و طعامه # إذا هو أمسى حلبة من دم الفصد[9]

عمرو يغزو طيئا و يشفع غانما فيهم

فبلغ عمرو بن هند شعره هذا، فغزا طيئا، فأسر أسرى من طيء من بني عدي بن أخزم-و هم رهط حاتم بن عبد اللّه-فيهم رجل من الأجئيّين يقال له قيس بن جحدر-و هو جد الطرماح بن حكيم، و هو ابن خالة حاتم- فوفد حاتم فيهم إلى عمرو بن هند، و كذلك كان يصنع، فسأله[10]إياهم، فوهبهم له إلا قيس بن جحدر، لأنه كان من الأجئيّين من رهط عارق، فقال حاتم: فككت عديّا كلّها من إسارها # فأنعم و شفّعني بقيس بن جحدر

أبوه أبي و الأمهات أمّهاتنا # فأنعم فدتك اليوم نفسي و معشري[11]

فأطلقه.

مالك بن المنذر

قال: و بلغنا أن المنذر بن ماء السماء وضع ابنا له صغيرا-و يقال: بل كان أخا له صغيرا-يقال له؛ مالك عند زرارة، و إنه خرج ذات يوم يتصيّد، فأخفق، و لم يصب شيئا، فرجع، فمرّ بإبل لرجل من بني عبد اللّه بن دارم، يقال له سويد بن ربيعة بن زيد بن عبد اللّه بن دارم، و كان عند سويد ابنة زرارة بن عدس، فولدت له سبعة غلمة، فأمر مالك بن المنذر بناقة/سمينة منها فنحرها، ثم اشتوى و سويد نائم، فلما انتبه شدّ على مالك بعصا فضربه بها، [1]حملتها على حقبية الرحل.

[2]الإبل البيض جمع أعيص أو عيساء.

[3]تنضى: تهزل.

[4]في س، ب: «و مما أجا» .

[5]رعان: جمع رعن و هو أنف يتقدم الجبل.

[6]قنابل: جمع قنبل، جماعة من الخيل.

[7]كميت: فصغير كمت، و هو من الخيل ما خالط حمرته سواد غير خالص.

[8]ورد: أحمر ضارب إلى الصفرة.

[9]مرة من الحلب و كانوا يأخذون دم العروق يفصدونه و يجففونه ثم يأكلونه.

[10]ب، س: «فسألهم» تحريف.

[11]ف: «أهل و معشري» .

فأمّه[1]. و مات الغلام، و خرج سويد هاربا حتى لحق بمكة و علم أنه لا يأمن، فحالف بني نوفل بن عبد مناة و اختطّ[2]بمكة، فمن ولده أبو أهاب/بن عزيز[3]بن قيس بن سويد، و كانت طيّىء تطلب عثرات زرارة و بني أبيه حتى بلغهم ما صنعوا بأخي الملك، فانشأ عمرو بن ثعلبة بن ملقط الطائي يقول: من مبلغ عمرا بأنّ المر # ء لم يخلق صباره[4]

و حوادث الأيام لا # تبقى لها إلا الحجاره

أن ابن عجزة أمه # بالسّفح أسفل من أواره

-قال هشام: أول[5]ولد المرأة يقال له: زكمة، و الآخر: عجزة- تسفي الرياح خلاله سحيا و قد سلبوا إزاره[6]

فاقتل زرارة لا أرى # في القوم أفضل من زرارة

هرب زرارة و عودته

فلما بلغ هذا الشعر عمرو بن هند بكى، حتى فاضت عيناه، و بلغ الخبر زرارة، فهرب، و ركب عمرو بن هند في طلبه فلم يقدر عليه، فأخذ امرأته و هي حبلى فقال: أذكر في بطنك أم أنثى؟قالت: لا علم لي بذلك، قال: ما فعل زرارة الغادر الفاجر؟فقالت: إن[7]كان ما علمت لطيّب العرق سمين المرق و يأكل ما وجد، و لا يسأل عما فقد، لا ينام ليلة يخاف، و لا يشبع ليلة يضاف. فبقر بطنها.

فقال قوم زرارة لزرارة: و للّه ما قتلت أخاه، فأت الملك، فاصدقه الخبر، فأتاه زرارة، فأخبره الخبر فقال: جئني بسويد، فقال: قد لحق بمكة، قال: فعليّ ببنيه السبعة، فأتى ببنيه/و بأمهم بنت زرارة[8]و هم غلمة بعضهم فوق بعض، فأمر بقتلهم، فتناولوا أحدهم فضربوا عنقه، و تعلّق بزرارة الآخرون فتناولوهم، فقال زرارة: يا بعضي دع بعضا[9]، فذهبت مثلا. و قتلوا.

عمرو ينكل ببني تميم

و آلى عمرو بن هند بأليّة ليحرقنّ من بني حنظلة مائة رجل، فخرج يربدهم و بعث على مقدّمته الطائيّ عمرو بن ثعلبة[10]بن عتّاب بن ملقط، فوجدوا القوم قد نذروا، فأخذوا منهم ثمانية و تسعين رجلا بأسفل أوارة من ناحية [1]أمه: شج رأسه.

[2]اختط: نزل خطة بمكة، و في هد، هج: «مناب» بدل «مناة» .

[3]في س، ب: «أهاب من عزيز» .

[4]صبارة مثلثة الصاد: الحجارة الملمس.

[5]في «القاموس» و «الصحاح» : آخر ولد الأبوين، و عليه فهو مرادف للعجزة.

[6]سحيا: قشرا.

[7]إن هنا مخففة من الثقيلة.

[8]في س، ب: «زرارة غلمة» و هو تحريف.

[9]مثل يضرب في تعاطف ذوي الأرحام، و أراد بقوله: يا بعضي أولاد بنته لأنهم جزء منه، و بقوله: بعضا نفسه.

[10]في س، ب: «غياث» .

البحرين، فحبسهم، و لحقه عمرو بن هند، حتى انتهى إلى أوارة، فضربت فيه قبّته، فأمر لهم بأخدود فحفر لهم، ثم أضرمه نارا، فلما احتدمت و تلظّت، قذف بهم فيها، فاحترقوا.

إن الشقي وافد البراجم

و أقبل راكب من البراجم-و هم بطن من بني حنظلة-عند المساء، و لا يدري بشيء مما كان يوضع له[1]بعيره فأناخ، فقال له عمرو بن هند: ما جاء بك؟قال: حبّ الطعام، قد أقويت[2]ثلاثا لم أذق طعاما، فلما سطع الدخان ظننته دخان طعام، فقال له عمرو بن هند: ممن أنت؟قال: من البراجم، قال عمرو: إن الشقيّ وافد البراجم[3] فذهب مثلا، و رمى به في النار، فهجت العرب تميما بذلك، فقال ابن الصّعق العامري: ألا أبلغ لديك بني تميم # بآية ما يحبّون الطعاما

مثل من شجاعة المرأة

و أقام عمرو بن هند لا يرى أحدا، فقيل له: أبيت اللعن!لو تحلّلت بامرأة منهم، /فقد أحرقت تسعة و تسعين رجلا. فدعا بامرأة من بني حنظلة، فقال لها: من أنت؟قالت: أنا الحمراء بنت ضمرة بن جابر بن قطن بن نهشل بن دارم، فقال: إني لأظنّك أعجمية، فقالت: ما أنا/بأعجمية و لا ولدتني العجم.

إنّي لبنت ضمرة بن جابر # ساد معدّا كابرا عن كابر[4]

إني لأخت ضمرة بن ضمرة # إذا البلاد لفّعت بجمره

قال عمرو: أما و اللّه لو لا مخافة أن تلدي مثلك لصرفتك عن النار، قالت: أما و الذي أسأله أن يضع وسادك، و يخفض عمادك، و يسلبك ملكك[5]، ما قتلت إلا نساء أعاليها ثديّ و أسفلها دميّ[6]قال: اقذفوها في النار، فالتفتت، فقالت: أ لا فتى يكون مكان عجوز!فلما أبطئوا عليها قالت: صار الفتيان حمما[7]، فذهبت مثلا فأحرقت، و كان زوجها يقال له هوذة[8]بن جرول بن نهشل بن دارم.

لقيط يعير بني مالك

فقال لقيط بن زرارة يعير بني مالك بن حنظلة بأخذ من أخذ منهم الملك و قتله إياهم و نزولهم معه: لمن دمنة أقفرت بالجناب # إلى السفح بين الملا فالهضاب[9]

بكيت لعرفان آياتها # و هاج لك الشوق نعب الغراب

[1]الإيضاع: حمل الدواب على العدو السريع.

[2]أقويت: نفد زادي.

[3]مثل يضرب لمن يوقع نفسه في هلكة.

[4]في س، ب: «كابر» .

[5]في بعض النسخ و يقرب هلكك» .

[6]جـ: دم، كناية عن الضعف و في هد: «حلى» .

[7]في ب، س: «كان الفتيان» .

[8]في س و ب: «حوذة» و هو تحريف.

[9]الجناب و السفح و الملا و الهضاب: مواضع.

فأبلغ لديك بني مالك # مغلغلة[1]و سراة الرّباب

/فإن امرأ أنتم حوله # تحفّون قبّته بالقباب

يهين سراتكم عامدا # و يقتلكم مثل قتل الكلاب

فلو كنتم إبلا أملحت[2] # لقد نزعت للمياه العذاب

و لكنّكم غنم تصطفى # و يترك سائرها للذئاب

لعمر أبيك أبي لخير[3]ما # أردت بقتلهم من صواب

و لا نغمة إن خير الملو # ك أفضلهم نعمة في الرقاب

شعر الطرماح في أوارة

و فيها يقول الطرماح بن حكيم و يذكر هذا.

و اسأل زرارة و المأمور[4]ما فعلت # قتلى أوارة من رعلان و اللّدد[5]

و دارما قد قذفنا[6]منهم مائة # في جاحم[7]النار إذ يلقون بالخدد[8]

ينزون بالمشتوي منها و يوقدها # عمرو و لو لا شحوم القوم لم تقد

زرارة يريد الثأر من ابن ملقط

قال: فحدثني الكلبي عن المفضل الضبي قال: لما حضر زرارة الموت جمع بنيه و أهل بيته ثم قال: إنه لم يبق لي عند أحد من العرب وتر، إلا قد أدركته؛ غير تحضيض الطائيّ ابن ملقط الملك[9]علينا، حتى صنع ما صنع، فأيّكم يضمن لي طلب ذلك من طيئ؟قال عمرو بن عمرو بن عدس بن زيد أنا لك/بذلك يا عم. و مات زرارة، فغزا عمرو بن عمرو جديلة، ففاتوهم، و أصاب ناسا من بني طريف بن مالك و طريف بن عمرو بن تمامة و قال في ذلك شعرا.

لقيظ بن زرارة يخطب بنت ذي الجدين

و كان زرارة بن عدس بن زيد رجلا شريفا، فنظر ذات يوم إلى ابنه لقيط، و رأى منه خيلاء و نشاطا، و جعل يضرب غلمانه و هو يومئذ شاب. فقال له زرارة: لقد أصبحت تصنع صنيعا كأنما جئتني بمائة من هجان المنذر بن [1]أي رسالة محمولة من بلد إلى بلد.

[2]أملحت: وردت ماء ملحا.

[3]س، ب: «إلى الخير» و لا معنى له.

[4]ب، س: «المأمون» .

[5]رعلان حصن، و اللدد: موضع، و في هد: باللدد.

[6]كذا في ف، و في س، ب: «قتلتا» .

[7]جاحم: شديد الاشتعال.

[8]الخدد: جمع خدة أي حفرة.

[9]في س، ب: «ملقطا الملك» .

ماء السماء، أو نكحت بنت ذي الجدّين بن قيس بن خالد. قال لقيط: للّه عليّ ألا يمس رأسي غسل، و لا آكل لحما، و لا أشرب/خمرا، حتى أجمعهما جميعا أو أموت. فخرج لقيط و معه ابن خال له، يقال له: القراد بن إهاب، و كلاهما كان شاعرا شريفا، فسارا حتى أتيا بني شيبان، فسلّما على ناديهم ثم قال لقيط: أ فيكم قيس بن خالد ذو الجدّين؟و كان سيد ربيعة يومئذ، قالوا: نعم، قال: فأيّكم هو؟قال قيس: أنا قيس، فما حاجتك؟قال:

جئتك خاطبا ابنتك-و كانت على قيس يمين ألا يخطب إليه أحد ابنته علانية إلا أصابه بشرّ و سمّع به-فقال له قيس:

و من أنت؟قال: أنا لقيط بن زرارة بن عدس بن زيد، قال قيس: عجبا منك يا ذا القصّة!هلا كان هذا بيني و بينك؟ قال: و لم يا عمّ؟فو اللّه إنك لرغبة[1]و ما بي من نضاة[2]-أي ما بي عار-و لئن ناجيتك لا أخدعك-و لئن عالنتك لا أفضحك، فأعجب قيسا كلامه، و قال: كفء كريم؛ إني زوّجتك و مهرتك مائة ناقة ليس فيها مظائر[3]و لا ناب[4] و لا كزوم[5]، و لا تبيت عندنا عزبا و لا محروما. ثم أرسل إلى أم الجارية: /أني قد زوجت لقيط بن زرارة ابنتي القدور، فاصنعيها و اضربي لها ذلك البلق[6]، فإن لقيط ابن زرارة لا يبيت فينا عزبا. و جلس لقيط يتحدث معهم، فذكروا الغزو، فقال لقيط: أما الغزو فأردّها للقاح و أهزلها للجمال، و أما المقام فأسمنها للجمال، و أحبّها للنساء.

فأعجب ذلك قيسا، و أمر لقيطا، فذهب إلى البلق فجلس فيه، و بعثت إليه أمّ الجارية بمجمرة و بخور، و قالت للجارية: اذهبي بها إليه، فو اللّه لئن ردّها ما فيه خير، و لئن وضعها تحته ما فيه خير، فلما جاءته الجارية بالمجمرة بخّر شعره و لحيته ثم ردّها عليها، فلما رجعت الجارية إليها، خبّرتها بما صنع، فقالت: إنه لخليق للخير، فلما أمسى لقيط أهديت الجارية إليه. فمازحها بكلام اشمأزّت منه، فنام و طرح عليه طرف خميصة[7]، و باتت إلى جنبه، فلما استثقل انسلّت فرجعت إلى أمها، فانتبه لقيط، فلم يرها، فخرج حتى أتى ابن خاله قرادا و هو في أسفل الوادي، فقال: ارحل بعيرك و إياك أن يسمع رغاؤها[8].

لقيط يحظى بجوائز المنذر و كسرى

فتوجها إلى المنذر بن ماء السماء، و أصبح قيس ففقد لقيطا فسكت، و لم يدر ما الذي ذهب به. و مضى لقيط، حتى أتى المنذر فأخبره ما كان

من قول أبيه و قوله، فأعطاه مائة من هجائنه، فبعث بها مع قراد إلى أبيه زرارة، ثم مضى إلى كسرى فكساه و أعطاه جواهر، ثم أنصرف لقيط من عند كسرى، فأتى أباه، فأخبره خبره.

لقيط يعود إلى زوجته ثم تئيم منه

و أقام يسيرا، ثم خرج هو و قراد حتى جاءا محلة بني شيبان فوجداهم قد انتجعوا فخرجا في طلبهم حتى وقعا في الرمل، فقال لقيط:

[1]رغبه: يرغب فيك الناس.

[2]ف: «قصاه» .

[3]كذا في ف و معناها ليست مشرومة الأنف حين تغمى للظئار، و في س، ب «مصابرة» .

[4]الناب: الناقة المسنة.

[5]الكزوم: الناقة ذهبت أسنانها هرما.

[6]البلق الفسطاط.

[7]الخميصة: كساء أسود مربع له علمان.

[8]البعير يطلق على الناقة ايضا، و الملك أنث الضمير. ـ

انظر قراد و هاتا نظرة جزعا # عرض الشقائق هل بيّنت أظعانا

/فيهن أترجّة[1]نضخ[2]العبير بها # تكسى ترائبها شذرا[3]و مرجانا

فخرجا حتى أتيا قيس بن خالد. فجهزها أبوها، فلما أرادت الرحيل قال لها: يا بنية كوني لزوجك أمة يكن لك عبدا، و ليكن اكثر طيبك الماء، فإنك إنما يذهب بك إلى الأعداء، و أراك إن ولدت فستلدين لنا غيظا طويلا، و اعلمي أن زوجك فارس مضر، و أنه يوشك ان يقتل أو يموت، فلا تخمشي عليه وجها و لا تحلقي شعرا، قالت له: أما و اللّه لقد ربيتني صغيرة، و أقصيتني كبيرة، و زودتني عند الفراق شرّ زاد. و ارتحل بها لقيط، فجعلت لا تمر /بحيّ من العرب إلا قالت: يا لقيط، أ هؤلاء قومك؟فيقول: لا، حتى طلعت على محلة بني عبد اللّه بن دارم، فرأت القباب، و الخيل العراب[4]، قالت: يا لقيط أ هؤلاء قومك؟قال: نعم، فأقام أياما يطعم و ينحر، ثم بنى بها، فأقامت عنده حتى قتل يوم جبلة[5]، فبعث إليها أبوها أخا لها فحملت، فلما ركبت بعيرها أقبلت حتى وقفت على نادي بني عبد اللّه بن دارم، فقالت: يا بني دارم، أوصيكم بالغرائب خيرا، فو اللّه ما رأيت مثل لقيط، لم تخمش عليه امرأة وجها و لم تحلق عليه شعرا، فلو لا أني غريبة لخمشت و حلقت، فحبب اللّه بين نسائكم، و عادى بين رعائكم، فأثنوا عليها خيرا.

زوجة لقيط في عصمة غيره

ثم مضت حتى قدمت على أبيها، فزوجها من قومه، فجعل زوجها يسمعها تذكر لقيطا و تحزن عليه، فقال لها: أيّ شيء رأيت من لقيط أحسن في عينك؟قالت: خرج يوم دجن و قد تطيّب و شرب، فطرد البقر فصرع منها، ثم أتاني و به نضح دماء، فضمني ضمة، و شمني شمة، فليتني متّ ثمّة، فلم أر منظرا كان أحسن من لقيط. فمكث عنها/حتى إذا كان يوم دجن شرب، و تطيّب، ثم ركب، فطرد البقر، ثم أتاها و به نضح دم و الطيب و ريح الشراب، فضمها إليه و قبّلها، ثم قال لها: كيف ترين؟أ أنا أم لقيط فقالت: ماء و لا كصدّاء، و مرعى و لا كالسّعدان[6]فذهبت مثلا، و صدّاء: ركية ليس في الأرض ركية أطيب منها، و قد ذكرها التميمي في شعره: إنّي و تهيامي بزينب كالذي # يخالس من أحواض صدّاء مشربا

يرى دون برد[7]الماء هولا و ذادة # إذا اشتد[8]صاحوا قبل أن يتحببا

يقول: قبل أن يروى يقال: تحبّبت من الشراب أي رويت، و بضعت منه أيضا أي رويت منه، و التحبّب: الرّيّ.

[1]الأترجة ثمر شجر بستاني من فصيلة الليمون.

[2]نضح، أي أثر طيب يبقى في الثوب و غيره.

[3]شذرا: قطعا من الذهب.

[4]العراب: خلاف البراذين واحدها عربي.

[5]يوم بين بني عبس و ذبيان ابني بغيض.

[6]السعدان: اطيب المراعي للإبل.

[7]في ب: «ورد» .

[8]في ف: «شد» .

صوت

و كاتبة في الخد بالمسك جعفرا # بنفسي مخطّ[1]المسك من حيث أثّرا

لئن كتبت في الخد سطرا بكفّها # لقد أودعت قلبي من الحبّ أسطرا

فيا من لمملوك لملك يمينه # مطيع لها فيما أسرّ و أظهرا

و يا من هواها في السريرة جعفر # سقى اللّه من سقيا ثناياك جعفرا

الشعر لمحبوبة شاعرة المتوكل، و الغناء لعريب خفيف رمل مطلق.

[1]القلم يخط به المسك.

19-أخبار محبوبة

كانت محبوبة أجمل من فضل

كانت محبوبة مولّدة من مولدات البصرة، شاعرة شريفة مطبوعة لا تكاد فضل الشاعرة اليمامية أن تتقدمها، و كانت محبوبة أجمل من فضل و أعفّ، و ملكها المتوكل و هي بكر، أهداها له عبد اللّه بن طاهر، و بقيت بعده[1] مدة، فما طمع فيها أحد، و كانت أيضا تغني غناء ليس بالفاخر[2]البارع.

أخبرني بذلك جحظة عن أحمد بن حمدون. أخبرني جعفر بن قدامة قال: حدثني عليّ بن يحيى المنجم: كان عليّ بن الجهم يقرّب من أنس المتوكل جدّا، و لا يكتمه شيئا من سره مع حرمه و أحاديث خلواته، فقال له يوما: إني دخلت على قبيحة، فوجدتها قد كتبت اسمي على خدّها بغالية[3]؛ فلا و اللّه ما رأيت شيئا أحسن من سواد تلك الغالية على بياض ذلك الخدّ، فقل في هذا شيئا. قال: و كانت محبوبة حاضرة للكلام من/وراء السّتر، و كان عبد اللّه بن طاهر أهداها في جملة أربعمائة وصيفة[4]إلى المتوكل، قال: فدعا عليّ بن الجهم بدواة، فإلى أن أتوه بها و ابتدأ يفكر، قالت محبوبة على البديهة من غير فكر و لا رويّة: و كاتبة بالمسك في الخدّ جعفرا # بنفسي مخطّ المسك من حيث أثّرا

لئن كتبت في الخد سطرا بكفّها # لقد أودعت قلبي من الحبّ أسطرا

/فيا من لمملوك لملك يمينه # مطيع له فيما أسرّ و أظهرا

و يا من مناها[5]في السريرة جعفر # سقى اللّه من سقيا ثناياك جعفرا

قال: و بقي عليّ بن الجهم واجما لا ينطق بحرف. و أمر المتوكل بالأبيات، فبعث بها إلى عريب و أمر أن تغنّي فيها، قال علي بن يحيى: قال علي بن الجهم بعد ذلك: تحيّرت و اللّه، و تقلّبت خواطري، فو اللّه ما قدرت على حرف واحد أقوله.

شعرها في تفاحة

أخبرني جعفر بن قدامة قال: حدثني ابن خرداذبه قال حدثني عليّ بن الجهم: قال كنت يوما عند المتوكل و هو يشرب و نحن بين يديه، فدفع إلى محبوبة تفاحة مغلّفة فقبّلتها، و انصرفت عن [1]في هج: «عنده» .

[2]في ف: «غير بارع فاخر» .

[3]الغالية: أخلاط من الطيب.

[4]ف: «جارية» .

[5]ف: «هواها» بدل «مناها» .

حضرته إلى الموضع الذي كانت تجلس فيه إذا شرب، ثم خرجت جارية لها و معها رقعة، فدفعتها إلى المتوكل فقرأها، و ضحك ضحكا شديدا، ثم رمى بها إلينا، فقرأناها و إذا فيها: يا طيب تفاحة خلوت بها # تشعل نار الهوى على كبدي

أبكي إليها و أشتكي دنفي # و ما ألاقي من شدّة الكمد

لو أن تفاحة بكت لبكت # من رحمتي هذه التي بيدي

إن كنت لا ترحمين ما لقيت # نفسي من الجهد فارحمي جسدي

قال: فو اللّه ما بقي أحد إلا استظرفها، و استملحها، و أمر المتوكل فغنىّ في هذا الشعر صوت شرب عليه بقية يومه.

وفاؤها للمتوكل بعد موته

حدثني جعفر بن قدامة قال حدثني علي بن يحيى المنجم.

أن جواري المتوكل تفرّقن بعد قتله، فصار إلى وصيف عدّة منهن، و أخذ محبوبة فيمن أخذ، فاصطبح يوما و أمر بإحضار جواري المتوكل، فأحضرن، عليهنّ الثياب الملونة، /و المذهبة و الحلىّ، و قد تزيّنّ و تعطّرن إلا محبوبة فإنها جاءت مرهاء[1]متسلّبة[2]، عليها ثياب بياض غير فاخرة، حزنا على المتوكل. فغنى الجواري جميعا، و شربن و طرب وصيف و شرب، ثم قال لها: يا محبوبة غنّي فأخذت العود، و غنّت و هي تبكي، و تقول: أيّ عيش يطيب لي # لا أرى فيه جعفرا

ملكا قد رأته عيـ # ني قتيلا معفّرا[3]

كلّ من كان ذا هيا # م و حزن فقد برا[4]

غير محبوبة التي # لو ترى الموت يشترى

لاشترته بملكها # كلّ هذا لتقبرا

إن موت الكئيب أصـ # لح من أن يعمّرا

/فاشتدّ ذلك على وصيف، و همّ بقتلها. و كان بغا حاضرا، فاستوهبها منه، فوهبها له، فأعتقها، و أمر بإخراجها، و أن تكون بحيث تختار من البلاد، فخرجت من سرّ من رأى إلى بغداد، و أخملت ذكرها طول عمرها.

خصام و صلح في المنام؛ ثم في اليقظة

أخبرني جعفر بن قدامة، قال: حدثني ملاوي الهيثمي قال: قال لي عليّ بن الجهم: كانت محبوبة أهديت إلى المتوكل أهداها إليه عبد اللّه بن طاهر

في جملة أربعمائة جارية، و كانت بارعة [1]مرهاء: غير مكتحلة.

[2]متسلية: لابسة ثياب الحداد.

[3]معفرا: ممرغا في التراب أو مضروبا به الأرض.

[4]تخفيف برأ من مرضه، بمعنى شفي منه.

الحسن و الظّرف و الأدب مغنّية محسنة، فحظيت عند المتوكل، حتى إنه كان يجلسها خلف ستارة وراء ظهره إذا جلس للشرب، فيدخل رأسه إليها، و يحدّثها، و يراها في كل ساعة. فغاضبها يوما، و هجرها و منع جواريه جميعا من/كلامها ثم نازعته نفسه إليها، و أراد ذلك، ثم منعته العزة، و امتنعت من ابتدائه إدلالا عليه بمحلّها منه. قال عليّ بن الجهم: فبكّرت إليه يوما فقال لي: إني رأيت البارحة محبوبة في نومي كأني قد صالحتها، فقلت: أقرّ اللّه عينك يا أمير المؤمنين، و أنامك على خير، و أيقظك على سرور، و أرجو أن يكون هذا الصلح في اليقظة، فبينا هو يحدّثني و أجيبه[1]إذا بوصيفة قد جاءته، فأسرّت إليه شيئا، فقال لي: أ تدري ما أسرّت هذه إليّ؟قلت: لا، قال: حدثتني أنها اجتازت بمحبوبة الساعة و هي في حجرتها تغنّي، أ فلا تعجب من هذا؟إني مغاضبها، و هي متهاونة بذلك، لا تبدؤني بصلح، ثم لا ترضى حتى تغني في حجرتها، قم بنا يا عليّ حتى نسمع ما تغنّي. ثم قام، و تبعته، حتى انتهى إلى حجرتها فإذا هي تغني و تقول: أدور في القصر لا أرى أحدا # أشكو إليه و لا يكلّمني

حتى كأني ركبت معصية # ليست لها توبة تخلّصني

فهل لنا شافع إلى ملك # قد زارني في الكرى فصالحني

حتى إذا ما الصباح لاح لنا # عاد إلى هجره فصارمني

فطرب المتوكّل، و أحست بمكانه. فأمرت خدمها، فخرجوه إليه، و تنحّينا و خرجت إليه، فحدّثته أنها رأته في منامها، و قد صالحها، فانتبهت، و قالت هذه الأبيات، و غنّت فيها. فحدّثها هو أيضا برؤياه، و اصطلحا، و بعث إلى كلّ واحد منا بجائزة و خلعة.

و لما قتل تسلّى عنه جميع جواريه غيرها، فإنها لم تزل حزينة مستلية هاجرة لكل لذة حتى ماتت. و لها فيه مراث كثيرة.

صوت

يا ذا الّذي بعذابي ظلّ مفتخرا # هل أنت إلا مليك جار إذ[2]قدرا

لو لا الهوى لتجازينا[3]على قدر # و إن أفق منه يوما ما فسوف ترى

الشعر يقال إنه للواثق، قاله في خادم له غضب عليه، و يقال: إن أبا حفص الشّطرنجي قاله له.

و الغناء لعبيدة الطنبورية رمل مطلق، و فيه لحن للواثق آخر، قد ذكر في غنائه.

[1]في س، ب: «فاحدثه» .

[2]س، ب: «أن» .

[3]و في س، ب: «لتجارينا» .

20-أخبار عبيدة الطنبورية

نشأتها

كانت عبيدة من المحسنات المتقدّمات في الصنعة و الآداب يشهد لها بذلك إسحاق و حسبها بشهادته. و كان أبو حشيشة[1]، يعظّمها، و يعترف لها بالرئاسة و الأستاذية، و كانت/من أحسن الناس وجها، و أطيبهم صوتا.

ذكرها جحظة في كتاب الطّنبوريين و الطّنبوريات، و قرأت عليه خبرها فيه فقال: كانت من المحسنات، و كانت لا تخلو من عشق، و لم يعرف في الدنيا امرأة أعظم[2]منها في الطنبور، و كانت لها صنعة عجيبة، فمنها في الرمل: كن لي شفيعا إليكا # إن خفّ ذاك عليكا

و أعفني من سؤالى # سواك[3]ما في يديكا

يا من أعزّ و أهوى # ما لي أهون عليكا؟

تغنى بحضرة إسحاق و هي لا تعرفه

أخبرني محمد بن مزيد بن أبي الأزهر قال: حدثنا حماد بن إسحاق قال: قال، لي عليّ بن الهيثم اليزيديّ: كان أبو محمد-يعني أبي رحمه اللّه إسحاق بن إبراهيم الموصليّ-يألفني و يدعوني، و يعاشرني، فجاء يوما إلى أبي الحسن إسحاق بن إبراهيم فلم يصادفه، فرجع و مرّ بي، و أنا مشرف من جناح لي، فوقف و سلّم عليّ.

و أخبرني بقصته، و قال؛ هل تنشط اليوم للمسير إليّ؟فقلت له: ما على الأرض[4]/شيء أحبّ إليّ من ذلك، و لكني أخبرك بقصتي، و لا أكتمك. فقال: هاتها، فقلت: عندي اليوم محمد بن عمرو بن مسعدة و هارون بن أحمد ابن هشام، و قد دعونا عبيدة الطّنبورية، و هي حاضرة، و الساعة يجيء الرجلان، فامض في حفظ اللّه، فإني أجلس معهم حتى تنتظم أمورهم، و أروح إليك، فقال لي: فهلاّ عرضت عليّ المقام عندك؟فقلت له: لو علمت أن ذلك مما تنشط له و اللّه لرغبت إليك فيه، فإن تفضّلت بذلك كان أعظم لمنّتك، فقال: أفعل، فإني قد كنت أشتهي أن أسمع عبيدة، و لكن لي عليك شريطة، قلت: هاتها، قال: إنها إن عرفتني و سألتموني أن أغنّي بحضرتها لم يخف عليها أمري و انقطعت فلم تصنع شيئا، فدعوها على جبلّتها[5]، فقلت: أفعل ما أمرت به، فنزل و ردّ دابته و عرّفت صاحبيّ ما جرى، فكتماها أمره و أكلنا ما حضر، و قدّم النبيذ، فغنت لحنا لها تقول:

[1]هو محمد بن علي بن أبي أمية كان نديم الخلفاء و له كتاب في الطنبوريين أجاد فيه.

[2]كذا في ف و هج و في النسخ الاخرى: «أعطره» .

[3]ف «سؤال» .

[4]في هد: «ما في الأرض» .

[5]في هد، هج، ف: «على جملتها» .

قريب غير مقترب # و مؤتلف كمجتنب

له ودّي و لي منه # دواعي الهم و الكرب

أواصله على سبب # و يهجرني بلا سبب

و يظلمني على ثقة # بأنّ إليه منقلبي

فطرب إسحاق، و شرب نصفا، ثم غنّت و شرب نصفا، و لم يزل كذلك حتى والى بين عشرة أنصاف، و شربناها معه؛ و قام ليصلّي، فقال لها هارون بن أحمد بن هشام: ويحك يا عبيدة!ما تبالين و اللّه متى مت، قالت[1]: و لم؟قال: أ تدرين من المستحسن غناءك و الشارب عليه ما شرب؟قالت: لا و اللّه، قال: إسحاق بن إبراهيم الموصليّ، فلا تعرّفيه أنك قد عرفته. فلما جاء إسحاق ابتدأت/تغنّي، فلحقتها هيبة له، و اختلاط، فنقصت نقصانا بيّنا، فقال لنا: أ عرّفتموها من أنا؟فقلنا له: نعم. عرّفها إيّاك هارون بن أحمد، فقال إسحاق: نقوم إذا، فننصرف، فإنه لا خير في عشرتكم الليلة و لا فائدة لي و لا لكم، فقام فانصرف.

حدثني بهذا الخبر جحظة عن جماعة منهم العباس بن أبي العبيس، فذكر مثله و قال فيه: إن الصوت الذي غنّته.

/يا ذا الذي بعذابي ظلّ مفتخرا

المسدود يأبى أن يغني قبلها

حدثني جحظة قال: حدثني محمد بن سعيد الحاجب قال: حدثني ملاحظ غلام أبي العباس بن الرشيد. و كان في خدمة سعيد الحاجب، قال: اجتمع الطّنبوريّون عند أبي العباس بن الرشيد يوما، و فيهم المسدود و عبيدة، فقالوا للمسدود: غنّ، فقال: لا و اللّه، لا تقدّمت[2]، عبيدة، و هي الأستاذة، فما غنّى حتى غنّت.

لم تدخل عليه بعد أن تزوج

و حدثني جحظة، قال: حدثني شرائح الخزاعيّ صاحب ساباط شرائح بسويقة نصر و ساباط شرائح مشهور قال: كانت عبيدة تعشقني فتزوّجت فمرت بي يوما فسألتها الدّخول إليّ فقالت يا كشخان[3]، كيف أدخل إليك و قد أقعدت في بيتك صاحب مصلحة[4]!و لم تدخل.

ما كتب على طنبورها

و حدثني جحظة قال:

[1]كذا في ف، و في س، ب: «قال» .

[2]في ف: «ما» بدل «لا» و هي أوضح إلا اذا أريد الدعاء فتصبح «لا» .

[3]الكشخان: من لا يغار على حريمه.

[4]كذا في ف و في س، ب: «مسلحة» .

وهب لي جعفر بن المأمون طنبورها فإذا عليه مكتوب بآبنوس: كل شيء سوى الخيا # نة في الحبّ يحتمل

تاريخ غير مشرف

و حدثني جحظة و جعفر بن قدامة، و خبر جعفر أتم، إلا أني قرأته على جحظة، فعرفه، و ذكر لي أنه سمعه، قالا جميعا: حدثنا أحمد بن الطيب السرخسيّ قال: كان عليّ بن أحمد بن بسطام المروزيّ-و هو ابن بنت شبيب بن واج، و شبيب أحد النفر الذي سترهم المنصور خلف قبّته يوم قتل أبا مسلم؛ و قال لهم: إذا صفّقت فاخرجوا فاضربوه بسيوفكم. ففعل و فعلوا-فكان عليّ بن أحمد هذا يتعشق عبيدة الطنبورية و هو شاب و أنفق عليها مالا جليلا، فكتبت إليه أسأله عن خبرها و من هي؟ و من أين خرجت؟ فكتب إليّ: كانت عبيدة بنت رجل يقال له صباح مولى أبي السمراء الغسّانيّ، نديم عبد اللّه بن طاهر-و أبو السمراء أحد العدّة الذين وصلهم عبد اللّه بن طاهر في يوم واحد لكل رجل منهم مائة ألف دينار-و كان الزّبيديّ الطّنبوريّ أخو نظم[1]العمياء، يختلف إلى أبي السمراء، و كان صباح صاحب أبي السمراء، فكان الزبيدي إذا سار إلى أبي السمراء فلم يصادفه أقام عند صباح والد عبيدة و بات، و شرب، و غنى و أنس، و كان لعبيدة صوت حسن و طبع جيّد، فسمعت غناء الزّبيدي، فوقع في قلبها و اشتهته، و سمع الزّبيدي صوتها، و عرف طبعها فعلّمها، و واظب عليها، و مات أبوها، و رقّت حالها، و قد حذفت الغناء على الطّنبور، فخرجت تغنّي، و تقنع باليسير، و كانت مليحة مقبولة خفيفة الروح، فلم يزل أمرها يزيد، حتى تقدّمت و كبر حظها، و اشتهاها الناس. و حلّت تكّتها، و سمحت، و رغب فيها الفتيان، فكان أول من تعشّقها على بن الفرج الرّخجيّ[2]/أخو عمر، و كان حسن الوجه كثير المال، فكنت أراها عنده، و كنّا نتعاشر على الفروسيّة، ثم ولدت من عليّ بن الفرج بنتا، فحجبها لأجل ذلك، فكانت تحتال في الأوقات بعلة الحمّام و غيره، فتلمّ بمن كانت تودّه و يودّها، فكنت ممن تلمّ به، و أنا حينئذ شاب قد ورثت عن أبي مالا عظيما و ضياعا جليلة، ثم ماتت بنتها من عليّ بن الفرج، و صادف ذلك نكبتهم و اختلال[3] حال عليّ بن الفرج، فطلّقها فخرجت، فكانت تخرج بدينارين للنهار و دينارين لليل، و اعترت[4]بأبي السمراء، و نزلت في بعض دوره.

و تزوجت أمها بوكيل له، فتعشّقت غلاما من آل حمزة بن مالك يقال له شرائح و هو صاحب ساباط شرائح ببغداد، و كان يغنّي بالمعزفة غناء

مليحا، و كان حسن/الوجه، لا عيب في جماله إلا أنه كان متغيّر النّكهة، و كانت شديدة الغلمة لا تحرم أحدا و لا تكرهه، من حدّ الكهول إلى الطفل، حتى تعلّقت شابّا يعرف بأبي كرب بن أبي الخطاب، مشرط[5]الوجه أفطس قبيحا شديد الأدمة، فقيل لها: أيّ شيء رأيت في أبي كرب؟فقالت: قد تمتعت [1]ف: «قطر» .

[2]كذا في ف و هج و في س، ب: «الزحجي» .

[3]في س، ب: «اختلاط» .

[4]اعترت بفلان: اعترضت للمعروف.

[5]كذا في م و في ا، ف: «مترك» لعلها تحريف مشرط، فإن العبيد الزنوج يشرطون وجوههم.

بكل جنس من الرجال إلا السودان، فإن نفسي تبشعهم[1]، و هذا بين الاسود و الأبيض، و بينه فارغ لما أريد، و هو صفعاني[2]إذا أردت و وكيلي إذا أردت. قال: و كان لها غلام يضرب عليها يقال له عليّ و يلقب ظئر عبيدة، فكانت إذا خلت في البيت و شبقت اعتمدت عليه، و قالت: هو بمنزلة بغل الطحّان يصلح للحمل و الطّحن و الركوب.

و كان عمرو بن بانة إذا حصل عنده إخوان له يدعوها لهم تغنّيهم مع جواريه، و إنما/عرفها من داري، لأنه بعث يدعوني، فدخل غلامه، فرآها عندي، فوصفها له فكتب إليّ يسألني أن أجيئه بها معي. ففعلت، و كان عنده محمد بن عمرو بن مسعدة و الحارث بن جمعة و الحسن بن سليمان البرقي[3]و هارون بن أحمد بن هشام، فعدلوا كلّهم إلى استماع غنائها و الاقتراح له و الإقبال عليه، و مال إليها جواريه، و ما خرجت إلا و قد عقدت بين الجماعة مودة، و كان جواري عمرو بن بانة يشتقن إليها، فيسألنه أن يدعوها، فيقول لهنّ: ابعثن إلى عليّ حتى يبعث بها إليكنّ، فإنه يميل إليها، و هو صديقي و أخشى أن يظن أني قد أفسدتها عليه-و لم يكن به هذا إنما كان به الدّيناران اللذان يريد أن يحدرها بهما-و كان عمرو من أبخل الناس، و كان صوت إسحاق بن إبراهيم عليها: يا ذا الذي بعذابي ظل مفتخرا

و كانت صوت علّوية و مخارق عليها: قريب غير مقترب

و هذان الصوتان جميعا من صنعتها.

إسحاق يحبها حية و يرثيها ميتة

و كان إسحاق بن إبراهيم بن مصعب يشتهي أن يسمعها، و يمنع نفسه ذلك لتيهه و لبرمكته و توقّيه أن يبلغ المعتصم عنه شيء يعيبه، و ماتت عبيدة من نزف أصابها، فأفرط حتى أتلفها.

و في عبيدة يقول بعض الشعراء، و من الناس من ينسبه إلى إسحاق[4]: أمست عبيدة في الإحسان واحدة # فالله جار لها من كل محذور

من أحسن الناس وجها حين تبصرها # و أحذق الناس إن غنّت بطنبور

أخبرني جعفر بن قدامة قال حدثني محمد بن عبد اللّه بن مالك الخزاعي قال: سمعت إسحاق يقول: الطنبور إذا تجاوز عبيدة هذيان.

صوت

سقمت حتى ملّني العائد # و ذبت حتى شمت الحاسد[5]

[1]كذا في ف و في س، ب: «تبشعتهم» .

[2]صفعاني: يصفع.

[3]ف: «البرتي» .

[4]في هج: «إسحاق إبراهيم الموصلي» .

[5]هج: «حتى شفني الحاسد» .

415

و كنت خلوا من رسيس الهوى # حتى رماني طرفك الصائد

الشعر فيما أخبرني به جحظة لخالد الكاتب و وجدته في شعر محمد بن أميّة له، و الغناء لأحمد بن صدقة الطنبوريّ، رمل مطلق.

و قد مضت أخبار خالد الكاتب و محمد بن أمية و نذكرها هنا أخبار أحمد بن صدقه.

21-أخبار أحمد بن صدقة

اسمه و نسبه و نشأته

/هو أحمد بن صدقة بن أبي صدقة، و كان أبوه حجازيّا مغنيّا، قدم على الرشيد، و غنى له، و قد ذكرت أخباره في صدر هذا الكتاب.

و كان أحمد بن صدقة طنبوريّا محسنا مقدّما حاذقا حسن الغناء محكم الصنعة، و له غناء كثير من الأرمال و الأهزاج و ما جرى مجراها من غناء الطّنبوريّين، و كان ينزل الشام، فوصف للمتوكل، فأمر بإحضاره، فقدم عليه و غناه، فاستحسن غناءه، و أجزل صلته، و اشتهاه الناس و كثر من يدعوه، فكسب بذلك أكثر مما كسبه مع المتوكل أضعافا.

جحظة يشيد به

أخبرني بذلك جحظة و قال: كانت له صنعة ظريفة كثيرة ذكر منها الصوت المتقدّم ذكره و وصفه و قرّظه، و ذكر بعده هذا الصوت: و شادن ينطق بالظّرف # حسن حبيبي منتهى الوصف

هام فؤادي و جرت عبرتي[1] # لا بعد الإلف من الإلف

قال: و هو رمل مطلق، و لو حلفت أنهما ليسا عند أحد من مغنّي زماننا إلاّ عند واحد ما حنثت-يعني نفسه.

خبره مع خالد بن يزيد

حدثني محمد بن مزيد قال: حدثنا حماد بن إسحاق قال: حدثني أحمد بن صدقة قال: اجتزت بخالد بن يزيد الكاتب، فقلت له: أنشدني بيتين من شعرك حتى أغنّي فيهما. قال: و أيّ حظ لي في ذلك؟تأخذ أنت الجائزة و أحصّل أنا الإثم!/فحلفت له أني إن أفدت بشعرك[2]فائدة جعلت لك[3]فيها حظا، أو أذكرت به الخليفة، و سألته فيك، فقال: أما الحظ من جهتك فأنت أنزل[4]من ذلك، و لكن عسى أن تفلح في مسألة الخليفة، ثم أنشدني: تقول سلا فمن المدنف # و من عينه أبدا تذرف؟

[1]هج: «و جرت أدمعي» .

[2]في ب، س: «بشعره» .

[3]في س، ب: «له» .

[4]في ف: «أنذل» . ـ

و من قلبه قلق خافق # عليك و أحشاؤه ترجف؟

فلما جلس المأمون للشرب دعاني، و قد كان غضب على حظيّة له، فحضرت مع المغنّين، فلما طابت نفسه وجّهت إليه بتفاحة من عنبر، عليها مكتوب بالذهب: يا سيدي، سلوت. و علم اللّه أني ما عرفت شيئا من الخبر.

يتغنى ينكره المأمون

و انتهى الدور إليّ، فغنّيت البيتين، فاحمرّ وجه المأمون، و انقلبت عيناه و قال لي: يا بن الفاعلة، أ لك عليّ و على حرمي صاحب خبر!فوثبت، و قلت: يا سيدي ما السبب؟. فقال لي: من أين عرفت قصتي مع جاريتي؟ فغنيت في معنى ما بيننا، فحلفت له أني لا أعرف شيئا من ذلك، و حدّثته حديثي مع خالد، فلما انتهيت إلى قوله، «أنت أنزل من ذلك» ضحك، و قال: صدق، و إن هذا الاتّفاق ظريف، ثم أمر لي بخمسة آلاف درهم و لخالد بمثلها.

دخوله على المأمون في يوم السعانين

أخبرني محمد قال: حدثنا حماد قال: حدثني أحمد بن صدقة قال: دخلت على المأمون في يوم السعانين[1]، و بين يديه عشرون وصيفة، جلبا[2]روميات مزنّرات[3]، قد تزيّن بالديباج الرومي، و علّقن في أعناقهنّ صلبان الذهب، /و في أيديهنّ الخوص و الزيتون، فقال لي المأمون: ويلك يا أحمد!قد قلت في هؤلاء أبياتا فغنّني فيها.

ثم أنشدني قوله[4]:

ظباء كالدنانير # ملاح في المقاصير

جلاهنّ السعانين # علينا في الزنانير

و قد زرّفن أصداغا # كأذناب الزرارير

/و أقبلن بأوساط # كأوساط الزنابير

فحفظتها، و غنّيته فيها، فلم يزل يشرب، و ترقص الوصائف بين يديه أنواع الرقص من الدستبند[5]، إلى الإبلا[6]حتى سكر، فأمر لي بألف دينار، و أمر بأن ينثر على الجواري ثلاثة آلاف دينار، فقبضت الألف، و نثرت الثلاثة الآلاف عليهنّ، فانتهبتها معهنّ.

يغضب فيسترضيه الفضل

حدثني جحظة قال حدثني جعفر بن المأمون قال:

[1]يوم السعانين: عيد النصارى يخرجون فيه بصلبانهم قبل الفصح بأسبوع.

[2]في هد، ف: «جلب» بالرفع على الوصفية لـ «عشرون» .

[3]مزنرات: لابسات الزنار و هو منطقة للنصارى و المجوس كانوا يتميزون بها في زيهم.

[4]الأبيات زيادة في م و ا.

[5]الدستبند: الرقص مع التماسك بالأيدي زرفن أصداغا، أي جعلن حلقات معرب.

[6]كذا في س، ب، و في ف، هد، هج «الإبل» ، و لعل المراد منه الرقص العربي، و العرب يقسمون بالراقصان من الإبل.

اجتمعنا عند الفضل بن العباس بن المأمون، و معنا المسدود، و أحمد بن صدقة، و كان أحمد قد حلق في ذلك اليوم رأسه، فاستعجلوا بلافة كانت لهم، فأخذ المسدود سكرّجة[1]خردل، فصبتها على رأس أحمد بن صدقة و قال: كلوا هذه حتى تجيء تلك. فحلف أحمد بالطلاق ألا يقيم، فانصرف. و لما كان من غد جمعهما الفضل بن /العباس، فتقدم المسدود، و دخل أحمد و طنبور المسدود موضوع، فجسّه، ثم قال: من كان يسبح في هذا الماء؟ فما انتفعنا بالمسدود سائر يومه، على أن الفضل قد خلع عليهما، و حماهما.

يقتله الأعراب و ينهبون ماله

و لم يزل أحمد مقيما، حتى بلغه موت بنيّة له بالشأم، فشخص نحو منزله، و خرج عليه الأعراب فأخذوا ما معه و قتلوه.

هل كان أبخر؟

قال جحظة:

و قال بعض الشعراء يهجو أحمد بن صدقة و كانت له صديقة فقطعته فعيّره بذلك و نسبها إلى أنها هربت منه لأنه أبخر: هربت صديقة أحمد # هربت من الرّيق الرّدي

هربت فإن عادت إلى # طنبوره فاقطع يدي

صوت

أ لم تعلموا أنى تخاف عرامتي # و أن قناتي لا تلين على القسر

و إني و إياكم كمن نبّه القطا # و لو لم تنبّه باتت الطير لا تسري

أناة و حلما و انتظارا بكم غدا # فما أنا بالواني و لا الضّرع الغمر[2]

أظنّ صروف الدهر و الجهل منكم # ستحملكم منّي على مركب وعر

الشعر للحارث بن وعلة الجرمي، و الغناء لابن جامع ثقيل بالبنصر عن عمرو، و فيه لسياط لحن ذكره إبراهيم و لم يجنّسه، و قيل إن الشعر لو علة نفسه.

[1]سكرجة: صحفة للطعام.

[2]الضرع: الجبان. و الغمر: الغبي، و الذي لم يجرب الأمور.

22-أخبار الحارث بن وعلة

اسمه و نسبه

الحارث بن وعلة بن عبد اللّه بن الحارث بن بلع بن سبيلة[1]بن الهون بن أعجب بن قدامة بن حرم بن زبان[2] -و هو علاف، و إليه تنسب الرّحال العلافيّة، و هو أول من اتخذها-بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة. و قد ذكرت متقدما الاختلاف في قضاعة، و من نسبه معدّيا، و من نسبه حميريّا.

و الرّحال العلافيّة مشهورة عند الناس، قد ذكرتها الشعراء في أشعارها، قال ذو الرّمة: و ليل كجلباب العروس ادّرعته # بأربعة و الشّخص في العين واحد

أحمّ علافيّ و أبيض صارم # و أعيس مهريّ و أروع ماجد

و كان وعلة الجرميّ و ابنه الحارث من فرسان قضاعة و أنجادها و أعلامها و شعرائها، و شهد/وعلة الكلاب الثاني[3]، فأفلت بعد أن أدركه قيس بن عاصم المنقريّ، و طلبه، ففاته ركضا و عدوا، و خبره يذكر بعد هذا في موضعه إن شاء اللّه تعالى.

ابن الأشعث و عبد الملك يتمثلان بشعره و شعر أبيه

فأخبرني عمي قال: حدثني الكرانيّ، قال: حدثنا العمريّ عن العتبيّ قال: كتب عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث إلى الحجّاج مبتدئا: أما بعد فإن مثلي و مثلك كما قال القائل: /

سائل مجاور جرم هل جنيت لها # حربا تفرّق بين الجيرة الخلط؟

أم هل دلفت بجرّار له لجب # يغشى الأماعيز بين السّهل و الفرط؟[4]

-و الشعر لوعلة الجرميّ-هذا مثلي و مثلك، فسأحملك على أصعبه، و أريحك من مركبه.

فكتب الحجاج بذلك إلى عبد الملك، فكتب إليه جوابه: أما بعد؛ فإني قد أجبت عدوّ الرحمن بلا حول و لا قوة إلا باللّه، و لعمر اللّه لقد صدق، و خلع سلطان اللّه بيمينه، و طاعته بشماله، و خرج من الدّين[5]عريانا، كما ولدته أمّه.

[1]في هد، هج، ف: «سنبلة» .

[2]كذا في ف بالباء الموحدة، و في س، ب، هد: الريان» ، و في «اللسان» : (علف) : و علاف رجل من الأزد و هو زيان أبو جرم من قضاعة.

[3]الكلاب: ماء بين جبلة و شمام و للعرب يومان فيه: الكلاب الأول و الكلاب الثاني و ثانيهما: لتميم على مذحج.

[4]الفرط: واحد الأفراط و هي آكام شبيهات بالجبال، و في هج: «بين الحي» بدل «بين السهل» .

[5]في هد: «خرج من الدين و الدنيا عريانا» .

ثم لم يصبر عبد الملك على أن يدع جوابه بشعر فقال: و على أن مثلي و مثله ما قال الآخر: أناة و حلما و انتظارا بكم غدا # فما أنا بالواني و لا الضرع الغمر

أظنّ صروف الدهر و الجهل منهم # ستحملهم[1]منّي على مركب وعر

فليت شعري أ سما عدوّ الرحمن لدعائم دين اللّه يهدّمها؟أم رام الخلافة أن ينالها؟و أوشك أن يوهن اللّه شوكته، فاستعن باللّه، و اعلم أن اللّه مع الذين اتّقوا و الذين هم محسنون.

قال مؤلف هذا الكتاب: الشعر الذي تمثل به عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث لوعلة الجرمي، و الشعر الذي نمثل به عبد الملك لابنه الحارث بن وعلة.

يخذله قومه و ينصره آخرون

أخبرني محمد بن جعفر النحوي قال: حدثني طلحة بن عبد اللّه الطّلحيّ، عن أحمد بن إبراهيم، عن أبي عبيدة قال: /قتلت نهد أخا وعلة الجرميّ، فاستعان بقومه، فلم يعينوه، فاستعان بحلفاء[من][2]بني نمير، و كانوا له حلفاء و إخوانا، فأعانوه حتى أدرك بثأره فقال في ذلك: سائل مجاور جرم هل جنيت لها # حربا تزيّل بين الجيرة الخلط[3]

أم هل علوت بجرّار له لجب # يغشى المخارم[4]بين السهل و الفرط[5]

حتى تركت نساء الحي ضاحية[6] # في ساحة الدار يستوقدن بالغبط[7]

يفر من قيس ابن عاصم عند غزوه لليمن

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعيّ، قال: حدثنا الرياشيّ قال: خرج رجل من بني تميم-يقال إنه قيس بن عاصم قال الرياشي: و حقق أبو عبيدة أنه قيس-يوم الكلاب يلتمس أن يصيب رجلا من ملوك اليمن له فداء، فبينا هو في ذلك إذ أدرك وعلة الجرميّ، و عليه مقطعات له فقال له: على يمينك، قال: على يساري أقصد لي، قال: هيهات منك اليمن، قال: العراق مني أبعد، قال: إنك لن ترى أهلك العام، قال: و لا أهلك تراهم[8]، و جعل وعلة يركض فرسه، فإذا ظن أنها قد أعيت وثب عنها، فعدا معها، [1]في هد: «ستحملكم» .

[2]زيادة يقتضيها المقام.

[3]الخلط: خليط، هم القوم الذين أمرهم واحد، و في هج: «تفرق» بدل «تزيل» .

[4]المحارم: جمع مخرم و هو أفواه الفجاج.

[5]الفرط: الجبال الصغيرة، و تجمع على أفراط.

[6]ضاحية: بارزة.

[7]يريد قتلت رجالهن فبقيت الرجال و ليس لها ما يرحل عليها، أو أنه ذهب بإبلهم فغنوا عن أقتابها فالنساء يستوقدن بها، أو أن الخوف يمنعهن من الاحتطاب فهن يستوقدن بالأقتاب و ما جانسها و يشابهها.

[8]كذا في ف، و في س، ب: «أراهم» .

و صاح بها، فتجري و هو يجاريها، فإذا أعيا وثب فركبها، حتى نجا. فسأل عنه قيس، فعرف أنه وعلة الجرمي، فانصرف و تركه، فقال وعلة في ذلك: /

فدى لكما رحليّ أمّي و خالتي # غداة الكلاب إذ تحزّ[1]الدّوابر

/نجوت نجاء لم ير الناس مثله # كأنّي عقاب عند تيمن[2]كاسر

و لما رأيت الخيل تدعو مقاعسا # تنازعني من ثغرة النحر جائر

فإن استطع لا تلتبس بي مقاعس # و لا يرني ميدانهم و المحاضر[3]

و لا تك لي جرّارة مضريّة # إذا ما غدت قوت العيال تبادر[4]

أما قوله: «تحز الدوابر» فإن أهل اليمن لما انهزموا قال قيس بن عاصم لقومه: لا تشتغلوا بأسرهم فيفوتكم أكثرهم، و لكن اتّبعوا المنهزمين، فجزّوا أعصابهم من أعقابهم و دعوهم في مواضعهم، فإذا لم يبق أحد رجعتم إليهم، فأخذتموهم. ففعلوا ذلك، و أهل اليمن يومئذ ثمانية آلاف عليهم أربعة أملاك يقال لهم: اليزيدون[5]، و هم يزيد بن عبد المدان، و يزيد بن هوبر، و يزيد بن المامور[6]و يزيد بن مخزّم[7]. هؤلاء الأربعة اليزيدون، و الخامس عبد يغوث بن وقّاص، فقتل اليزيدون أربعتهم في الوقعة، و أسر عبد يغوث بن وقاص، فقتلته[8]الرّباب برجل منها، و قد ذكر خبر مقتله متقدما في صوت يغني فيه و هو: ألا لا تلوماني كفى اللوم ما بيا

/و أما قوله:

و لما رأيت الخيل تدعو مقاعسا

فإن بني تميم لما التقت مع بني الحارث بن كعب في هذا اليوم تداعت تميم في المعمعة يا آل كعب!فتنادى أهل اليمن: يا آل كعب!فتنادوا: يا آل الحارث!فتنادى أهل اليمن!يا آل الحارث!فتنادوا: يا آل مقاعس!و تميزوا بها من أهل اليمن.

صوت

و اللّه لا نظرت عيني إليك و لو # سالت مساربها شوقا إليك دما

إن كنت خنت و لم أضمر خيانتكم # فاللّه يأخذ ممن خان أو ظلما

[1]في س، ب: «تحف» .

[2]تيمن: أرض بين بلاد تميم و نجران.

[3]كذا في ف، و في س، ب: و نبتئس و ميدانهم و المبدى و المحضر، مكان أريد منه الحالون أي البادون و الحاضرون.

[4]كذا في العقد، و في س، ف: «جرادة» و في ف: «حدادة» و المراد و لا تك في كتيبة يثقل عليه لكثرتها.

[5]و في هج و هد: «اليزيديون» بياء النسب.

[6]كذا في ف و في س، ب: «المأمون» .

[7]كذا في ف و كتب الأنساب و في س، ب: «المخرم» .

[8]كذا في ف و في ب، س: «فقتله» .

سماجة لمحبّ خان صاحبه # ما خان قطّ محبّ يعرف الكرما

الشعر لعليّ بن عبد اللّه الجعفريّ، و الغناء للقاسم بن زرزور، و لحنه ثقيل أول مطلق ابتداؤه نشيد، و كان إبراهيم بن أبي العبيس يذكر أنه لأبيه.

/فلما ولّي مصعب بن الزبير دعاه، فأنشده الأبيات، فقال: أما و اللّه لأقطعنّ السيف في رأسك قبل أن تقطعه في رأسي، و أمر به فحبس، ثم دسّ إليه من قتله.

أخبرني الحسين بن يحيى، عن حماد عن أبيه، عن ابن جامع، عن يونس قال: جاء رجل من قريش إلى الغريض فقال له: بأبي أنت و أمي إني جئتك قاصدا من الطائف أسألك عن صوت تغنّيني إياه، قال: و ما هو؟قال: لحنك في هذا الشعر: تشرّب لون الرازقيّ بياضه # أو الزعفران خالط المسك رادعه[1]

فقال: لا سبيل إلى ذلك، هذا الصوت قد نهتني الجنّ عنه، و لكنّي أغنيك في شعر لمرّة بن محكان، و قد طرقه ضيف في ليلة شاتية، فأنزلهم، و نحر لهم ناقته، ثم غنّاه قوله: يا ربّة البيت قومي غير صاغرة # ضمّي إليك رحال القوم و القربا

فأطربه، ثم قال له الغريض: هذا لحن أخذته من عبيد بن سريج، و سأغنيك لحنا عملته في شعر على وزن هذا الشعر و رويّه للحطيئة، ثم غنّاه: ما نقموا من بغيض لا أبا لهم # في بائس جاء يحدو أينقا شزبا[2]

جاءت به من بلاد الطّور تحمله # حصّاء[3]لم تترك دون العصعا شذبا[4]

لا يخفض جبينه إلا للّه

/حدثني اليزيديّ قال: حدثنا محمد بن الحسن بن مسعود قال: أخبرني العباس بن عيسى العقيليّ أن عليّ بن عبد اللّه الجعفري أنشده: و اللّه و اللّه ربّي # و تلك أقصى يميني

لو شئت ألا أصلّي # لما وضعت جبيني

أيهما يدع؟

حدثنا اليزيديّ قال: حدثنا محمد بن الحسن بن مسعود قال: أخبرني العباس بن عيسى قال: حدثني عليّ بن عبد اللّه الجعفريّ قال: [1]في س، ب: «رادغه» ، تحريف، و الرازقي: الخمر.

[2]شزب: جمع شازب بمعنى المهزول، و في «اللسان» : قال الأصمعي: و سمعت أعرابيا يقول ما قال الحطيئة أينقا شزبا و إنما قال أعنزا شسبا.

[3]سنة مجدبة: لا نبت فيها كالرأس الأحص الذي لا شعر فيه.

[4]شذبا: قشرا و جمعه أشذاب.

مرّت بي امرأة في الطواف، و أنا جالس أنشد صديقا لي هذا البيت:

أهوى هوى الدين و اللذات تعجبني # فكيف لي بهوى اللذات و الدين؟

فالتفتت المرأة إليّ و قالت: دع أيّهما شئت و خذ الآخر.

عود إلى الصوت

حدثنا اليزيديّ قال: حدثنا محمد بن الحسن الزّرقي قال: حدثنا عبد اللّه بن شبيب قال: أنشدني عليّ بن عبد اللّه بن جعفر الجعفريّ لنفسه: و اللّه لا نظرت عيني إليك و لو # سالت مساربها شوقا إليك دما

إلا مفاجأة عند اللقاء و لا # نازعتك[1]الدهر إلا ناسيا كلما

إن كنت خنت و لم أضمر خيانتكم # فاللّه يأخذ ممن خان أو ظلما

سماجة لمحبّ خان صاحبه # ما خان قطّ محبّ يعرف الكرما

قال عبد اللّه بن شبيب و أنشدني عليّ بن عبد اللّه لنفسه:

صوت

وقف الهوى بي حيث أنت فليس لي # متأخّر عنه و لا متقدّم

أجد الملامة في هواك لذيذة # حبّا لذكرك فليلمني اللّوّم

و أهنتني فأهنت نفسي جاهدا[2] # ما من يهون عليك ممن يكرم

أشبهت أعدائي فصرت أحبّهم # إذا صار حظي منك حظي منهم[3]

صوت

أ تعرف رسم الدار من أمّ معبد # نعم فرماك الشوق قبل التجلّد

فيا لك من شوق و يا لك عبرة # سوابقها مثل الجمان المبدّد

الشعر لعتبية[4]بن مرداس المعروف بابن فسوة، و الغناء لجميلة، خفيف ثقيل بالبنصر عن/ابن المكي.

و ذكر الهشامي أن فيه لمعبد لحنا من الثقيل الأول، و أنه يظنّه من منحول يحيى إليه.

[1]في ف، هج: «راجعتها» بدل «نازعتك» و في هد: «راجعتك» و الأبيات صالحة لكاف المخاطب و كاف المخاطبة.

[2]في هد: «صاغرا» .

[3]يروي «الأغاني» في ترجمة أبي الشيص الأزدي أنها له، و هنا يرويها لعلي، و أبو عبيد البكري يحقق أنها لعلي لا لأبي الشيص كتاب «التنبيه» صفحة 67.

[4]كذا في ف، و في س، ب: عيينة، و هو تحريف.

23-أخبار عتيبة و نسبه

اسمه و نسبه

عتيبة[1]بن مرداس أحد بني كعب بن عمرو بن تميم[2]، لم يقع إليّ من نسبه غير هذا، و هو شاعر مقلّ غير معدود في الفحول، مخضرم ممّن أدرك الجاهلية و الإسلام هجّاء خبيث اللسان بذيّ.

لما ذا لقب بابن فسوة؟

و ابن فسوة لقب لزمه في نفسه، و لم يكن أبوه يلقّب بفسوة، إنما لقب هو بهذا، و قد اختلف في سبب تلقيبه بذلك، فذكر إسحاق الموصليّ عن أبي عمرو الشّيباني: نسخت ذلك من كتاب إسحاق بخطه.

أن عتيبة بن مرداس كان فاحشا كثير الشرّ قد أدرك الجاهليّة، فأقبل ابن عمّ له من الحجّ، و كان من أهل بيت منهم يقال لهم: بن فسوة، فقال لهم عتيبة: كيف كنت يا بن فسوة؟فوثب مغضبا، فركب راحلته و قال: بئس لعمر اللّه ما حيّيت به ابن عمّك، قدم عليك من سفر، و نزل دارك!فقام إليه عتيبة مستحييا، و قال له؛ لا تغضب يا بن عمّ، فإنما مازحتك!فأبى أن ينزل، فقال له: انزل و أنا أشتري منك هذا الاسم فأتسمّى به، و ظن أن ذلك لا يضرّه، قال: لا أفعل أو تشتريه مني بمحضر من العشيرة. قال: نعم فجمعهم و أعطاه بردا و جملا و كبشين، و قال لهم عتيبة: اشهدوا أني قد قبلت هذا النّبز[3] [4] و أخذت الثمن[4]، و أني ابن فسوة، فزالت عن ابن عمه يومئذ، و غلبت عليه و هجي بذلك، فقال فيه بعض الشعراء: أودى ابن فسوة إلا نعته الإبلا

/و عمر عمرا طويلا، و إنما قال:

أودى ابن فسوة إلا نعته الإبلا

لأنه كان أوصف الناس لها، و أغراهم بوصفها، ليس له كبير شعر إلا و هو مضمّن وصفها.

تخريج آخر لهذا اللقب

و أخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال: أخبرنا أبو حاتم عن أبي عبيدة قال: إنّما سمّي عتيبة بن مرداس بن فسوة، لأنه كان له جار من عبد القيس، فكان يتحدث إلى ابنته، و كان لها حظ [1]كذا في ف و «الإصابة» و «الشعراء» ، و في س، ب: عيينة، و هو تحريف.

[2]كذا في ف و في س، ب: «أحد بني عمرو بن كعب بن عمرو بن تميم» .

[3]كذا في ف و معناه التلقيب بالسوء، و في س، ب: النبذ. و هو تخريف.

(4-4) التكملة من هج، هد، ف.

من جمال، و كانت تعجبه و يهيم بها، فكان أحداث بني تميم، إذا ذكروا العبديّ[1]، قالوا: قال ابن فسوة، و فعل ابن فسوة، فأكثروا عليه من ذلك حتى ملّ فعمل على التحوّل عنهم، و بلغ ذلك عتيبة، فأتاه فطلب إليه أن يقيم، و أن يحتمل اسمه، و يشريه منه ببعير، فلم يفعل، قال: العبديّ: فتحولت عنهم و شاع في الناس أنه قد ابتاع مني و غلب عليه، فأنشأ عتيبة يقول من كلمة له: و حوّل مولانا علينا اسم أمه # ألا ربّ مولى ناقص غير زائد

ابن عباس ينهره

أخبرني جعفر بن قدامة قال: حدثنا أحمد بن الحارث قال: حدثنا المدائنيّ عن أبي بكر الهذلي و ابن دأب و ابن جعدبة[2]، قالوا: أتى عتيبة بن مرداس-و هو ابن فسوة-عبد اللّه بن العباس عليهما السلام و هو عامل لعليّ بن أبي طالب صلوات اللّه عليه على البصرة، و تحته يومئذ شميلة بنت جنادة بن بنت أبي أزهر الزهرانية، و كانت قبله تحت مجاشع ابن مسعود السّلميّ، /فأستأذن عليه، فأذن له، و كان لا يزال يأتي أمراء البصرة فيمدحهم، فيعطونه، و يخافون لسانه، فلما دخل على ابن عباس قال له: ما جاء بك إليّ يا بن فسوة؟فقال له: و هل عنك مقصر أو وراءك معديّ؟ جئتك لتعينني على مروءتي، و تصل قرابتي، فقال له/ابن عباس: و ما مروءة من يعصي الرحمن و يقول البهتان و يقطع ما أمر اللّه به أن يوصل؟و اللّه لئن أعطيتك لأعينّك على الكفر و العصيان، انطلق فأنا أقسم باللّه لئن بلغني أنك هجوت أحدا من العرب لأقطعنّ لسانك. فأراد الكلام، فمنعه من حضر، و حبسه يومه ذلك، ثم أخرجه عن البصرة.

الحسن و ابن جعفر يصلانه خشية لسانه

فوفد إلى المدينة بعد مقتل عليّ عليه السلام، فلقي الحسن بن عليّ عليهما السلام، و عبد اللّه بن جعفر عليهما السلام، فسألاه عن خبره مع ابن عباس عليه السلام فأخبرهما، فاشتريا عرضه بما أرضاه، فقال عتيبة يمدح الحسن و ابن جعفر عليهما السلام و يلوم ابن عباس رضي اللّه عنهما؛

أتيت ابن عباس فلم يقض حاجتي # و لم يرج معروفي و لم يخشى منكري

حبست فلم أنطق بعذر لحاجة # و سدّ[3]خصاص[4]البيت من كل منظر

و جئت و أصوات الخصوم وراءه # كصوت الحمام في القليب المغوّر[5]

و ما أنا إذا زاحمت مصراع بابه # بذي صولة ضار[6]، و لا بحزوّر[7]

[1]كذا في ب، و هو النسب الفصيح إذ المركب الإضافي ينصب إلى صدره إلا إن ألبس و لا ينسب إلى الجزأين معا للثقل. و في ف: «للعبقي» .

[2]كذا في ف، و في س، ب: «جعدية» تحريف.

[3]كذا في ف، و في س، ب: شد، و هو تحريف.

[4]خصاص الباب: ثقبه.

[5]القليب: البئر البعيدة الغور.

[6]كذا في ف، و في س، ب: «باق» ، و لا معنى لها، و في هد: «فان» .

[7]حزور: رجل قوي.

فلو كنت من زهران لم ينس حاجتي # و لكنني مولى جميل بن معمر

/-و كان حليفا لجميل بن معمر القرشيّ-: و باتت لعبد اللّه من دون حاجتي # شميلة تلهو بالحديث المفتّر[1]

و لم يقترب من ضوء نار تحثّها # شميلة إلا أن تصلّى بمجمر

تطالع أهل السوق و الباب دونها # بمستفلك[2]الذّفري[3]أسيل المدثّر

إذا هي همّت بالخروج يردّها # عن الباب مصراعا منيف مجيّر

-وجدت بخط إسحاق الموصلي مجيّر: محير. و المحير: المصهرج[4]. و الحيار: الصهروج-

فليت قلوصي عرّيت أو رحلتها # إلى حسن في داره و ابن جعفر

إلى ابن رسول اللّه يأمر بالتقى # و للدين يدعو و الكتاب المطهّر

إلى معشر لا يخصفون[5]نعالهم # و لا يلبسون السّبت[6]، ما لم يخصّر[7]

فلما عرفت البأس منه و قد بدت # أيادي سبا الحاجات للمتذكّر

تسنّمت حرجوجا[8]كأن بغامها # أحيح[9]ابن ماء[10]في يراع مفجّر

فما زلت في التّسيار حتى أنحتها # إلى ابن رسول الأمّة المتخيّر

فلا تدعنّي إذ رحلت إليكم # بني هاشم أن تصدروني بمصدر[11]

/و هي قصيدة طويلة، هذا ذكر في الخبر منها.

و أخبرني بهذا الخبر أحمد بن عبد العزيز الجوهري و أحمد بن عبيد اللّه بن عمار، عن عمر بن شبّة، عن المدائنيّ مثل ما مضى أو قريبا منه، و لم يتجاوز عمر بن شبة المدائني في إسناده.

عامر بن الكريز ينهره أيضا

أخبرني عليّ بن سليمان الأخفش قال: حدثني محمد بن الحسن بن الحرون قال: قال ابن الأعرابي: كان عتيبة بن مرداس السّلميّ شاعرا خبيث اللسان مخوف المعرّة في جاهليته و إسلامه، و كان يقدم على أمراء [1]كذا في ف، و في س و ب: «المقتر» تحريف.

[2]بمستفلك بمعنى مستدير، و فعله في الأساس: فلك ثدي الجارية و تفلك و استفلك.

[3]الذفري: العظم الشاخص خلف الأذن.

[4]مصهرج، أي معمول بالصاروج و هو النورة و أخلاطها تصرج بها الحياض و البيوت و نحوها.

[5]يخصفون: يخرزون.

[6]السبت: الجلد المدبوغ.

[7]يخصر: يدقق وسطه.

[8]الحرجوج الناقة السمينة الطويلة و تجمع على حراجيج.

[9]المراد الصوت.

[10]طائر يكثر وجوده حول المياه.

[11]كذا في ف، و في س، ب: «لمصدر» . و في هد: «فلا تدعوني» بلا توكيد. ـ

العراق و أشراف الناس، فيصيب منهم بشعره، فقدم على ابن عامر بن كريز[1]-و كان جوادا-فلما/استؤذن له عليه أرسل إليه: إنك و اللّه ما تسأل بحسب و لا دين و لا منزلة، و ما أرى لرجل من قريش أن يعطيك شيئا، و أمر به فلكز و أهين فقال ابن فسوة: و كائن تخطّت ناقتي و زميلها # إلى ابن كريز من نحوس و أسعد

و أغبر مسحول[2]التراب ترى له # حيا[3]طردته الريح من كل مطرد

لعمرك إني عند باب ابن عامر # لكالظبّي عند[4]الرّمية المتردّد

فلم أر يوما مثله إذ[5]تكشّفت # ضبابته عنّي و لمّا أقيّد

ثم يطيب خاطر

فبلغ قوله ابن عامر، فخاف لسانه و ما يأتي به بعد هذا و رجع له، و أحسن/القوم رفده، و قالوا: هذا شاعر فارس و شيخ من شيوخ قومه و اليسير يرضيه، فقال: ردّوه فردّ، فقال له: إيه يا عتيبة، أردد عليّ ما قلت، فقال: ما قلت إلا خيرا قال: هاته فقال: قلت: أ تعرف رسم الدار من أم معبد # نعم فرماك الشوق قبل التجلّد[6]

فيا لك من شوق و يا لك عبرة # سوابقها مثل الجمان المبدّد

و كائن تخطت ناقتي و زميلها # إلى ابن كريز من نحوس و أسعد

فتى يشتري حسن الثناء بماله # و يعلم أنّ المرء غير مخلّد

إذا ما ملمّات الأمور اعترينه[7] # تجلّى الدّجى عن كوكب متوقّد

فتبسم ابن عامر و قال: لعمري ما هكذا قلت، و لكنه قول مستأنف، و أعطاه حتى رضي و انصرف.

ابن الأعرابي يستحسن أبياتا له

قال: و أنشدنا ابن الأعرابيّ له بعقب هذا الخبر، و كان يستحسن هذه الأبيات و يستجيدها: منعّمة لم يغذها أهل بلدة[8] # و لا أهل مصر فهي هيفاء ناهد

فريعت فلم تخبا[9]و لكن تأوّدت # كما انتصّ[10]مكحول المدامع فارد

[1]في هد: «عامر بن الكريز» بدل «ابن عامر بن كريز» .

[2]مسحول: ناعم.

[3]كذا في ف بمعنى مطر، و في س، ب: «خبا» .

[4]كذا في ف و في س، ب: «بعد» .

[5]كذا في ف و في س و ب: «أن» .

[6]ورد هذا المطلع في دالية عدي بن زيد المعدودة في المجمهرات بنصه.

[7]في س، ب: «اعتلينه» .

[8]في س، ب: «ثلة» .

[9]في س، ب: تحيي.

[10]كذا في ف، و في س، ب: أبنص و هو تحريف. انتص: سار.

و أهوت لتتناش الرّواق[1]فلم تقم # إليه و لكن طأطأته الولائد

/قليلة لحم الناظرين يزينها # شباب و مخفوض من العيش بارد

تناهى إلى لهو الحديث كأنها # أخو سقم قد أسلمته العوائد

ترى القرط منها في قناة[2]كأنها # بمهلكة لو لا البرا[3]و المعاقد[4]

يرثى صريعا في بئر

و قال أبو عمرو و الشيباني:

أغار رجل[5]من بني تغلب يقال له الهذيل بعقب مقتل عثمان على بني تميم، فأصاب نعما كثيرا، فورد بها ماء لبني مازن بن مالك بن عمرو بن تميم يقال له سفار[6]، فإذا عليه الأسود و خالد ابنا نعيم بن قعنب بن الحارث ابن عمرو بن همام بن رياح في إبل لهما قد أورداها، فأراد الهذيل أخذها، فتفرّقت، فتفرق أصحابه في طلبها، و هو قائم على رأس ركيّة من سفار، فرماه أحدهما فقتله فوقع في الرّكيّة فكانت قبره. و يقال: بل رماه عبد أسود لمالك ابن[7]عروة المازنيّ، فقال عتيبة بن[8]مرداس الذي يقال له ابن فسوة في ذلك: من مبلغ فتيان تغلب أنه # خلال للهذيل من سفار قليب؟

إذا صوّت الأصداء وسطها # فتى تغلبيّ في القليب غريب

/فأعددت يربوعا لتغلب إنهم # أناس غذتهم[9]فتنة و حروب

حويت لقاح ابني نعيم بن قعنب # و إنك إن أحرزتها لكسوب

بشر بن كهف ينهره

و قال أبو عمرو أيضا:

كان عبد اللّه بن عامر بن كريز قد تزوّج أخت بشر بن كهف أحد بني خزاعة بن مازن، فكان أثيرا عنده، و استعمله على الحمى، فسأله ابن فسوة أن يرعيه فأبى، و منعه، و طرد إبله، فقال في ذلك: من[10]يك أرعاه الحمى أخواته # فما لي من أخت عوان و لا بكر

و ما ضرّها أن لم تكن رعت الحمى # و لم تطلب الخير الممنّع من بشر

[1]الرواق: مقدم البيت أو الفسطاط، و تتناش، و المراد، تتناول لتنعمها و ترفهها بكثرة الخدم.

[2]كذا في ف؛ و في س، ب: «فتاة» ، و المراد استقامة قدها و طول عنقها.

[3]البرا: جمع برة، و أصلها بروة: الخلخال.
[4]المعاقد: جمع معقاد؛ و هو خيط فيه خرزات تعلق في عنق الصبي.
[5]ف: «فتى» .
[6]سفار: منهل بين البصرة و المدينة قبل ذي قار لبني مازن بن مالك.
[7]كذا في ف، ب و في س: «أبي» .
[8]كذا في ف؛ و في س، ب: «في» ؛ و هو تحريف.
[9]كذا في ب، و في س، ب: «عرتهم» .
[10]البيت من الطويل دخله الخرم.

متى يجيء[1]يوما إلى المال وارثي # يجد قبض كفّ غير ملأى و لا صفر

يجد مهرة مثل القناة طمرّة[2] # و عضب إذا ما هزّ لم يرض بالهبر[3]

فإن تمنعوا منها حماكم فإنه # مباح لها ما بين إنبط[4]فالكدر[5]

إذا ما أمرؤ أثنى بفضل ابن عمه # فلعنة ربّ العالمين على بشر

يسرقون ثيابه؛ فيستعدي قومه عليهم

و قال أبو عمرو الشيباني، و نسخته أيضا من خط إسحاق الموصلي، و جمعت الروايتين: إن ابن فسوة نزل ببني سعد بن مالك من بني قيس بن ثعلبة، و بات بهم، و معه جارية له يقال لها جوزاء، فسرقوا عيبة له فيها ثيابه و ثياب جاريته، فرحل عنهم، فلما عاد إلى قومه أعلمهم ما فعله به بنو سعد بن مالك.

أغاروا على إبل لبني سعد فأخذوا منها

بن ربيعة، فقدم أبو سفيان بن حرب، فسأله عن أخبار مكة، و هل حدث بعده شيء، فقال: لا، إلاّ أنّي تزوجت هندا بنت عتبة، فمات مسافر أسفا عليها، و يدل على صحّة ذلك قوله: و أصبحت من أدنى حموّتها حما

[1]تصورها: تميلها.

لأنه ابن عم أبي سفيان بن حرب لحّا و ليس النميري المتزوج هندا النهدية ابن عم[1]عبد اللّه بن العجلان فيكون من أحمائها، و القول الأول على هذا أصحّ.

من شعره في هند

و من مختار ما قاله ابن العجلان في هند:

ألا أبلغا هندا سلامي فإن نأت # فقلبي مذ شطّت بها الدار مدنف[2]

و لم أر هندا بعد موقف ساعة # بأنعم في أهل الديار تطوّف

أتت بين أتراب تمايس إذ مشت # دبيب القطا أو هنّ منهنّ أقطف

/يباكرن مرآة جليّا و تارة # ذكيّا و بالأيدي مداك و مسوف

أشارت إلينا في خفاة[3]و راعها # و مرآة الضّحى مني على الحيّ موقف

و قالت: تباعد يا بن عمي فإنّني # منيت بذي صول يغار و يعنف

أخبرني الحسن بن عليّ قال: أنشدنا فضل اليزيديّ عن إسحاق لعبد اللّه بن العجلان النهديّ قال إسحاق و فيه غناء: خليليّ زورا قبل شحط النوى هندا # و لا تأمنا من دار ذي لطف بعدا

و لا تعجلا، لم يدر صاحب حاجة # أ غيّا يلاقي في التعجّل أم رشدا

و مرّا عليها بارك اللّه فيكما # و إن لم تكن هند لوجهيكما قصدا

و قولا لها ليس الضلال أجازنا # و لكنّنا جزنا لنلقاكم عمدا

صوت

ألا يا ظبية البلد # براني طول ذا الكمد

فردّي يا معذّبتي # فؤادي أو خذي جسدي

/بليت لشقوتي بكم # غلاما ظاهر الجلد

فشيّب حبّكم رأسي # و بيّض هجركم كبدي

الشعر للمؤمّل بن أميل، و الغناء لإبراهيم ثقيل أول بإطلاق الوتر في مجرى البنصر عن إسحاق.

[1]هج: «من بني عم» .

[2]هج:

«فقلبي بها مذ شطت الدار مدنف»

.

[3]ف: «في حياء» .

25-أخبار المؤمل و نسبه

اسمه و نسبه

المؤمل بن أميل بن أسيد المحاربيّ. من محارب بن خصفة بن قيس بن عيلان بن مضر، شاعر كوفيّ من مخضرمي شعراء الدولتين الأموية و العباسية، و كانت شهرته في العباسية أكثر، لأنه كان من الجند المرتزقة معهم و من يخصّهم[1]، و يخدمهم من أوليائهم، و انقطع إلى المهديّ في حياة أبيه و بعده. و هو صالح المذهب في شعره ليس من المبرّزين الفحول و لا المرذولين، و في شعره لين[2]، و له طبع صالح.

يتمنى العمى فيستجاب له

و كان يهوى امرأة من أهل الحيرة يقال لها هند، و فيها يقول قصيدته المشهورة: شف المؤمّل يوم الحيرة النظر # ليت المؤمل لم يخلق له بصر

يقال: إنه رأى في منامه رجلا أدخل إصبعيه في عينيه، و قال: هذا ما تمنيت، فأصبح أعمى.

المهدي يغدق و المنصور ينتقص

أخبرني حبيب بن نصر المهلبيّ، قال: حدثنا عبد اللّه بن أبي سعد قال: حدثنا عبد اللّه بن الحسن الحرّانيّ، قال: حدثني أبو قدامة، قال: حدثني المؤمّل قال: قدمت على المهديّ و هو بالرّي، و هو إذ ذاك وليّ عهد، فامتدحته بأبيات، فأمر لي بعشرين ألف درهم، فكتب بذلك صاحب البريد إلى أبي جعفر المنصور، و هو بمدينة السلام يخبره أن الأمير المهديّ أمر لشاعر بعشرين ألف درهم، فكتب إليه يعذله و يلومه، و يقول له: إنما ينبغي أن تعطى لشاعر بعد أن يقيم ببابك سنة أربعة آلاف درهم، /و كتب إلى كاتب المهدي أن يوجّه إليه بالشاعر، فطلب، و لم يقدر عليه، و كتب إلى أبي جعفر أنه قد توجّه إلى[3]مدينة السلام، فأجلس قائدا من قواده على جسر النهروان، و أمره أن يتصفّح الناس رجلا رجلا، فجعل لا يمرّ به قافلة، إلا تصفّح من فيها، حتى مرت به القافلة التي فيها المؤمّل، فتصفحهم، فلما سأله من أنت؟قال: أنا المؤمّل بن أميل المحاربي الشاعر، أحد زوار الأمير المهديّ، فقال: إياك طلبت، قال المؤمل: فكاد قلبي ينصدع[4]خوفا من أبي جعفر.

[1]في هد: «يخضرهم» بدل «يخصهم» .

[2]في هد: «و في شعره لغة و دين» .

[3]كذا في ف، هد، هج، و في س، ب: «توجه مدينة» .

[4]كذا في ف، بدون أن و هو أفصح. ـ

فقبض عليّ، و أسلمني إلى الربيع، فأدخلني إلى أبي جعفر، و قال: هذا الشاعر الذي أخذ من المهدي عشرين ألفا، قد ظفرنا به، فقال: أدخلوه إليّ، فأدخلت إليه، فسلمت تسليم فزع[1]، مروّع، فردّ السلام، و قال: ليس لك هاهنا إلاّ خير، أنت المؤمل بن أميل؟قلت: نعم، أصلح اللّه أمير المؤمنين أنا المؤمل بن أميل، قال: أتيت غلاما غرّا، فخدعته فانخدع؟قلت: نعم، أصلح اللّه الأمير، أتيت غلاما غرّا كريما، فخدعته فانخدع قال: فكأن ذلك أعجبه، فقال: أنشدني ما قلت فيه فأنشدته: هو المهديّ إلا أن فيه # مشابهة[2]من القمر المنير

تشابه ذا و ذا فهما إذا ما # أنارا مشكلان على البصير

فهذا في الظلام سراج ليل # و هذا في النهار ضياء نور

/و لكن فضّل الرحمن هذا # على ذا بالمنابر و السّرير

/و بالملك العزيز فذا أمير # و ما ذا بالأمير و لا الوزير

و بعض الشهر ينقص ذا و هذا # منير عند نقصان الشهور[3]

فيا ابن خليفة اللّه المصفّى # به تعلو مفاخرة الفخور

لئن فتّ الملوك و قد توافوا # إليك من السهولة و الوعور

لقد سبق الملوك أبوك حتّى # بقوا من بين كاب[4]أو حسير

و جئت مصليا[5]تجري حثيثا # و ما بك حين تجري من فتور

فقال الناس ما هذان إلا # كما بين الخليق إلى الجدير

لئن سبق الكبير لأهل سبق[6] # له فضل الكبير على الصّغير

و إن بلغ الصغير مدى كبير # فقد خلق الصغير من الكبير

فقال: و اللّه لقد أحسنت، و لكن هذا لا يساوي عشرين ألف درهم، فأين المال؟قلت: هو هذا، قال: يا ربيع، امض معه، فأعطه أربعة آلاف درهم، و خذ الباقي. قال المؤمّل: فخرج معي الربيع، و حطّ ثقلي، و وزن لي من المال أربعة آلاف درهم، و أخذ الباقي.

فلما ولي المهديّ الخلافة ولّى ابن ثوبان المظالم، فكان يجلس للناس بالرّصافة، فإذا ملأ كساءه رقاعا رفعها إلى المهديّ، فرفعت إليه رقعة، فلما دخل بها ابن ثوبان جعل المهديّ ينظر في الرقاع، حتى إذا وصل إلى رقعتي

[1]هج: «مذعور» .

[2]كذا في ف و في س، ب: «مشابه صورة القمر المنير» .

[3]كذا في ف و في س، ب

و نقص الشهر ينقص ذا و هذا # أمير عند نقصان الشهور

[4]كاب: عائر من كبا يكبو.

[5]مصليا: تاليا للسابق، و سمي بذلك لأنه يضع أنفه عند صلوى سابقه.

[6]كذا في ف و في س، ب: «لقد» .

ضحك، فقال له ابن ثوبان: أصلح اللّه أمير المؤمنين!ما رأيتك ضحكت من شيء من هذه الرقاع إلا من هذه /الرّقعة، فقال: هذه رقعة أعرف سببها، ردّوا إليه عشرين ألف درهم، فردّوها إليّ و انصرفت.

يبايع موسى و هارون فيأخذ بدرة و نصفا

أخبرني حبيب بن نصر المهلبي، قال: حدثنا عبد اللّه بن سعد بن أبي سعد قال: حدثني الحكم بن موسى السلوليّ، قال: حدثني سعد بن أخي العوفيّ قال: قدم على المهديّ في بيعة ابن ابنيه موسى و هارون المؤمّل بن أميل المحاربيّ و الحسين بن يزيد بن أبي الحكم السّلولي و قد أوفدهما هاشم بن سعد الحميري من الكوفة، فقدما على المهديّ في عسكره، فأنشده المؤمّل: هاك بياعنا يا خير وال # فقد جدنا به لك طائعينا[1]

فإن تفعل فأنت لذاك أهل # ففصلك يا بن خير الناس فينا

وعد لك يا بن وارث خير خلق # نبيّ اللّه خير المرسلينا

فإن أبا أبيك و أنت منه # هو العبّاس وارثه يقينا

أبان به الكتاب و ذاك حق # و لسنا للكتاب مكذّبينا

بكم فتحت و أنتم غير شك # لها بالعدل أكرم خاتمينا

فدونكها فأنت لها محلّ # حباك بها إله العالمينا

و لو قيدت لغيركم اشمأزّت # و أعيت أن تطيع القائدينا

فأمر لهما بثلاثين ألف درهم، فجيء بالمال، فألقي بينهما، فأخذ كل واحد منهما بدرة[2]، و صدع[3] /الأخرى بينهما، فأخذ هذا نصفا و هذا نصفا.

يتلف في ضحكه كل مال

أخبرني جعفر بن قدامة قال: حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه، عن عبد اللّه بن أمين عن أبي محمد اليزيديّ، عن المؤمّل بن أميل قال: صرت إلى المهديّ بجرجان فمدحته بقولي:

تعزّ ودع عنك سلمى و سر # حثيثا على سائرات البغال

و كل جواد له ميعة[4] # يخبّ بسرحك بعد الكلال

إلى الشمس شمس بني هاشم # و ما الشمس كالبدر أو كالهلال

[1]في هد «فقد جدنا بذلك طائعينا» .

[2]البدرة: كيس فيه عشرة آلاف درهم، و جمعه بدر كعنب.

[3]كذا في ف و في س، ب «صدع» .
[4]ميعة الفرس: أول جريه.

و يضحكه أن يدوم[1]السؤال # و يتلف في ضحكه كلّ مال

فاستحسنها المهديّ، و أمر لي بعشرة آلاف درهم، و شاع الشعر و كان في عسكره رجل يعرف بأبي الهوسات[2]، يغنّي، فغنّى في الشعر لرفقائه، و بلغ ذلك المهديّ فبعث إليه سرّا، فدخل عليه، فغناه، فأمر له بخمسة آلاف درهم، و أمر لي بعشرة آلاف درهم أخرى، و كتب بذلك صاحب البريد إلى المنصور.

ثم ذكر باقي الخبر على ما تقدم قبله، و زاد فيه:

أن المنصور قال له: جئت إلى غلام حدث، فخدعته، حتى أعطاك من مال اللّه عشرين ألف درهم لشعر قلته فيه، غير جيّد و أعطاك من رقيق المسلمين مالا يملكه، و أعطاك من الكراع و الأثاث ما أسرف فيه، يا ربيع خذ منه ثمانية عشر ألف درهم، و أعطه ألفين، و لا تعرض لشيء من الأثاث و الدواب و الرقيق، ففي ذلك غناؤه. فأخذت و اللّه مني بخواتمها، و وضعت في الخزائن، فلما ولي المهديّ دخلت إليه في المتظلمين. فلمّا رآني ضحك و قال: مظلمة أعرفها، و لا أحتاج إلى بيّنة عليها، و جعل يضحك، و أمر بالمال فردّ إليّ بعينه، و زاد فيه عشرة آلاف.

لا لحم فيه و لا دم

أخبرني الحسن بن علي الخفّاف قال: حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال: حدثني حذيفة بن محمد الطائيّ قال: حدثني أبي قال: رأيت المؤمّل شيخا مصفرّا نحيفا أعمى، فقلت له: لقد صدقت في قولك: و قد زعموا لي أنها نذرت دمي # و ما لي بحمد اللّه لحم و لا دم

فقال: نعم-فديتك-و ما كنت أقول إلا حقا.

قال محمد بن القاسم: و حدّثني عبد اللّه بن طاهر أن أول هذا الشعر: حلمت بكم في نومتي فغضبتم # و لا ذنب لي إن كنت في النوم أحلم

سأطرد عني النوم كيلا أراكم # إذا ما أتاني النّوم و الناس نوّم

تصارمني و اللّه يعلم أنّني # أبرّ بها من والديها و أرحم

صوت

و قد زعموا لي أنها نذرت دمي # و ما لي بحمد اللّه لحم و لا دم

برى حبّها لحمي و لم يبق لي دما # و إن زعموا أني صحيح مسلّم

فلم أر مثل الحب صحّ سقيمه # و لا مثل من لا[3]يعرف الحبّ يسقم

ستقتل جلدا باليا فوق أعظم # و ليس يبالي القتل جلد و أعظم

[1]في س، ب «يديم» .

[2]ف: «المهوسات» .

[3]في س، ب: «لم» .

/في هذه الأبيات التي أولها:

و قد زعموا لي أنها نذرت دمي

لنبيه لحن من خفيف الثقيل المطلق في مجرى الوسطى عن ابن المكي.

أخبرني الحسن بن عليّ قال: حدثنا ابن مهرويه، قال: حدثني محمد بن أحمد بن عليّ، قال: لما قال المؤمّل: شفّ المؤمّل يوم الحيرة النظر # ليت المؤمّل لم يخلق له بصر

/عمي، و أري في منامه: هذا ما تمنيت.

أخبرني حبيب بن نصر قال: حدثنا عبد اللّه بن أبي سعد، قال حدثني عليّ بن الحسن[1]الشيباني: قال: رأى المؤمل في منامه قائلا يقول: أنت[2]المتألّي على اللّه ألا يعذّب المحبّين حيث تقول: يكفي المحبّين في الدنيا عذابهم # و اللّه لا عذّبتهم بعدها سقر

فقال له: نعم، فقال: كذبت يا عدوّ اللّه، ثم أدخل إصبعيه[3]في عينيه و قال له: أنت القائل: شف المؤمّل يوم الحيرة النظر # ليت المؤمّل لم يخلق له بصر

هذا ما تمنيت، فانتبه فزعا، فإذا هو قد عمي.

لا ترضى مضر بقتله

أخبرني الحسن بن عليّ، قال: حدثنا أحمد بن زهير قال: حدثنا مصعب الزبيريّ قال: أنشد المهديّ قول المؤمّل:

قتلت شاعر هذا الحيّ من مضر # و اللّه يعلم ما ترضى بذا مضر

فضحك، و قال: لو علمنا أنها فعلت ما رضينا، و لغضبنا له و أنكرنا.

صوت

بكيت حذار البين علما بما الذي # إليه فؤادي عند ذلك صائر

[1]س، ب: «الحسين» تحريف.

[2]المتألي: الحالف.

[3]في س، ب: «إصبعه» .

و قال أناس لو صبرت و إنني # على كل مكروه سوى البين صابر

الشعر لأبي مالك الأعرج؛ و الغناء لإبراهيم الموصليّ خفيف ثقيل بالوسطى من جامع صنعته و رواية الهشاميّ.

قال الهشاميّ: و فيه ليزيد حوراء ثاني ثقيل، و لسليم ثقيل أول.

26-أخبار أبي مالك و نسبه

اسمه و نشأته

أبو مالك النّضر بن أبي النّضر التميميّ، هذا أكثر ما وجدته من نسبه، و كان مولده و منشؤه بالبادية.

ثم وفد إلى الرشيد، و مدحه، و خدمه فأحمد مذهبه، و لحظته عناية من الفضل بن يحيى، فبلغ ما أحبّ، و هو صالح الشعر، متوسّط المذهب، ليس من طبقة شعراء عصره المجيدين، و لا من المرذولين.

يرثي أباه

أخبرني أبو دلف هاشم بن محمد الخزاعيّ قال: حدثنا أحمد بن الهيثم بن فراس قال: كان أبو مالك النضر بن أبي النضر التميميّ مع الرشيد، و كان أبوه مقيما بالبادية، فأصاب قوم من عشيرته الطريق، و قطعوه عن بعض القوافل، فخرج عامل ديار مضر-و كان يقال له جيّال-إلى ناحية كانت فيها طوائف من بني تميم، فقصدهم و هم غارّون[1]، فأخذ منهم جماعة فيهم أبو النضر أبو أبي مالك الأعرج، و كان ذا مال، فطلبه فيمن طلب من الجناة، و طمع في ماله، فضربه ضربا أتى فيه على نفسه، و بلغ ذلك أبا مالك فقال يرثيه: فيم يلحى على بكائي العذول # و الذي نابني فظيع جليل

/عدّ هذا الملام[2]عني إلى غيـ # ري فقلبي ببثّه مشغول

راعني والدي جنت كفّ جيّا # ل عليه فراح و هو قتيل

أيها الفاجعي بركني و عزّي # هبلتني إن لم أرعك الهبول[3]

/سمتني خطّة الصّغار و أظلمـ # ت نهاري عليّ غالتك غول

ما عداني الجفاء عنك و لكن # لم يدلني[4]من الزمان مديل

زال عنا السرور إذ زلت عنا # و ازدهانا[5]بكاؤنا و العويل

و رأينا القريب منا بعيدا # و جفانا صديقنا و الخليل

و رمانا العدوّ من كلّ وجه # و تجنّى على العزيز الذليل

[1]غارون: غافلون.

[2]س، ب: «الكلام» .

[3]هبلتني الهبول: ثكلتني أمي.

[4]لم يدلني: لم ينصرني.

[5]ازدهانا: استخفنا و أذهب وقارنا.

يا أبا النضر سوف أبكيك ما عشـ # ت سويّا و ذاك مني قليل

حملت نعشك الملائكة الأبـ # رار إذ ما لنا إليك[1]سبيل

غير أني كذبتك الودّ لم تقـ # طر جفوني دما و أنت[2]قتيل

رضيت مقلتي بإرسال دمعي # و على مثلك النفوس تسيل

أسواك الذي أجود عليه # بدمي إنني إذا لبخيل

عثر الدهر فيك عثرة سوء # لم يقل مثلها المعين المقيل

قل إن ضنّ بالحياة فإني # بعده للحياة قال ملول

إنّ بالسفح من ضباعة قومي[3] # ليس منهم-و هم أدان[4]-وصول

لا يزورون جارهم من قريب # و هم في التراب صرعى حلول

/حفرة حشوها وفاء و حلم # و ندى فاضل و للبّ أصيل

و عفاف عما يشين و حلم # راجح الوزن بالرواسي يميل

و يمين[5]بنانها غير جعد[6] # و جبين صلت[7]و خدّ أسيل

و امرؤ أشرقت صفيحة خدّيه # عليه بشاشة و قبول

صوت

لئن مصر فاتتني بما كنت أرتجي # و أخلفني فيها الذي كنت آمل

فما كل ما يخشى الفتى بمصيبه # و لا كلّ ما يرجو الفتى هو نائل

[8]الشعر لأبي دهمان، و الغناء لابن جامع ثقيل أول بالوسطى عن الهشاميّ. انتهت أخبار مالك و نسبه[8] [1]في هد: «إليها» بدل «إليك» و في ف: «إليه» .

[2]في م: و ذاك قليل، و الأول أصوب لتقدم هذه القافية.

[3]كذا في م، و ضباعة اسم جبل من جبال طيئ، و في ف: «إن بالسفح من منازل قومي»

:

[4]في س، ب: «أذان» و هو تحريف.

[5]في س، ب:

«و بنان يمينها»

، و لا معنى له.

[6]جعد: قصير، و المراد بسط يده بالعطاء.

[7]صلت: واضح.

(8-8) تكملة من هج، و هد.

27-أخبار أبي دهمان

لا يبيح باسم محبوبته

أبو دهمان الغلابيّ شاعر من شعراء البصرة ممن أدرك دولتي بني أمية و بني العباس[1]. و مدح المهديّ، و كان طيّبا ظريفا مليح النادرة.

و هو القائل لما ضرب المهديّ أبا العتاهية بسبب عشقه عتبة: لو لا الذي أحدث الخليفة في الـ # عشاق من ضربهم إذا عشقوا

لبحت باسم الذي أحبّ و لـ # كنّي امرؤ قد ثناني الفرق

يجيد التقليد

/حدثني بذلك الصوليّ عن محمد بن موسى عن محمد بن أبي العتاهية. و أخبرني جحظة عن حماد بن إسحاق عن أبيه قال: قال رجل لأبي دهمان: أ لا أحدثك بظريفة؟قال: بلى، قال: كنا عند فلان، فمدّ رجله هكذا، فضرط، و مدّ المحدث رجله يحكيه فضرط، فقال له أبو دهمان. يا هذا أنت أحذق خلق اللّه بحكاية.

حق له أن يتيه عليه

نسخت من كتاب بخط ميمون بن هارون: بلغني أن أبا دهمان مرّ و هو أمير بنيسابور على رجل جالس و معه صديق له يسايره، فقام الناس إليه و دعوا له إلا ذلك الرجل، فقال أبو دهمان لصديقه و هو يسايره: أما ترى ذلك الرجل في النّظارة و ترى تيهه عليّ؟فقال له: و كيف يتيه[2]عليك و أنت الأمير!قال: لأنه قد ناكني و أنا غلام.

غلامه يتعجل موته

و أخبرني الحسن بن عليّ، قال: حدثنا أحمد بن الحارث عن المدائنيّ، قال: /مرض أبو دهمان مرضا أشفى منه على الموت، فأوصى و أملى وصيته على كاتبه، و أوصى فيها بعتق غلام كان له واقفا، فلما فرغ غدا الغلام بالرقعة، فأتربها، و نظر إليه أبو دهمان، فقال له: نعم أتربها يا بن الزانية، عسى أن يكون أنجح للحاجة، لا شفاني اللّه إن أنجحت، و أمر به، فأخرج لوقته، فبيع.

[1]في س، ب: «بني هاشم» .

[2]في س، ب: «تيهه» .

صوت

يكرّ كما كرّ الكليبيّ مهره # و ما كرّ إلا خيفة أن يعيّرا

فلا صلح حتى تزحف الخيل و القنا # بنا و بكم أو[1]يصدر الأمر مصدرا

الشعر لأبي حزابة التميميّ، و الغناء لابن جامع ثاني ثقيل بالبنصر.

و هذا الشعر يرثي به أبو حزابة رجلا من بني كليب بن يربوع يقال له ناشرة اليربوعيّ، قتل بسجستان في فتنة ابن الزبير، و كان سيّدا شجاعا.

يرثي ناشرة اليربوعي

أنشدنيه جعفر بن قدامة قال: أنشدني أبو هفّان و أحمد بن أبي طاهر قالا: أنشدنا عبد اللّه بن أحمد العدويّ لأبي حزابة يرثي ناشرة اليربوعيّ قتل بسجستان في فتنة ابن الزبير قال: لعمري لقد هدّت قريش عروشنا # بأبيض نفّاح العشيّات أزهرا

و كان حصادا للمنايا زرعنه # فهلاّ تركن النّبت ما كان أخضرا

لحا اللّه قوما أسلموك و جرّدوا[2] # عناجيج[3]أعطتها[4]يمينك ضمّرا

أ ما كان فيهم ماجد ذو حفيظة # يرى الموت في بعض المواطن أفخرا

يكرّ كما كرّ الكليبيّ مهره # و ما كرّ إلا خشية أن يعيّرا

يريد ما كان في هؤلاء القوم من يكرّ كما كرّ ناشرة الكليبي مهره؟

[1]في س، ب: أن بدل أو.

[2]في ف، هج، هد: «ضيعوك و أسلموا» بدل «أسلموك و جردوا» .

[3]العناجيج: جياد الخيل واحدها عنجوج كعصفور.

[4]في ف: «أعطتك» بدل «أعطتها» ؛ و هو تحريف.

28-أخبار أبي حزابة و نسبه

اسمه و نشأته

أبو حزابة اسمه الوليد بن حنيفة، أحد بني ربيعة بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم. شاعر من شعراء الدولة الأموية بدويّ حضر[1]و سكن البصرة، ثم اكتتب في الديوان، و ضرب عليه البعث إلى سجستان، فكان بها مدة، و عاد إلى البصرة، و خرج مع ابن الأشعث لما خرج على عبد الملك، و أظنّه قتل معه، و كان شاعرا راجزا فصيحا خبيث اللسان هجّاء.

أبطأ الدلاء أملؤها

فأخبرنا الحسن بن عليّ قال: حدثنا هارون بن محمد بن عبد الملك الزيات قال: حدثنا محمد/بن الهيثم الشاميّ قال: حدثني عمّي أبو فراس عن العذريّ قال: دخل أبو حزابة على طلحة الطلحات الخزاعي، و قد استعمله يزيد بن معاوية على سجستان، و كان أبو حزابة قد مدحه، فأبطأت عليه الجائزة من جهته، و رأى ما يعطى غيره من الجوائز، فأنشده: و أدليت دلوي في دلاء كثيرة # فجئن ملاء غير دلوي كما هيا

و أهلكني ألاّ تزال رغيبة # تقصّر دوني أو تحلّ ورائيا

أراني إذا استمطرت منك سحابة # لتمطرني عادت عجاجا[2]و سافيا[3]

قال: فرماه طلحة بحقّ فيه درّة فأصاب صدره، و وقعت في حجره، و يقال: /بل أعطاه أربعة أحجار، و قال له: لا تخدع عنها، فباعها بأربعين ألفا. و مات طلحة بسجستان.

خلف شحيح لسلف كريم

ثم ولى من بعده رجل من بني عبد شمس يقال له عبد اللّه بن عليّ بن عديّ و كان شحيحا فقال له أبو حزابة: يا بن عليّ برح الخفاء # قد علم الجيران و الأكفاء

أنك أنت النذل[4]و اللّفاء[5] # أنت لعين طلحة الفداء[6]

[1]حضر و حضري بمعنى واحد.

[2]عجاجا: غبارا.

[3]سافيا: ريحا تذرو التراب و تسفيه.

[4]ب، س: «البذل» تحريف.

[5]اللفاء: الخسيس.

[6]س، ب: القذاء.

بنو عديّ كلهم سواء # كأنهم زينيّة[1]جراء[2]

رثاء و هجاء

قال ثم وليها بعد عبد اللّه بن علي عبد العزيز بن عبد اللّه بن عامر بن كريز أيام الفتنة، فاستأذنه أبو حزابة أن يأتي البصرة، فأذن له، فقدمها، و كان الناس يحضرون المربد، و يتناشدون الأشعار، و يتحادثون ساعة من النهار، فشهدهم أبو حزابة، و أنشدهم مرثية له في طلحة الطلحت يضمنها ذمّا لعبد اللّه بن عليّ و هي قوله: هيهات هيهات الجناب الأخضر # و النائل الغمر الذي لا ينزر

و اراه عنا الجدث المغوّر[3] # قد علم القوم غداة استعبروا

و القبر بين الطلحات يحفر # أن لن يروا مثلك حتى ينشروا[4]/

أنا أتانا جرز محمّر[5] # أنكره سريرنا و المنبر

و المسجد المحتضر المطهّر # و خلف يا طلح منك أعور[6]

بليّة يا ربّنا لا نسخر # أقلّ من شبرين حين يشبر

مثل أبي القعواء لا بل أقصر[7]

قال: و أبو القعواء حاجب لطلحة كان قصيرا.

بئس العقاب

فقال عون بن عبد الرحمن بن سلامة-و سلامة أمّه-و هو رجل من بني تميم بن مرة قيس: بئسما قلت!أ تشاهر الناس بشتم قريش؟فقال له، إني لم أعمّ، إنما سمّيت رجلا واحدا، فأغلظ له عون حتى انصرف عن ذلك الموضع، ثم أمر عون ابن أخ له، فدعا أبا حزابة فأطعمه، و سقاه، و خلط في شرابه شبر ما[8]فسلّحه، فخرج أبو حزابة و قد أخذه بطنه، فسلح على بابهم و في طريقه، حتى بلغ أهله، و مرض أشهرا، ثم عوفي، فركب فرسا له، ثم أتى المربد فإذا عون بن سلامة واقف، فصاح به، فوقف، و لو لم يقف كان أخف لهجائه، فقال أبو حزابة: يا عون قف و استمع الملامة # لا سلّم اللّه على سلامة

زنجية تحسبها نعلمه # شكّاء[9]شان جسمها دمامه/

[1]زينيّة: كلاب.

[2]الأبيات في «الحيوان» 1: 255.

[3]المغور: البعيد الغرو.

[4]البيت ساقط من م.

[5]كذا في ف و في س، ب: «جزر» تحريف و الأصوب-كما في بعض النسخ-جرز محمر: فأرهجين.

[6]في س، ب: بعد شطرين.

[7]س، ب: «أصفر» .

[8]الشبرم: شراب مسهل.

[9]كذا في ف و معناها صماء، و في س، ب: «سكاء» .

ذات حر كريشتي حمامه # بينهما بظر كرأس الهامه

أعلمتها و عالم العلامه # لو أن تحت بظرها صمامه

لدفعت قدما[1]بها أمامه

فكان الناس يصيحون به:

أعلمتها و عالم العلامة

أبو حزابة ينشد طلحة

أخبرني عمّي قال: حدثنا أحمد بن الهيثم بن فراس قال حدثني عمي أبو فراس، عن الهيثم بن عديّ قال: كان عبد اللّه بن خلف أبو طلحة الطلحات مع عائشة يوم الجمل و قتل معها يومئذ، و على بني خلف نزلت عائشة بالبصرة في القصر المعروف بقصر بني خلف، و كان هوى طلحة الطلحات أمويّا، و كانت بنو أميّة مكرمين له.

فأنشد أبو حزابة يوما طلحة:

يا طلح يأبى مجدك الإخلافا # و البخل لا يعترف اعترافا[2]

إن لنا أحمرة عجافا # يأكلن كلّ ليلة إكافا[3]

فأمر له طلحة بإبل و دراهم، و قال له: هذه مكان أحمرتك.

يأبى الوقوف بباب يزيد

أخبرني عمي قال حدثنا الكرانيّ[4]قال: حدثني العمريّ، عن لقيط قال: قيل لأبي حزابة: لو أتيت يزيد بن معاوية لفرض لك، و شرّفك، و ألحقك بعلية/أصحابه، فلست دونهم، و كان أبو حزابة يومئذ غلاما حدثا، و كان معاوية حيّا، و يزيد أميرا يومئذ، فلما أكثر قومه عليه في ذلك و في قولهم: إنك ستشرف بمصيرك إليه قال:

يشرّفني سيفي[5]و قلب مجانب # لكل لئيم باخل و معلهج[6]

و كرّي على الأبطال طرفا كأنه # ظليم و ضربي فوق رأس المدجّج

و قولي إذا ما النفس جاشت و أجهشت # مخافة يوم شرّه متأجّج

عليك غمار الموت يا نفس إنني # جريء على درء الشجاع المهجهج[7]

[1]غير مثنية و لا ملتوية.

[2]اعترفه: استخبره عن حاله، أي مجدك واضح لا يسأل عنه سائل.

[3]الإكاف: برذعة و يقال له و كاف.
[4]كذا في ف و في س، ب: «الكجاني» تحريف.
[5]كذا في س، ب، و في ف: «سيف» .
[6]معلهج: أحمق لئيم.
[7]المهجهج: الداهية.

ثم يقف؛ فلا يصل إليه

فلما أكثر عليه قومه، و عنّفوه في تأخره أتي يزيد بن معاوية، فأقام ببابه شهرا لا يصل إليه فرجع، و قال: و اللّه لا يراني ما حملت عيناي[1]الماء إلا أسيرا أو قتيلا، و أنشأ يقول: فو اللّه لا آتي يزيد و لو حوت # أنامله ما بين شرق إلى غرب

لأنّ يزيدا غيّر اللّه ما به # جنوح إلى السّوءى مصرّ على الذنب

فقل لبني حرب تقوا اللّه وحده # و لا تسعدوه[2]في البطالة و اللعب

و لا تأمنوا التغيير إن دام فعله # و لم ينهه عن ذاك شيخ بني حرب

/أ يشربها صرفا إذا الليل جنّه # معتّقة كالمسك تختال في العلب[3]

و يلحى عليها شاربيها و قلبه # يهيم بها إن غاب يوما عن الشّرب[4]

يرهن سرجه ليبيت

أخبرني حبيب بن نصر المهلبيّ قال: حدثنا عمر بن شبّة، عن المدائني قال: لما خرج عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث على الحجّاج، و كان[5]معه أبو حزابة فمروا بدستبى[6]و بها مستراد[7]الصّنّاجة[8]، و كانت لا يبيت بها أحد إلا بمائة درهم، فبات بها أبو حزابة و رهن عندها سرجه، فلما أصبح وقف لعبد الرحمن، فلما أقبل صاح به و قال: /

أمر عضال نابني في العجّ[9] # كأنني مطالب بخرج

و مستراد ذهبت[10]بالسّرج # في فتنة الناس و هذا الهرج

فعرف ابن الأشعث القصّة، و ضحك، و أمر بأن يفتكّ له سرجه، و يعطى معه ألف درهم، و بلغت القصة الحجاج فقال: أ يجاهر في عسكره بالفجور فيضحك، و لا ينكر[11]!ظفرت به إن شاء اللّه.

لا يثيبه على المدح فيهجوه

أخبرني عمّي، قال حدثنا الكرانيّ عن العمريّ، عن العتبي قال: [1]كذا في ف و في س، ب: «عيني» ، العبارة كناية عن الإبصار.

[2]في ب: و لا تستعدوه، و هو تحريف.

[3]ب، س: «القلب» .

[4]الشرب: جماعة الشاربين، اسم جمع شارب كصاحب.

[5]لعل من الصواب حذف الواو لتكون «كان» جواب لما.

[6]دستبي: كورة كبيرة تشمل قرى كانت مقسومة بين الري و همذان.

[7]مستراد: موضع كمراد، الأول من استراد و الثاني من أراد، و يبدو؛ أنه كان مثابة للهو و العبث كما يبدو من كلام الحجاج.

[8]الصناجة: اللاعبون بالأوتار أو المغنون.

[9]العج: الصياح و الضوضاء.

[10]في هد؛ ف: «رهنت» بدل «ذهبت» .

[11]في هد: «و لا يبكي» بدل «و لا ينكر» .

450

مدح أبو حزابة عبد اللّه بن علي العيشميّ و هو على سجستان فلم يثبه فقال يهجوه: هبّت تعاتبني أما # مة في السماحة و الفضال

و أبيت عند عتابها # إلا خلائق ذي النّوال

أعطي أخي و أحوطه # جهدي و أبذل جلّ مالي

و أقيه عند تشاجر الأبطا # ل بالأسل[1]النّهال[2]

حفظا له و رعاية # للخاليات من الليالي

إذ نحن نشرب قهوة # درياقة[3]كدم الغزال

حمراء يذهب ريحها # ما في الرءوس[4]من الخبال

و إذا تشعشع[5]في الإنا # ء رمت أخاها باغتيال

و علا الحباب فخلته # عقدا ينظّم من لآلي

تشفي السقيم بريحها # و تميته قبل الإجال[6]

تلك التي تركت فؤا # د أبي حزابة في ضلال

لا يستفيق و لا يفيـ # ق نزيفها في كلّ حال

و إذا الكماة[7]تنازلوا # و مشى الرجال إلى الرجال

/و بدت كتائب تمتري[8] # مهج الكتائب بالعوالي

فأبو حزابة عند ذا # ك أخو الكريهة و النّزال

يمشي الهويني معلما[9] # بالسيف مشيا غير آل

كالليث يترك قرنه # متجدّلا بين الرّمال[10]

إني نذير بني تميـ # م من أخي قيل و قال

من لا يجود و لا يسو # د و لا يجير من الهزال

[1]الأسل: الرماح.

[2]النهال: العطاش جمع ناهل.

[3]درياقة: شفاء.

[4]في ف، هد: «النفوس» .

[5]تشعشع: تمزج و تخلط.

[6]الإجال: جمع أجل حذفت منه الهمزة المسهلة للوزن.

[7]جمع كي على غير قياس، و هو المدجج بالسلاح.

[8]تمتري: تستخرج.

[9]جاعلا لنفسه علامة ليتحدى الأبطال في النزال؛ و في هد، ف: العرضنة، بدل الهوينى.

[10]كذا في ف و في س، ب: «المجال» .

و تراه حين يجيئه السؤا # ل يولع بالسّعال

متشاغلا متنحنحا # كالكلب جمجم[1]للعظال[2]

فارفض قريشا كلّها # من أجل ذي الداء العضال

-يعني عبد اللّه بن علي العبشميّ.

يشيد بشجاعة التميميين

:

أخبرني الحسن بن عليّ قال: حدثنا هارون بن محمد بن عبد الملك قال: حدثني محمد بن الهيثم الشاميّ قال: حدثني عمي أبو فراس، عن العذريّ قال: دخل أبو حزابة على عمارة بن تميم و محمد بن الحجاج، و قد قدما سجستان لحرب عبد/الرحمن بن محمد ابن الأشعث، و كان عبد الرحمن لما قدماها هرب، و لم يبق بسجستان/من[3]أصحابه إلا سبعمائة رجل من بني تميم كانوا مقيمين بها، فقال لهما أبو حزابة: إنّ الرجل قد هرب منكما، و لم يبق من أصحابه أحد، و إنما بسجستان من[3]كان بها من بني تميم قبل قدومه فقالا له: ما لهم عندنا أمان، لأنهم قد كانوا مع ابن الأشعث، و خلعوا الطاعة، فقال: ما خلعوها، و لكنه ورد عليهم في جمع عظيم لم يكن لهم بدفعه طاقة. فلم يجيباه إلى ما أراد، و عاد إلى قومه، و حاصرهم أهل الشام، فاستقتلت[4]بنو تميم، فكانوا يخرجوا في كل يوم إليهم، فيواقعونهم، و يكبسهونهم[5]بالليل، و ينهبون أطرافهم، حتى ضجروا بذلك، فلما رأى عمارة فعلهم صالحهم، و خرجوا إليه، فلما رأى قلّتهم قال: أ ما كنتم إلا ما أرى!قالوا: نعم[6]، فإن شئت أن نقيلك الصلح أقلناك، و عدنا للحرب، فقال: أنا غنيّ عن ذلك، و آمنهم، فقال أبو حزابة في ذلك: للّه عينا من رأى من فوارس # أكرّ على المكروه منهم و أصبرا

و أكرم لو لاقوا سوادا مقاربا # و لكن لقوا طمّا[7]من البحر أخضرا

فما برحوا حتى أعضّوا سيوفهم # ذرى الهام منهم و الحديد المسمّرا

و حتى حسبناهم فوارس كهمس[8] # حيوا بعد ما ماتوا من الدّهر أعصرا

صوت

إذا اللّه لم يسق إلا الكرام # فسقّى وجوه بني حنبل

[1]في س، ب: جمع، و معنى جمجم أخفى صوته.

[2]العظال: الملازمة في السفاد للكلاب و نحوها.

(3-3) تكملة من ف، هد، هج.

[4]في س، ب: فاستقلت، و هو تحريف.

[5]في س، ب: «يبيتونهم» .

[6]في س، ب: «لا» .

[7]طما: غمرا.

[8]كهمس أبو حي من ربيعة، أو لعل المقصود به كهمس الصريمي، و هو خارجي حارب في أربعين رجلا أسلم بن زرعة الكلابي في ألفي رجل، فثبت لهم.

452

و سقّى ديارهم باكرا # من الغيث في الزمن الممحل

تكفكفه بالعشيّ الجنوب # و تفرغه هزة الشّمأل

كأنّ الرّباب[1]دوين السحاب # نعام تعلّق بالأرجل

الشعر لزهير السكب التميمي المازني، و الغناء لإبراهيم خفيف رمل بالبنصر عن الهشامي و حبش.

[1]الرباب: السحاب الأبيض.

29-نسب زهير السكب و أخباره

اسمه و نسبه

هو زهير بن عروة بن جلهمة بن حجر بن خزاعيّ[1]. شاعر جاهليّ. و إنما لقب السّكب ببيت قاله و قال فيه: يرق يضيء خلال البيت أسكوب[2]

يتشوق إلى أبناء عمومته

أخبرني يحيى بن عليّ بن يحيى إجازة قال: حدثنا أبو هفّان عن سعيد بن هريم[3]عن أبيه قال: كان زهير بن عروة المازنيّ الملقب بالسّكب جاهليّا، و كان من أشراف بني مازن و أشدّائهم و فرسانهم و شعرائهم، فغاضب قومه في شيء ذمه منهم، و فارقهم إلى غيرهم من بني تميم، فلحقه فيهم ضيم، و أراد الرجوع إلى عشيرته، فأبت نفسه ذلك عليه، فقال يتشوق ناسا منهم كانوا بني عمه دنية[9]يقال لهم بنو حنبل: إذا للّه لم يسق إلا الكرام # فسقّى وجوه بني حنبل

ملثّا[4]أحمّ دوابي[5]السّحاب # هزيم الصلاصل و الأزمل[6]

/تكركره[7]خضخضات[8]الجنوب # و تفرغه[9]هزة الشّمأل

كأن الرباب دوين السحاب # نعام تعلّق بالأرجل

فنعم بنو العم و الأقربون # لدى حطمة[10]الزمن الممحل

و نعم المواسون في النائبا # ت للجار و المعتفى[11]المرمل[12]

[1]كذا في م و في س، ب: «خزاعة» .

[2]أسكوب المطر و يصبه.

[3]في س، ب: «هزيم» .

[4]دنيه أقربيه و يقال فيهم: دنية و دنيا و دنيا.

[5]ملثا: دائم المطر لا ينقطع.

[6]أحم: أسود و يجمع على حم، و في «الكامل» دوالي جمع دالية: ما تدلى من السحاب.

[7]تكركره: تجمعه بعد تفرقه.

[8]جمع خضخضة: هي تحريك الماء و السويق و نحوهما. و ريح الجنوب عند العرب ممطرة مخصبة بخلاف ريح الشمال.

[9]كذا في ف و في س و ب: «تقرعه» و لا معنى لها.

[10]حطمة: بضم الحاء و فتحها معناها الشدة.

[11]المعتفى: السائل.

[12]المرمل: الذي نفذ زاده.

و نعم الحماة الكفاة العظيم # إذا غائظ[1]الأمر لم يحلل

ميامين صبر لدى المعضلات # على موجع الحدث المعضل

مباذيل عفوا[2]جزيل العطاء # إذا فضلة الزاد لم تبذل

هم سبقوا يوم جرى الكرام # ذوي السبق في الزمن الأوّل

و ساموا إلى المجد أهل الفعال # فطالوا بفعلم الأطول

أبو عمرو بن العلاء يستشهد بشعره

أخبرنا هاشم بن محمد الخزاعيّ: قال: حدثنا عبد الرحمن ابن أخي الأصمعي، عن عمه قال: سأل رجل أبا عمرو بن العلاء عن الرّباب فقال: أ ما تراه معلقا بالسحاب كالذيل له، أ ما سمعت قول صاحبنا السّكب: /

كأن الرّباب دوين السحاب # نعام تعلّق بالأرجل

صوت

سلا عن تذكّره تكتما # و كان رهينا بها مغرما

و أقصر عنها و آثارها[3] # تذكّره داءها الأقدما

الشعر للنّمر بن تولب، و الغناء لخزرج خفيف ثقيل أول بالوسطى عن الهشاميّ.

[1]غائظ الأمر: الأمر المجهد الشاق، و في «رغبة الأمل» : «عاقد» ، و في س، ب: «غائط» ، و هو تحريف.

[2]عفوا: فضلا و زائدا.

[3]في «منتهى الطلب» : «و آياتها» .

30-أخبار النمر بن تولب و نسبه

اسمه و نسبه

هو النّمر بن تولب بن أقيش[1]بن عبد كعب بن عوف بن الحارث بن عوف بن وائل بن قيس بن عكل-و اسم عكل عوف بن عبد مناف[2]-بن أدّ بن طابخة بن إلياس بن مضر بن نزار.

شاعر مقلّ مخضرم أدرك الجاهلية، و أسلم، فحسن إسلامه، و وفد إلى النبي صلى اللّه عليه و سلم، و كتب له كتابا، فكان في أيدي أهله، و روى عنه صلى اللّه عليه و سلم حديثا سأذكره في موضعه، و كان النمر[3]أحد أجواد العرب المذكورين و فرسانهم.

أبو عمرو بن العلاء يسميه الكيس

حدثنا محمد بن العباس اليزيديّ قال: أخبرنا محمد بن حبيب قال: قال الأصمعيّ:

كان أبو عمرو بن العلاء يسمّي النمر بن تولب الكيّس لجودة شعره و حسنه.

أخبرنا محمد بن خلف بن المرزبان قال: حدثنا عبد اللّه بن محمد قال: أخبرنا محمد بن سلام الجمحيّ، و أخبرنا أبو خليفة في كتابه إليّ، عن محمد بن سلاّم قال:

كان النمر بن تولب جوادا لا يليق[4]شيئا، و كان شاعرا فصيحا جريئا على المنطق، و كان أبو عمرو بن العلاء يسميه الكيّس لحسن شعره.

أخبرني هاشم بن محمد أبو دلف الخزاعيّ قال: أخبرنا الرياشيّ قال: حدثنا/الأصمعي: قال حدثنا قرّة بن خالد، عن يزيد بن عبد اللّه بن الشّخّير أخي مطرّف، و أخبرني أبو خليفة في كتابه إليّ قال: حدثنا محمد بن سلاّم قال:

وفد النّمر بن تولب على النبي صلّى اللّه عليه و سلم و كتب له كتابا، أخبرناه قرة بن خالد السّدوسي و سعيد بن إياس الجريريّ، عن أبي العلاء يزيد/بن عبد اللّه بن الشّخّير أخي مطرّف.

يحظى بكتاب نبوي

و أخبرني عمي عن القاسم عن محمد الأنباري عن أحمد بن عبيد، عن الأصمعي، عن قرة بن خالد، عن يزيد ابن عبد اللّه أخي مطرف-و اللفظ قريب بعضه من بعض-قال:

[1]في م: «أقيشر» .

[2]في هد، هج: «عبد مناة» بدل «عبد مناف» .

[3]في س، ب: «النمير» و هو تحريف.

[4]لا يليق: لا يبقي شيئا لجوده و سخائه، فهو شبيه بحاتم في جوده و شعره.

بينما نحن بهذا المربد جلوس-يعني مربد البصرة-إذ أتى علينا أعرابيّ أشعث الرأس، فوقف علينا، فقلنا: و اللّه لكأنّ هذا الرجل ليس من أهل هذا البلد، قال: أجل، و إذا معه قطعة من جراب أو أديم، فقال: هذا كتاب كتبه لي رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم، فقرأناه فإذا فيه مكتوب: بسم اللّه الرحمن الرحيم، هذا كتاب من محمد رسول اللّه لبني زهير-هكذا قال أحمد بن عبيد، و قال الباقون: لبني زهير بن أقيش-حيّ من عكل-إنكم إن شهدتم أن لا إله إلا اللّه و أنّي رسول اللّه، و أقمتم الصلاة، و آتيتم الزكاة، و فارقتم المشركين، و أعطيتم الخمس من الغنائم و سهم النبي و الصّفيّ[1]فأنتم آمنون بأمان اللّه و أمان رسوله.

يشكون في روايته، فيغضب

و قال أحمد بن عبيد اللّه في خبره خاصة: «لكم ما للمسلمين و عليكم ما عليهم» . و قالوا جميعا في الخبر: فقال له القوم: حدّثنا رحمك اللّه، ما سمعت من رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم، فقال: سمعت رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم يقول: «صوم شهر الصّبر، و صوم/ثلاثة أيام من كل شهر يذهبن كثيرا من وحر[2]الصدر» . فقال له القوم: أ أنت سمعت هذا من رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم؟فقال: أراكم تخافون أن أكذب على رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم، لا حدثتكم حديثا، ثم أهوى إلى الصحيفة، و انصاع[3]مدبرا. قال يزيد بن عبد اللّه: فقيل لي بعد ما مضى: هذا النمر بن تولب العكليّ الشاعر.

مثل من كرمه

أخبرني محمد بن خلف قال: أخبرنا محمد بن سلام، قال: خرج النمر بن تولب بعد ما كبر في إبله، فسأله سائل، فأعطاه فحل إبله، فلما رجعت الإبل إذا فحلها ليس فيها، فهتفت به امرأته، و عذلته، و قالت: فهلاّ غير فحل إبلك؟فقال لها: دعيني و أمري سأكفيكه # و كوني قعيدة بيت ضباعا[4]

فإنك لن ترشدي غاويا # و لن تدركي لك حظّا مضاعا

و قال أيضا في عزلها إياه:

بكرت باللّوم تلحانا # في بعير ضلّ أو حانا

علقت لوّا تكرّرها # إنّ لوّا ذاك أعيانا

قال: و أدرك الإسلام فأسلم.

تخدعه زوجه

أخبرني الحسن بن عليّ؛ قال: حدثنا أحمد بن زهير، قال: حدثنا محمد بن/سلام قال: كان للنّمر بن تولب أخ يقال له الحارث بن تولب، و كان سيدا معظما، فأغار الحارث على بني أسد فسبى [1]الصفى: ما اختاره الرئيس لنفسه من الغنيمة قبل القسمة و جمعه صفايا.

[2]وحر: حقد و غيظ.

[3]انصاع: انفتل راجعا.

[4]و نرجح أنها مرخم «ضباعة» ، و هو اسم زوجته.

امرأة منهم، يقال لها جمرة بنت نوفل، فوهبها لأخيه النمر بن تولب ففركته[1]، فحبسها، حتى استقرّت، و ولدت له أولادا، ثم قالت له في بعض أيّامها: أزرني أهلي فإني قد اشتقت إليهم، فقال لها: إني أخاف إن صرت إلى أهلك أن تغلبيني على نفسك، فواثقته لترجعنّ إليه. فخرج بها في الشهر الحرام، حتى أقدمها بلاد بني أسد، فلما أطلّ على الحيّ تركته واقفا، و انصرفت إلى منزل بعلها الأول، فمكثت طويلا، فلم ترجع إليه، /فعرف ما صنعت و أنها اختدعته فانصرف و قال: جزى اللّه عنا جمرة ابنة نوفل # جزاء مغلّ[2]بالأمانة كاذب

لهان عليها أمس موقف راكب # إلى جانب السّرحات أخيب خائب

و قد سألت عني الوشاة ليكذبوا # عليّ و قد أبليتها[3]في النوائب

و صدّت كأنّ الشمس تحت قناعها # بدا حاجب منها و ضنّت بحاجب

و قال فيها أيضا:

كل خليل عليها الرعا # ث[4]و الحبلات كذوب ملق

-الحبلات: واحدتها حبلة، و هي جنس من الحلى قدر ثمر الطّلح-.

و قامت إليّ فأحلفتها # بهدي قلائده تختفق[5]

بأن لا أخونك فيما علمت # فإن الخيانة شرّ الخلق[6]

/و قال فيها أشعارا كثيرة يطول ذكرها.

يشبه حاتما في شعره

أخبرني اليزيديّ، عن محمد بن حبيب قال:

كان أبو عمرو يشبّه شعر النمر بشعر حاتم الطائيّ.

أفتى الشعراء

أخبرني الحسين بن عليّ قال: حدثنا أحمد بن زهير، قال: حدثنا مصعب بن عبد اللّه الزبيري قال: بلغني أن صالح بن حسان قال يوما لجلسائه: أيّ الشعراء أفتى؟قالوا: عمر بن أبي ربيعة، و قالوا: جميل، و أكثروا القول، فقال: أفتاهم النمر بن تولب حين يقول: أهيم بدعد ما حييت و إن أمت # فوا حزنا من ذا يهيم بها بعدي[7]!

[1]فركته: أبغضته و هو خاص بالزوجين و هي فارك و فروك.

[2]مغل: خائن، و قيل: الغلول خاص بالخيانة في الفيء و الغنيمة.

[3]أبليتها: أحسنت إليها.

[4]الرعثات: مفردها رعثة، و البيت من المتقارب دخله الحزم.

[5]تختفق: تتحرك و تضطرب، و في س، ب: «يحتنق» و لا معنى له.

[6]كذا في هج، و في ب: «شر خلق» .

[7]من العجب أن يعد هذا البيت دليل الفتوة، و تذكر كتب الأدب أن سكينة بنت الحسين انتقدته؛ لأنه يجافي الغيرة، و اقترحت إصلاحه على النحو التالي:

جمرة توصيه بولد منها

أخبرني الحسن قال: حدثنا أحمد بن زهير، عن محمد بن سلام قال: حج النمر بن تولب بعد هرب جمرة منه فنزل بمنى، و نزلت جمرة مع زوجها قريبا منه، فعرفته، فبعثت إليه بالسلام، و سألته عن خبره، و وصّته خيرا بولده منها فقال: فحيّيت عن شحط بخير حديثنا # و لا يأمن الأيام إلا المضلّل

يودّ الفتى طول السلامة و الغنى[1] # فكيف يرى طول السّلامة يفعل!

شعره بين يدي الرسول

أخبرني ابن المرزبان قال: حدثنا أبو محمد اليزيديّ، عن الاصمعيّ. و أخبرنا اليزيديّ عن ابن حبيب عن الأصمعيّ قال: لما وفد النمر بن تولب على النبي صلّى اللّه عليه و سلم أنشده: /

يا قوم إني رجل عندي خبر # للّه من آياته هذا القمر

و الشمس و الشعرى[2]و آيات أخر # من يتسام بالهدى فالخبث شرّ

إنا أتيناك و قد طال السفر # نقود خيلا رجعا[3]فيها ضرر

نطعمها اللحم إذا عزّ الشّجر

قال اليزيديّ، عن ابن حبيب خاصة، قال الأصمعيّ: أطعمها اللحم: أسقيها اللبن، و العرب تقول: اللبن أحد اللحمين. و قال ابن حبيب: قال ابن الأعرابي: كانت العرب إذا لم تجد العلف دقت اللحم اليابس، فأطعمته الخيل:

يسلو بدعد عن جمرة

أخبرني عمي قال: حدثنا الكرانيّ قال: حدثنا العمريّ، عن الهيثم بن عديّ، عن ابن عياش. و أخبرنا ابن المرزبان قال: أخبرني عيسى بن يونس قال: حدثني محمد بن الفضل قال: حدثنا الهيثم بن عديّ، عن ابن عبّاس / قال: لما فارق النمر بن تولب امرأته الأسدية جزع عليها، حتى خيف على عقله و مكث أياما لا يطعم، و لا ينام، فلما رأت عشيرته منه ذلك، أقبلوا عليه يلومونه، و يعيّرونه، و قالوا: إن في نساء العرب مندوحة و متّسعا، و ذكروا له امرأة من فخذه الأدنين يقال لها دعد، و وصفوها له بالجمال و الصّلاح، فتزوّجها و وقعت من قلبه، و شغلته عن ذكر جمرة و فيها يقول:
أهيم بدعد ما حييت فإن أمت # فلا صلحت دعد لدى خلة بعدي

[1]رواها الكامل: «البقا» مقصورة، و في رغبة الأمل:

.

[2]الشعري: نجم في السماء و هما شعريان: الكبير و الغميصاء، و يعدونهما أختي سهيل.

[3]كليلة: مهزولة جمع رجيع.

أهيم بدعد ما حييت فإن أمت # أوكّل بدعد من يهيم بها بعدي

و الناس يرون هذا البيت لنصيب و هو خطأ.

أخبرني اليزيديّ عن عبد الرحمن ابن أخي الأصمعي، عن عمه. و أخبرني/إبراهيم بن محمد الصائغ، عن ابن قتيبة، عن عبد الرحمن، عن عمه، عن حماد بن ربيعة أنه قال: أظرف الناس النّمر بن تولب حيث يقول:

أهيم بدعد ما حييت فإن أمت # أوكّل بدعد من يهيم بها بعدي

يرثي جمرة

أخبرني ابن المرزبان قال: أخبرني عبد اللّه بن محمد قال: أخبرني محمد بن سلاّم قال: لما بلغ النّمر بن تولب أن امرأته جمرة توفّيت، نعاها له رجل من قومه يقال له حزام أو حرام، فقال: أ لم تر أنّ جمرة جاء منها # بيان الحقّ آن صدق الكلام

نعاها بالنديّ[1]لنا حزام # حديث ما تحدث يا حرام

فلا تبعد و قد بعدت و أجرى[2] # على جدث تضمّنها الغمام

-قال الأصمعي: يقال بعد و أبعد-

يهذي في كبره

أخبرني أبو الحسن الأسديّ قال: حدثنا الرياشيّ، عن الأصمعيّ. عن أبي عمرو و أخبرني به هاشم بن محمد أبو دلف الخزاعيّ قال: حدثنا أبو غسّان دماذ، عن أبي عبيدة، عن أبي عمرو قال: أدرك النّمر بن تولب النبي صلّى اللّه عليه و سلّم، فأسلم و حسن إسلامه، و عمّر، فطال عمره، و كان جوادا واسع القرى كثير الأضياف وهّابا لماله، فلما كبر/خرف و أهتر[3]، فكان هجّبراه[4]: اصبحوا الرّاكب، اغبقوا[5] الرّاكب اقروا، انحروا للضيف، اعطوا السائل، تحملوا لهذا في حمالته كذا و كذا-لعادته بذلك-فلم يزل يهذي بهذا و شبهه مدة خرفه حتى مات.

موازنة بين خرف و خرف

قال: و خرفت امرأة من حيّ كرام عظيم خطرهم و خطرها فيهم، فكان هجّيراها: زوّجوني، قولوا لزوجي يدخل، مهّدوا لي إلى جانب زوجي، فقال عمر بن الخطاب، و قد بلغه خبرها: ما لهج به أخو عكل النمر بن تولب في خرفه أفخر و أسرى، و أجمل مما لهجت به صاحبتكم. ثم ترحّم عليه.

[1]كذا في م، أ، و في س، ب: «النداء» .

[2]كذا بالنسخ، و لعلها محرفة عن أمري من مريت الناقة فأمرت أي: در لبنها.

[3]أهتر: فقد عقله من الكبر.

[4]هجيراء: ديدنه و عادته.

[5]كذا في م، و في س، ب: «أعقبوا الركب» تحريف، و الصبوح: الشرب صباحا، و الغبوق: الشرب مساء.

يرثى أخاه

أخبرني ابن المرزبان قال: حدثني أبو بكر العامريّ، قال: حدثني علي بن المغيرة الأثرم، عن أبي عبيدة قال: مات الحارث بن تولب، فرثاه النمر فقال:

لا زال صوب من ربيع و صيّف[1] # يجود على حسن[2]الغميم[3]فيشرب

فو اللّه ما أسقى البلاد لحبّها # و لكنما أسقيك حار بن تولب

تضمنت أدواء العشيرة بينها # و أنت على أعواد نعش مقلّب

كأن امرأ في الناس كنت ابن أمه # على فلج[4]من بطن دجلة مطنب[5]

يتمثل بأبياته

قال حمّاد الراوية: كان النمر بن تولب كثير البيت السائر و البيت المتمثّل به، فمن ذلك قوله: لا تغضبنّ على امرئ في ماله # و على كرائم صلب مالك فاغضب

/و إذا[6]تصبك خصاصة فارج الغنى # و إلى الذي يعطي الرغائب فارغب

و قوله:

تلبّس لدهرك أثوابه # فلن يبتني النّاس ما هدّما

و أحبب حبيبك حبّا رويدا # فليس يعولك أن تصرما[7]

و أبغض بغيضك بغضا رويدا # إذا أنت حاولت أن تحكما

و قوله:

أعاذل أن يصبح صداي بقفرة # بعيد فأنّى ناصري و قريبي

تري أن ما أبقيت لم أك ربّه # و أن الذي أفنيت كان نصيبي

يعفي صديقه من الدية و يتحملها

نسخت من كتاب بخط السكري أبي سعيد قال: محمد بن حبيب:

كان للنّمر بن تولب صديق فأتاه النمر في ناس من قومه يسألونه في دية احتملوها، فلمّا رآهم، و سألوه تبسّم، فقال النمر: [1]صيف: مطر يجيء في الصيف أو بعد الربيع.

[2]كذا في ف و معناه محبس الماء، و في س، ب: «حبس» .

[3]الغميم: موضع قرب المدينة بين رابع و الجحفة.

[4]فلج: نهر صغير.

[5]بعد في ذهابه: يريد من كنت أخاه، فإنما هو على بحر من البحور من الخصب و السعة (مادة طنب في «اللسان») .

[6]رواية «الشعر و الشعراء» : «و متى» . و إذا صحت رواية إذا فهي شاهد للجزم بإذا.

[7]كذا في «منتهى الطلب» و معناه يشق عليك، و في س، ب: «يهولك» ، و في «شواهد المغني» للسيوطي: فقد لا يعولك.

تبسم ضاحكا لما رآني # و أصحابي لديّ عن التمام[1]

فقال له الرجل: إن لي نفسا تأمرني أن أعطيكم، و نفسا تأمرني ألا أفعل، فقال النمر: /

أما خليلي فإني غير معجله # حتى يؤامر نفسيه كما زعما

نفس له من نفوس الناس صالحة # تعطى الجزيل و نفس ترضع الغنما

ثم قال النّمر لأصحابه: لا تسألوا أحدا، فالدية كلّها عليّ.

قصة سيف كالذي وصف النمر

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ، قال: حدثنا عليّ بن محمد النوفليّ قال: حدثنا أبي قال: حدثنا الحسن بن محمد بن عبد اللّه بن حسن بن عليّ قال: جاء أعرابي إلى أبي، و هو مستتر بسويقة[2]قبل مخرجه، و معه سيف قد علاه الصّدأ، فقال: يا بن رسول اللّه، إني كنت ببطن قديد[3]، أرعى إبلي و فيها فحل قطم[4]، قد كنت ضربته، فحقد عليّ و أنا لا أدري، فخلا بي فشدّ عليّ يريدني، و أنا أحضر، و دنا مني حتى أن لعابه ليسقط على رأسي لقربه مني. فأنا أشتدّ، و أنا أنظر إلى الأرض لعلي أرى شيئا أذبّه عنّي به، إذ وقعت عيني على هذا السيف قد فحص عنه السيل، فظننته عودا باليا، فضربت بيدي إليه، فأخذته فإذا سيف، فذببت به البعير عني ذبّا، و اللّه ما أردت به الذي بلغت منه، فأصبت خيشومه فرميت بفقمه[5]، فعلمت أنه سيف جيد، و ظننته من سيوف القوم الذين كانوا قتلوا في وقعة قديد[6]، و ها هو ذا قد أهديته لك يا بن رسول اللّه قال: فأخذه منه أبي، و سرّ به. و جلس الأعرابيّ يحادثه، فبينا هو كذلك/إذ أقبلت غنم لأبي ثلاثمائة شاة فيها رعاؤها، فقال له: أبى: يا أعرابيّ هذه الغنم و الرّعاة لك مكافأة لك عن هذا السيف، قال: ثم أرسل به إلى المدينة، أو أرسل إلى قين[7]فأتي به من المدينة، فأمر به فحلّي، فخرج أكرم سيوف الناس، فأمر فاتّخذ له جفن، و دفعه إلى أختي فاطمة بنت محمد. فلمّا كان اليوم الذي قتل فيه، قاتل بغير ذلك السيف، قال: و بقي ذلك السيف عند أختي محمد بنت محمد. فزرتها يوما و هي بينبع في جماعة من أهل بيتي، و كانت عند ابن عمها الحسن بن إبراهيم بن عبد اللّه بن الحسن عليهم أجمعين السلام، فخرجت إلينا، و كانت برزة[8]تجلس لأهلها كما يجلس الرجال، و تحدّثهم، فجلست تحدثنا، و أمرت مولى لها، فنحر لنا جزورا[9]ليهيئ لنا طعاما.

فنظرت إليها، و الجزور في النخل باركة، و قد بردت و هي تسلخ، فقالت: إني لا أرى في هذه الجزور، /مضربا حسنا. ثم دعت بالسيف، و قالت: يا حسن-فدتك أختك-هذا سيف أبيك، فخذه و اجمع يديك في قائمه، [1]تكملة من هد. هج.

[2]سويقة: موضع قرب المدينة يسكنه آل علي بن أبي طالب.

[3]قديد: موضع قرب مكة.

[4]القطم: الصئول.

[5]الفقم: اللحى و طرف الخطم.

[6]وقعة لأبي حمزة الخارجي على أهل المدينة.

[7]القين: الحداد و الصيقل.

[8]برزة: متجاهرة جليلة تجلس للقوم يتحدثون إليها و هي عفيفة.

[9]جزور: بعير أو ناقة تجزر، و الجمع جزر و الجزائر.

ثم اضرب به أثناءها[1]من خلفها-تريد عراقيبها-و قد أثبتّها للبروك، و هي أربعة أعظم، قال: فأخذت السيف ثم مضيت نحوها، فضربت عراقيبها فقطعتها-و اللّه-أربعتها، و سبقني السيف، فدخل في الأرض، فأشفقت عليه أن ينكسر إن اجتذبته فحفرت عنه، حتى استخرجته، قال: فذكرت حينئذ قول النمر بن تولب: /

أبقى الحوادث و الأيام من نمر # أسباد[2]سيف كريم أثره بادي

تظلّ تحفر عنه الأرض مندفعا # بعد الذراعين و القيدين و الهادي[3]

و يروى:

تظلّ تحفر عنه إن ظفرت به

يشكو المشيب

أخبرني عليّ بن صالح بن الهيثم قال حدثنا عمر بن شبّة قال: أخبرني أحمد بن معاوية الباهليّ، عن أبي عبيدة قال: قيل للنمر بن تولب كيف أصبحت يا أبا ربيعة؟فأنشأ يقول: أصبحت لا يحمل بعضي بعضا # أشكو العروق الآبضات[4]أبضا

كما تشكّى الأرحبيّ[5]الغرضا # كأنما كان شبابي قرضا

من توسلاته

أخبرني هاشم بن محمد أبو دلف الخزاعيّ قال: حدثنا الرياشيّ عن الأصمعيّ قال: أنشدني حماد بن الأخطل ابن النمر بن تولب لجدّه: أعذني ربّ من حصر و عيّ # و من نفس أعالجها علاجا

و من حاجات نفس فاعصمنّي # فإن لمضمرات النفس حاجا

فأنت وليّها و برئت منها # إليك فما قضيت فلا خلاجا[6]

عود إلى فتوته

ثم قال: كان النمر أفتى خلق اللّه، فقلت: و ما كانت فتوّته؟قال: أ و ليس فتى من يقول: أهيم بدعد ما حييت فإن أمت # فوا حزنا من ذا يهيم بها بعدي؟

[1]أثناءها: جمع ثنى بمعنى مثنى (ثنيات) .

[2]أسباد: مفرده ككتف، و معناها بقية.

[3]الهادي: العنق و جمعه هواد.

[4]الآبضات: الشادات.

[5]الأرحبي: كريم الفحول المنسوبة إلى قبيلة أرحب، و أرحب أيضا مخلاف باليمن منسوب إلى أرحب، و هو مرة بن دعام بن مالك، و الغرض: حزام الرحل جمعه غروض و أغراض، و في س، ب: «الأرجي القرضا» تخريف.

[6]خلاجا: نزاعا و شكا.

صوت

أيا صاحبي رحلي دنا الموت فانزلا # برابية إني مقيم لياليا

و خطّا الأسنّة مضجعي # و ردّا على عينيّ فضل ردائيا

و لا تحسداني بارك اللّه فيكما # من الأرض ذات العرض أن توسعاليا

لعمري لئن غالت خراسان هامتي[1] # لقد كنت عن بابي خراسان نائيا

فيا ليت شعري هل أبيتنّ ليلة # بجنب الغضا أزجي القلاص النواجيا[2]

الشعر لمالك بن الريب، و الغناء لمعبد مما لا يشكّ فيه من غنائه، خفيف ثقيل أول بالوسطى في مجراها عن إسحاق و يونس و عمرو و دنانير، و فيه خفيف ثقيل آخر لابن عائشة من رواية عليّ بن يحيى، و فيه لابن سريج هزج بالخنصر في مجرى البنصر عن ابن المكيّ، و فيه لإبراهيم رمل بالوسطى عن عبد اللّه بن موسى في الأول و الثالث من الأبيات، و لإبراهيم ثقيل أول في الخامس ثم الرابع عن الهشاميّ، و قيل: إن الرّمل المنسوب إليه لنبيه.

[1]هامتي: رأسي، جمعه هام.

[2]النواجي: جمع ناجية بمعنى سريعة، و يقال أيضا: ناقة نجيبة.

31-أخبار مالك بن الريب و نسبه

اسمه و نسبه

هو مالك بن الريب بن حوط بن قرط[1]بن حسل بن ربيعة بن كابية بن حرقوص بن مازن بن مالك بن عمرو ابن تميم.

لص قاطع طريق

و كان شاعرا فاتكا لصّا، و منشؤه في بادية بني تميم بالبصرة من شعراء الإسلام في أول أيام بني أمية.

الوالي يريد استصلاحه

أخبرني بخبره عليّ بن سليمان الأخفش قال: أخبرنا أبو سعيد السكّريّ عن محمد بن حبيب عن ابن الأعرابي و عن هشام بن الكلبي و عن الفضل بن محمد و إسحاق بن الجصّاص و حمّاد الراوية و كلّهم قد حكى من خبره نحوا مما حكاه الآخرون قالوا: استعمل معاوية بن أبي سفيان سعيد بن عثمان بن عفان على خراسان، فمضى[2]سعيد بجنده في طريق فارس، فلقيه بها مالك بن الريب المازني، و كان من أجمل الناس وجها، و أحسنهم ثيابا فلما رآه سعيد أعجبه، و قال له: مالك، ويحك تفسد نفسك بقطع الطريق!و ما يدعوك إلى ما يبلغني عنك من العبث و الفساد، و فيك هذا الفضل!قال: يدعوني إليه العجز عن المعالي، و مساواة ذوي المروءات و مكافأة الإخوان، قال: فإن أنا أغنيتك، و استصحبتك، أ تكفّ عما كنت تفعل؟ قال: إي و اللّه أيها الأمير، أكفّ كفّا لم يكفّ أحد أحسن منه، قال: فاستصحبه، و أجرى له خمسمائة درهم في كل شهر.

داود بن الحكم يتعقبه هو و أصحابه

قالوا:

و كان السبب الذي من أجله وقع مالك بن الريب إلى ناحية فارس أنه كان/يقطع الطريق هو و أصحاب له، منهم شظاظ-و هو مولى لبني تميم، و كان أخبثهم-و أبو حردبة، أحد بني أثالة بن مازن، و غويث، أحد بني كعب ابن مالك بن حنظلة، و فيهم يقول الراجز: اللّه نجاك من القصيم[3] # و بطن فلج و بني تميم

[1]في س، ب: «فرط» بالفاء تحريف.

[2]في هد، هج: «فمر» بدل «فمضى» .

[3]القصيم: موضع يشقه طريق بطن فلج.

و من بني حردبة الأثيم # و مالك و سيفه المسموم

و من شظاظ الأحمر الزّنيم[1] # و من غويث فاتح العكوم[2]

فساموا[3]الناس شرّا، و طلبهم مروان بن الحكم، و هو عامل على المدينة، فهربوا فكتب إلى الحارث بن حاطب الجمحيّ، و هو عامله على بني عمرو بن حنظلة يطلبهم، فهربوا منه.

يتوعد من يتوعده

و بلغ مالك بن الريب أن الحارث بن حاطب يتوعده فقال: تألّى حلفة في غير جرم # أميري حارث شبه الصّرار[4]

عليّ لأجلدن في غير جرم # و لا أدني فينفعني اعتذاري

و قلت و قد ضممت إليّ جأشي # تحلّل لا تألّ عليّ جاري

فإني سوف يكفينيك عزمي # و نصّ[5]العيس بالبلد القفار

/و عنس[6]ذات معجمة[7]أمون[8] # علنداة[9]موثّقة الفقار

تزيف[10]إذا تواهقت[11]المطا # يا كما زاف المشرّف للخطار[12]

و إن ضربت بلحييها و عامت # تفصّم[13]عنهما حلق السّفار[14]

مراحا غير ما ضغن و لكن # لجاجا حين تشتبه الصحاري

إذا ما استقبلت جونا بهيما # تفرّج عن مخيّسة[15]حضار[16]

[1]الزنيم: الملحق بقوم ليس منهم و لا يحتاجون إليه.

[2]العكوم: جمع عكم و هو الحمل (الربطة) .

[3]في هد، هج: «فأشعروا الناس» بدل «فساموا الناس» .

[4]الصرار: ما يشد فوق خلف الناقة من خيط.

[5]نص العيس: إجهادي النوق على السير الشديد.

[6]عنس: ناقة صلبة قوية.

[7]ذات معجمة: ذات قوة و سمن و بقاء على السير.

[8]أمون: موثقة الخلق مأمونة الكلال.

[9]علنداة: ضخمة شديدة طويلة.

[10]تزيف: تسرع في تمايل.

[11]تواهقت: تبارت و تنافست.

[12]المعين للسباق؛ و في هد هج: «المسدد» بدل «المشرف» .

[13]تفصم: تكسر من غير انفصال.

[14]السفار: حديدة أو جلدة توضع على أنف البعير كالحكمة للفرس.

[15]مخيسة: مذللة منقادة.

[16]حضار: جمعت قوة و جودة سير.

إذا ما حال روض رباب[1]دوني # و تثليث[2]فشأنك بالبكاري

و أنياب سيخلفهنّ سيفي # و شدّات الكميّ على التّجار[3]

فإن أسطع أرح منه أناسي # بضربة فانك غير اعتذار

و إن يفلت فإني سوف أبغي # بنيه بالمدينة أو صرار[4]

/إلا من مبلغ مروان عني # فإني ليس دهري بالفرار

و لا جزع من الحدثان يوما # و لكني أرود لكم وبار

-وبار: أرض لم يطأ أحد ثراها-

بهزمار[5]تراد العيس فيها # إذا أشفقن من قلق الصّفار[6]

و هنّ يحشن[7]بالأعناق حوشا # كأن عظامهنّ قداح بار

كأنّ الرحل أسأر من قراها[8] # هلال عشية بعد السّرار[9]

رأيت و قد أتى بحران دوني[10] # لليلى بالغميم ضوء نار[11]

إذا ما قلت: قد خمدت زهاها # عصيّ الرند[12]و العصف السواري[13]

يشبّ وقودها و يلوح وهيا # كما لاح الشّبوب[14]من الصّوار[15]

كأن النّار إذ شبت لليلى # أضاءت جيد مغزلة[16]نوار[17]

[1]رباب: أرض بين ديار بني عامر و بلحارث بن كعب.

[2]تثليث: موضع بالحجاز قرب مكة.

[3]كذا في م، ا، ب، و أنياب: جمع ناب، و هي الناقة المسنة، و تجمع أيضا على نيب و في «الشعر و الشعراء» : و «كرات الكميت» بدل و «شدات الكمى» .

[4]صرار: ماء قرب المدينة على سمت العراق.

[5]ليس فيما بين أيدينا من «المعاجم» اسم بلفظ هزمار أو و لعلها محرفة عن هرماس و هو موضع بالمعرة أو نهر نصيبين.

[6]في جميع النسخ بالفاء، و هي حبة تلتصق بالضلوع فتعضها عند الجوع في زعم العرب و لعلها الصغار.

[7]يحشن: يرمين.

[8]أسأر: أبقى. و الفرا: الظهر.

[9]السرار: آخر الشهر و في الكلام كناية عن التقوس و النحافة.

[10]في س و ب: «نجدا و دوني» ، و هو تحريف.

[11]كذا في «معجم البلدان» بالغين و التصغير و هو ماء لبني سعد و في س، ب: العميم.

[12]الرند: شجر طيب الرائحة يستعمل في البخور.

[13]العصف: جمع عصوف و هي الريح الشديدة و في ب: «للعطف» و هو تحريف.

[14]الشبوب: الشاب من البقر.

[15]الصوار، كغراب و كلب: القطيع من البقر.

[16]مغزلة: ذات غزال.

[17]نوار: نفور.

و تصطاد القلوب على مطاها[1] # بلا جعد القرون و لا قصار[2]

و تبسم عن[3]نقيّ اللون عذب # كما شيف[4]الأقاحي بالقطار

أ تجزع أن عرفت ببطن قوّ[5] # و صحراء الأديهم رسم دار

و إن حلّ الخليط و لست فيهم # مرابع[6]بين دحل إلى سرار[7]

إذا حلّوا بعائجة خلاء # يقطّف نور حنوتها العذاري[8]

يقتل حارسه و يخلص صديقه

فبعث إليه الحارث رجلا من الأنصار فأخذه، و أخذ أبا حردبة، فبعث بأبي حردبة و تخلّف الأنصاري مع القوم الذين كان مالك فيهم، و أمر غلاما له، فجعل يسوق مالكا. فتغفّل مالك غلام الأنصاري، و عليه السيف، فانتزعه منه، و قتله به، و شدّ على الأنصاريّ، فضربه بالسيف حتّى قتله، و جعل يقتل من كان معه يمينا و شمالا.

ثم لحق بأبي حردبة، فتخلّصه[9]، و ركبا إبل الأنصاري، و خرجا فرارا من ذلك هاربين، حتى أتيا البحرين، و اجتمع إليهما أصحابهما، ثم قطعوا إلى فارس فرارا من ذلك الحدث الذي أحدثه مالك، فلم يزل بفارس، حتى قدم عليه سعيد بن عثمان، فاستصحبه.

شعره في مهربه

فقال مالك في مهربه[10]ذلك:

أ حقّا على السلطان أمّا الذي له # فيعطى و أما ما يراد فيمنع

إذا ما جعلت الرمل بيني و بينه # و أعرض سهب بين يبرين بلقع[11]

من الأدمى[12]لا يستجمّ بها القطا # تكلّ الرياح دونه فتقطّع

فشأنكم يا آل مروان فاطلبوا # سقاطي[13]فما فيه لباغيه مطمع

[1]كذا في النسخ و لعلها محرفة عن صفاها بمعنى قسوتها.

[2]القرون الجعدة: القصيرة، و القرون: الضفائر، قصار: اسم من قصر، يريد بشعر: لا متجعد و لا مكفوف.

[3]في ب، س: على، و هو تحريف ينكسر به الوزن.

[4]شيف؛ جلى، و منه درهم مشوف مجلو.

[5]بطن قو: واد بين البصرة و المدنية و في س، ب: قر.

[6]مرابع: موضع قريب من حزن بني يربوع.

[7]سرار: واد.

[8]الحنوة: نبت طيب الريح.

[9]في س: فخلصه.

[10]س: «مالك بن مهروبه» . تحريف.

[11]يبرين: قرية كثيرة النخل و العيون بحذاء الأحساء.

[12]الأدمى: موضع ببلاد سعد.

[13]سقاطي: عثاري و سقوطي.

و ما أنا كالغير المقيم لأهله # على القيد في بحبوحة الضّيم يرتع

/و لو لا رسول اللّه أن كان منكم # تبيّن من بالنّصف يرضى و يقنع

و قال أيضا:

لو كنتم تنكرون العذر[1]قلت لكم # يا آل مروان جاري منكم الحكم

و أتّقكم يمين اللّه ضاحية # عند الشهود و قد توفي به الذمم

لا كنت أحدث سوءا في إمارتكم # و لا الذي فات مني قبل ينتقم

نحن الذين إذا خفتم مجلّلة[2] # قلتم لنا: إنّنا منكم لتعتصموا

حتى إذا انفرجت عنكم دجنّتها # صرتم كجرم فلا إلّ[3]و لا رحم

/و قال مالك حين قتل غلام الأنصاريّ الذي كان يقوده: غلام يقول السيف يثقل عاتقي # إذا قادني وسط الرجال المجحدل[4]

فلو لا ذباب السيف ظلّ يقودني # بنسعته[5]ششن[6]البنان حزنبل[7]

أراد اغتيال مالك فاغتاله مالك و قال في ذلك شعرا

قالوا: و بينا مالك بن الريب ذات ليلة في بعض هناته و هو نائم-و كان لا ينام إلا متوشّحا بالسيف-إذ هو بشيء قد جثم عليه لا يدري ما هو، فانتفض به مالك، فسقط عنه، ثم انتحى له بالسيف فقدّه نصفين، ثم نظر إليه فإذا هو رجل أسود كان يقطع الطريق في تلك الناحية، فقال مالك في ذلك: أدلجت في مهمة ما إن أرى أحدا # حتى إذا حان تعريس لمن نزلا

وضعت جنبي و قلت: اللّه يكلؤني # مهما تنم عنك من عين[8]فما غفلا

و السيف بيني و بين الثوب مشعره[9] # أخشى الحوادث إني لم أكن وكلا

ما نمت إلا قليلا نمته شئزا[10] # حتى وجدت على جثماني الثّقلا

داهية من دواهي الليل بيّتني # مجاهدا[11]يبتغي نفسي و ما ختلا

[1]في س، ب: «الغدر» .

[2]مجللة: نازلة عامة.

[3]إل: ذمة و عهد.

[4]حجدل فلانا: صرعه.

[5]النسعة: قطعة من سير أو حبل من أدم تشد به الرحال.

[6]ششن: غليظ.

[7]حزنبل: قصير وثيق الخلق.

[8]في هد، هج: «من ليل» .

[9]جاعله شعاري أو متصلا بي، و في هج: «الأرض» بدل «الثوب» .

[10]شئزا: قلقا.

[11]في هد، هج: «مجاهر» 1، و في هج «قفلا» بدل «ختلا» .

أهويت نفحا[1]له و الليل ساتره # إلا توخيته و الجرس فانخزلا[2]

/لما ثنى اللّه عني شرّ عدوته # رقدت لا مثبتا ذعرا و لا بعلا[3]

أما ترى الدار قفرا لا أنيس بها # إلا الوحوش و أمسى أهلها احتملا

بين المنيفة[4]حيث استنّ[5]مدفعها[6] # و بين فردة[7]من وحشيّها قبلا[8]

و قد تقول و ما تخفي لجارتها # إني أرى مالك بن الريب قد نحلا

من يشهد الحرب يصلاها و يسعرها # تراه مما كسته شاحبا وجلا

خذها فإني لضرّاب إذا اختلفت # أيدي الرجال بضرب يختل البطلا[9]

و قال مالك في ذلك أيضا:

يا عاملا[10]تحت الظلام مطيّة # متخايلا لا بل و غير مخاتل[11]

أنيّ أنخت لشابك[12]أنيابه # مستأنس بدجى الظلام منازل

لا يستريع عظيمة يرمى بها # حصبا[13]يحفز[14]عن عظام الكاهل

حربا[15]تنصّبه[16]بنبت هواجر # عاري الأشاجع[17]كالحسام الناصل

/لم يدر ما غرف القصور و فيؤها # طاو بنخل سوداها المتمايل

يقظ[18]الفؤاد إذا القلوب تآنست # جزعا[19]و نبّه كلّ أروع باسل

[1]نفحا: ضربا.

[2]انخزل: انقطع.

[3]بعلا: دهشا فرقا، و في هج «وجلا» .

[4]المنيفة: ماء لتميم على فلج بين نجد و اليمامة.

[5]استن: وضح.

[6]مدفعها: مسيلها و مجراها.

[7]فردة: جبل في ديار طيئ.

[8]قبلا: عيانا.

[9]أي ينزع أعلى البيضة.

[10]في س، ب: «غاسلا» .

[11]صريح لا يخادع و لا يراني.

[12]الأسد المشتبك الأنياب، و هذا كناية عن القوة، و يعني مالكا نفسه.

[13]حصبا: رميا.

[14]يحفز: يدفع من خلف.

[15]حربا: شديد الغضب.

[16]كذا في النسخ، و لعل تنصبه محرفة عن تنضيه بمعنى تستله من أقاصي الأمور العظيمة، أي يطلب منها.

[17]الأشاجع: رءوس الأصابع، جمع أشجع.

[18]في س، ب: «يعظ» .

[19]في س، ب: «جزعا و وثبة» تحريف. ـ

حيث الدّجى متطلّعا لغفوله # كالذئب في غلس الظلام الخاتل

فوجدته ثبت الجنان مشيّعا[1] # ركّاب منسج كلّ أمر هائل

فقراك أبيض كالعقيقة[2]صارما # ذا رونق يعني[3]الضريبة فاصل

فركبت ردعك[4]بين ثني فائز[5] # يعلو به أثر الدماء و شائل

رجل حرب لا سائس إبل

قال: و انطلق مالك بن الريب مع سعيد بن عثمان إلى خراسان، حتى إذا كانوا في بعض مسيرهم احتاجوا إلى لبن، فطلبوا صاحب إبلهم، فلم يجدوه، فقال مالك لغلام من غلمان سعيد: أدن مني فلانة-لناقة كانت لسعيد عزيزة-فأدناها منه، فمسحها و أبسّ[6]بها حتى درّت، ثم حلبها، فإذا أحسن حلب حلبه الناس و أغزره درّة، فانطلق الغلام إلى سعيد، فأخبره، فقال سعيد لمالك: هل لك أن تقوم بأمر إبلي، فتكون فيها، و أجزل لك الرزق إلى ما أرزقك، و أضع عنك الغزو؟فقال مالك في ذلك: أني لأستحيي الفوارس أن أرى # بأرض العدا بوّ المخاض الروائم[7]

/و إني لأستحيي إذا الحرب شمّرت # أن ارخي[8]دون الحرب ثوب المسالم

و ما أنا بالنائي الحفيظة في الوغى # و لا المتقى[9]في السلم جرّ الجرائم

و لا المتأني في العواقب للذي # أهمّ به من فاتكات العزائم

و لكنني مستوحد العزم مقدم # على غمرات الحادث المتفاقم[10]

قليل اختلاف الرأي في الحرب باسل # جميع الفؤاد عند حلّ العظائم

فلما سمع ذلك منه سعيد بن عثمان، علم أنه ليس بصاحب إبل، و أنه صاحب حرب، فانطلق به معه.

مالك و الذئب

قالوا: و بينما مالك بن الريب ليلة نائم في بعض مفازاته إذ بيّته ذئب، فزجره فلم يزدجر، فأعاد، فلم يبرح، فوثب إليه بالسيف، فضربه، فقتله، و قال مالك في ذلك: [1]مشيعا: شجاعا.

[2]العقيقة: البرقة المستطيلة في عرض السحاب يكثر استعارتها للسيف.

[3]يعني: يقصد و يصيب و في «مهذب الأغاني» : «يغشي» .

[4]الردع في الأصل: الزعفران، و يقال للقتيل: ركب ردعه إذا خر لوجهه على دمه.

[5]المراد به السيف و ثنيه انثناءه و ربما كان المراد بين دم «فائر» و آخر سائل، و يكون قوله «فائز» تصحيف فائر بدليل قوله يعلو به أثر الدماء، فهذا لا يكون إلا في الفوارن.

[6]أبس: مسح ضرعها.

[7]الروائم: جمع رائم أو رائمة: عطوف على ولدها.

[8]في س، ب «أرفض» و هو تحريف.

[9]في س، ب: «الملقى» .

[10]في هج: «على الحادث المستعظم المتفاهم» .

أ ذئب الغضا قد صرت للناس ضحكة # تغادى بك الركبان شرقا إلى غرب

فأنت و إن كنت الجرىء جنانه # منيت بضرغام من الأسد الغلب

بمن لا ينام الليل إلا و سيفه # رهينة أقوام سراع إلى الشّغب

أ لم ترني يا ذئب إذا جئت طارقا # تخاتلني أني أمرؤ وافر اللّبّ

زجرتك مرات فلما غلبتني # و لم تنزجر نهنهت[1]غربك بالضرب

فصرت لقى لمّا علاك ابن حرّة # بأبيض قطّاع ينجّي من الكرب

ألا ربّ يوم ريب لو كنت شاهدا # لهالك ذكرى عند معمعة[2]الحرب

/و لست ترى إلا كميّا مجدلا # يداه جميعا تثبتان من التّرب[3]

و آخر يهوى طائر القلب هاربا # و كنت امرأ في الهيج مجتمع القلب

أصول بذي الزرّين[4]أمشي عرضنة[5] # إلى الموت و الأقران كالإبل الجرب

/أرى الموت لا أنحاش عنه تكرّما # و لو شئت لم أركب على المركب الصعب

و لكن أبت نفسي و كانت أبيّة # تقاعس أو ينصاع قوم من الرعب

تتعلق به ابنته عند الفراق فقال في ذلك شعرا

قال أبو عبيدة: لما خرج مالك بن الريب مع سعيد بن عثمان تعلّقت ابنته بثوبه، و بكت، و قالت له: أخشى أن يطول سفرك أو يحول الموت بيننا فلا نلتقي، فبكى و أنشأ يقول: و لقد قلت لا بنتي و هي تبكي # بدخيل الهموم قلبا كئيبا

و هي تذري من الدموع على الخدّيـ # ن من لوعة الفراق غروبا

عبرات يكدن يجرحن ما جز # ن به أو يدعن فيه ندوبا

حذر الحتف أن يصيب أباها # و يلاقي في غير أهل شعوبا[6]

اسكتي قد حززت بالدمع قلبي # طالما حزّ دمعكنّ القلوبا

فعسى اللّه ان يدفع عنّي # ريب ما تحذرين حتى أئوبا

ليس شيء[7]يشاؤه ذو المعالي # بعزيز عليه فادعي المجيبا

[1]نهنهت: كففت.

[2]ب، س: «معمة» و هو تحريف.

[3]في هج: «تضنيان» بدل «تثبتان» .

[4]الزرين: الحدين.

[5]عرضنة، أي أمشي بقوة.

[6]شعوب: علم على المنية و قد يعرف بأل.

[7]في س، ب: «شيئا» .

و دعي أن تقطّعي الآن قلبي # أو تريني في رحلتي تعذيبا

/أنا في قبضة الإله إذا كنـ # ت بعيدا أو كنت منك قريبا

كم رأينا امرأ أتى من بعيد # و مقيما على الفراش أصيبا

فدعيني من انتحابك إني # لا أبالي إذا اعتزمت النّحيبا

حسبي اللّه ثم قرّبت للسّ # ير علاة[1]أنجب بها مركوبا

يتشرد من أجل ضرطة

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعيّ قال: حدثنا دماذ عن أبي عبيدة قال: كان سبب خروج مالك بن الريب إلى خراسان و اكتتابه مع سعيد بن عثمان، هربا من ضرطة، فسألته كيف كان ذلك؟قال: مرّ مالك بليلى الأخيليّة، فجلس إليها يحادثها طويلا، و أنشدها. فأقبلت عليه، و أعجبت به حتى طمع في وصلها، ثم إذا هو بفتى قد جاء إليها، كأنه نصل سيف، فجلس إليها، فأعرضت عن مالك و تهاونت به، حتى كأنه عندها عصفور، و أقبلت على صاحبها مليّا من نهارها، فغاظه ذلك من فعلها، و أقبل على الرجل، فقال: من أنت؟فقال: توبة بن الحميّر، فقال: هل لك في المصارعة؟قال: و ما دعاك إلى ذلك و أنت ضيفنا و جارنا؟قال: لا بدّ منه، فظنّ أن ذلك لخوفه منه، فازداد لجاجا، فقام توبة فصارعه، فلما سقط مالك إلى الأرض ضرط ضرطة هائلة، فضحكت ليلى منه. و استحيا مالك، فاكتتب بخراسان و قال: لا أقيم في بلد العرب أبدا، و قد تحدّثت عني بهذا الحديث، فلم يزل بخراسان حتى مات، فقبره هناك معروف.

يتحدث مع أصحابه و يتذاكرون ماضيهم في السرقة

و قال المدائنيّ، و حدثني أبو الهيثم: قال:

اجتمع مالك بن الريب و أبو حردبة و شظاظ يوما، فقالوا: تعالوا نتحدّث بأعجب ما عملناه في سرقتنا، فقال أبو حردبة: أعجب ما صنعت، و أعجب ما سرقت أني صحبت/رفقة فيها رجل على رحل، فأعجبني، فقلت لصاحبي، و اللّه لأسرقنّ رحله، ثم لا رضيت أو آخذ عليه جعالة، فرمقته، حتى رأيته قد خفق برأسه، فأخذت بخطام جمله، فقدته، و عدلت به عن الطريق، حتى إذا صيّرته في مكان لا يغاث فيه/إن استغاث، أنخت البعير و صرعته، فأوثقت يده و رجله، و قدت الجمل، فغيّبته ثم رجعت إلى الرّفقة، و قد فقدوا صاحبهم، فهم يسترجعون، فقلت: مالكم؟فقالوا: صاحب لنا فقدناه، فقلت: أنا أعلم الناس بأثره، فجعلوا لي جعالة، فخرجت بهم أتبع

الأثر، حتى وقفوا عليه، فقالوا: مالك؟قال: لا أدري، نعست، فانتبهت لخمسين فارسا قد أخذوني، فقاتلتهم، فغلبوني.

قال أبو حردبة؛ فجعلت أضحك من كذبه، و أعطوني جعالتي، و ذهبوا بصاحبهم.

و أعجب ما سرقت أنه مرّ بي رجل معه ناقة و جمل، و هو على الناقة، فقلت: لآخذنّهما جميعا، فجعلت أعارضه و قد رأيته قد خفق برأسه، فدرت، فأخذت الجمل، فحللته، و سقته، فغيبته في القصيم-و هو الموضع [1]علاة: ناقة مشرفة.

الذي كانوا يسرقون فيه-ثم انتبه، فالتفت، فلم ير جمله، فنزل و عقل راحلته، و مضى في طلب الجمل، و درت فحللت عقال ناقته، و سقتها.

فقالوا لأبي حردبة: ويحك!فحتّام تكون هكذا!قال: اسكتوا، فكأنكم بي و قد تبت، و اشتريت فرسا، و خرجت مجاهدا، فبينا أنا واقف إذ جاءني سهم كأنه قطعة رشاء، فوقع في نحري، فمتّ شهيدا. قال: فكان كذلك: تاب، و قدم البصرة، فاشترى فرسا، و غزا الروم، فأصابه سهم في نحره فاستشهد.

ثم قالوا لشظاظ: أخبرنا أنت بأعجب ما أخذت في لصوصيتك، و رأيت فيها، فقال: نعم كان فلان (رجل من أهل البصرة) له بنت عم ذات مال كثير، و هو وليّها، و كانت له نسوة، فأبت أن تتزوّجه، فحلف ألا يزوّجها من أحد ضرارا لها، و كان/يخطبها رجل غني من أهل البصرة، فحرصت[1]عليه، و أبى الآخر أن يزوّجها منه، ثم إنّ وليّ الأمر حجّ، حتى إذا كان بالدوّ[2]-على مرحلة من البصرة حذاءها، قريب منه جبل يقال له سنام، و هو منزل الرفاق إذا صدرت أو وردت-مات الوليّ، فدفن برابية، و شيّد على قبره، فتزوجت الرجل الذي كان يخطبها. قال شظاظ:

و خرجت رفقة من البصرة معهم بزّ و متاع، فتبصرتهم و ما معهم و أتبعتهم حتى نزلوا، فلما ناموا بيّتهم، و أخذت من متاعهم. ثم إن القوم أخذوني، و ضربوني ضربا شديدا، و جرّدوني-قال: و ذلك في ليلة قرّة-و سلبوني كلّ قليل و كثير، فتركوني عريانا، و تماوت لهم، و ارتحل القوم، فقلت: كيف أصنع؟ثم ذكرت قبر الرجل، فأتيته، فنزعت لوحه، ثم احتفرت فيه سربا، فدخلت فيه، ثم سددت عليّ باللوح، و قلت: لعلي الآن أدفأ[3]فأتبعهم.

قال: و مرّ الرجل الذي تزوج بالمرأة في الرّفقة، فمرّ بالقبر الذي أنا فيه، فوقف عليه، و قال لرفيقه: و اللّه لأنزلنّ إلى قبر فلان، حتى أنظر هل يحمى الآن بضع فلانة؟قال شظاظ: فعرفت صوته فقلعت اللوح، ثم خرجت عليه بالسيف من القبر، و قلت: بلى و رب الكعبة لأحمينّها، فوقع و اللّه على وجهه مغشيّا عليه، لا يتحرّك و لا يعقل[4]. فسقط من يده خطام الراحلة، فأخذت و عهد اللّه بخطامها[4]فجلست عليها، و عليها كلّ أداة و ثياب و نقد كان معه، ثم وجّهتها قصد مطلع الشمس هاربا من الناس، فنجوت بها، فكنت بعد ذلك أسمعه يحدّث الناس بالبصرة، و يحلف لهم أن الميّت الذي

كان منعه من تزويج المرأة خرج عليه من قبره بسلبه و كفنه. فبقي يومه، ثم هرب منه، و الناس يعجبون منه فعاقلهم يكذّبه، و الأحمق منهم يصدقه، و أنا أعرف القصة، فأضحك منهم كالمتعجب.

مغامرة أخرى لشظاظ

قالوا: فزدنا، قال: /فأنا أزيدكم أعجب من هذا و أحمق من هذا؛ إني لأمشي في الطريق أبتغي شيئا أسرقه، قال: فلا و اللّه ما وجدت شيئا، قال: و كان هناك شجرة ينام من تحتها الركبان بمكان ليس فيه ظلّ غيرها، و إذا أنا برجل يسير على حمار له، فقلت له: أ تسمع؟قال: نعم، قلت: إن المقيل الذي تريد أن تقيله يخسف بالدوابّ فيه، فاحذره، فلم يلتفت إلى قولي. قال: و رمقته، حتى إذا نام أقبلت على حماره، فاستقته، حتى إذا برزت به، قطعت طرف ذنبه و أذنيه، و أخذت الحمار، فخبأته و أبصرته حين استيقظ من نومه، فقام يطلب الحمار، و يقفوا أثره، فبينا [1]في س: فخرجت.

[2]أرض ملساء بين مكة و البصرة.

[3]في هج: «لعلي الآن قد أفيق فألحقهم» .

(4-4) تكملة من هد، هج.

هو كذلك إذ نظر إلى طرف ذنبه و أذنيه، فقال: لعمري لقد حذّرت لو نفعني الحذر، و استمرّ هاربا خوف أن يخسف به، فأخذت جميع ما بقي من رحله فحملته على الحمار، و استمرّ فألحق بأهلي.

الحجاج يصلب شظاظ

قال أبو الهيثم: ثم صلب الحجاج رجلا من الشّراة بالبصرة، و راح عشيّا، لينظر إليه، فإذا برجل بإزائه مقبل بوجهه عليه، فدنا منه، فسمعه يقول للمصلوب: طال ما ركبت فأعقب[1]، فقال الحجاج: من هذا؟قالوا: هذا شظاظ اللّصّ قال: لا جرم!و اللّه ليعقبنّك، ثم وقف، و أمر بالمصلوب، فأنزل و صلب شظاظ مكانه.

مات مالك حتف أنفه

قال ابن الأعرابي:

مرض مالك بن الريب عند قفول سعيد بن عثمان من خراسان في طريقه؛ فلما أشرف على الموت تخلّف معه مرّة الكاتب[2]و رجل آخر من قومه من بني تميم و هما اللذان يقول فيهما: /

أيا صاحبي رحلي دنا الموت فانزلا # برابية إني مقيم لياليا

و مات في منزله ذلك، فدفناه، و قبره هناك معروف إلى الآن، و قال قبل موته قصيدته هذه يرثي بها نفسه.

قال أبو عبيدة: الذي قاله ثلاثة عشر بيتا، و الباقي منحول، ولّده الناس عليه.

صوت

فما بيضة بات الظليم يحفّها # و يرفع عنها جؤجؤا متجافيا

بأحسن منها يوم قالت: أ ظاعن[3] # مع الرّكب أم ثاو لدينا لياليا؟

و هبّت شمال آخر الليل قرّة[4] # و لا ثوب إلاّ بردها و ردائيا

و ما زال بردى طيّبا من ثيابها # إلى الحول حتى أنهج[5]الثوب[6]باليا

الشعر لعبد بني الحسحاس، و الغناء لابن سريج في الأول و الثاني من الأبيات ثاني ثقيل بالسبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق، و في الثالث و الرابع لمخارق خفيف ثقيل عمله على صنعة إسحاق في: أ ماويّ إن المال غاد و رائح

و كاده بذلك ليقال إن لحنه أخذه منه، و ألقاه على عجوز عمير، فألقته على الناس، حتى بلغ الرشيد خبره، ثم كشفه فعلم حقيقته، و من لا يعلم بنسبه إلى غيره، و قد ذكر حبش إنه لإبراهيم، و ذكر غيره أنه لابن المكي.

و قد شرحت هذا الخبر في أخبار إسحاق.

[1]أي أ تراك عقبك و من يخلفك.

[2]في هد: «الكناني» بدل «الكاتب» .

[3]في رواية الديوان: «أ راحل» .

[4] «رواية الديوان» :

«وهبت لنا ريح الشمال بقرة»

و روى أيضا:

«و هبت شمالا آخر الليل قرة»

.

[5]أنهج: خلق و بلي.

[6]في «الديوان» : «البرد» بدل «الثوب» .

32-أخبار عبد بني الحسحاس

اسمه سحيم، و كان عبدا أسود نوبيّا أعجميّا مطبوعا في الشعر، فاشتراه بنو الحسحاس، و هم بطن من بني أسد، قال أبو عبيدة: الحسحاس بن نفاثة بن سعيد بن عمرو بن مالك بن ثعلبة بن دودان بن أسد بن خزيمة.

قال أبو عبيدة-فيما أخبرنا هاشم بن محمد الخزاعيّ عن أبي حاتم عنه: كان عبد بني الحسحاس عبدا أسود أعجميا، فكان إذا أنشد الشعر-استحسنه أم استحسنه غيره منه-يقول: أهشنت و اللّه-يريد أحسنت و اللّه-و أدرك النبيّ صلّى اللّه عليه و سلم، و يقال: إنه تمثّل بكلمات من شعره غير موزونة.

يستشهد الرسول ببيت له

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال حدثنا أحمد بن منصور قال حدثنا الحسن بن موسى قال حدثنا حمّاد ابن سلمة، عن عليّ بن زيد، عن الحسن أن النبي صلّى اللّه عليه و سلم تمثّل:

كفى بالإسلام و الشيب ناهيا

فقال أبو بكر: يا رسول اللّه:

كفى الشيب و الإسلام للمرء ناهيا

فجعل لا يطيقه، فقال أبو بكر: أشهد أنك رسول اللّه **وَ مَا عَلَّمْنَاهُ اَلشِّعْرَ وَ مَا يَنْبَغِي لَهُ** .

قال محمد بن خلف و حدثني أحمد بن شداد عن أبي سلمة التّبوذكي عن حماد بن سلمة، عن رجل، عن الحسن مثله، و روي عن أبي بكر الهذليّ أن اسم عبد بني الحسحاس حيّة.

كان أسود الوجه

و أخبرنا أبو خليفة عن محمد بن سلاّم قال: كان عبد بني الحسحاس حلو الشعر رقيق الحواشي، و في سواده يقول:

و ما ضرّ أثوابي سوادي و إنّني # لكالمسك لا يسلو عن المسك ذائقه

كيست قميصا ذا سواد و تحته # قميص من القوهيّ[1]بيض بنائقه[2]

/-و يروى: و تحته قميص من الإحسان- [1]منسوب إلى قوهستان (كورة بين نيسابور و هراة) و يطلق القوهى على الثوب الأبيض، و إن لم يكن من نسيج قوهستان، و يريد سحيم هنا بياض سريرته و طهارة قلبه.

[2]البنائق: جمع بنيقة أي ما يحيط بالعنق من الثوب.

أخبرني الحسن بن عليّ قال: حدثنا أحمد بن أبي خيثمة قال: أنشدني مصعب بن عبد اللّه الزبيريّ لعبد بني الحسحاس-و كان يستحسن هذا الشعر و يعجب به-قال: أشعار عبد بني الحسحاس قمن له # عند الفخار مقام الأصل و الورق

إن كنت عبدا فنفسي حرّة كرما # أو أسود اللون إني أبيض الخلق

و قال الأثرم: حدثني السّريّ بن صالح بن أبي مسهر قال: أخبرني بعض الأعراب، أن أول ما تكلم به عبد بني الحسحاس من الشعر أنهم أرسلوه رائدا فجاء و هو يقول: أنعت غيثا حسنا نباته # كالحبشيّ حوله بناته

فقالوا: شاعر و اللّه، ثم انطلق بالشعر بعد ذلك.

بيت له يستحسنه عمر

أخبرنا أبو خليفة عن محمد بن سلاّم قال: أنشد سحيم عمر بن الخطاب قوله: عميرة ودّع إن تجهّزت غاديا # كفى الشيب و الإسلام للمرء ناهيا

/فقال عمر: لو قلت شعرك كلّه مثل هذا لأعطيتك عليه.

لا حاجة لعثمان به

أخبرني الحرميّ بن أبي العلاء قال: حدثنا الزبير بن بكار قال: حدثني عبد الملك بن عبد العزيز قال: حدثني خالي يوسف بن الماجشون قال: كان عبد اللّه بن أبي ربيعة عاملا لعثمان بن عفان على الجند، فكتب إلى عثمان: إني قد اشتريت غلاما حبشيّا يقول الشعر، فكتب إليه عثمان: «لا حاجة لي إليه، فارددْه، فإنما حظّ أهل العبد الشاعر منه، إن شبع أن يتشبّب بنسائهم، و إن جاع أن يهجوهم» ، فردّه فاشتراه أحد بني الحسحاس.

و روى إبراهيم بن المنذر الحزاميّ هذا الخبر عن ابن الماجشون قال: كان عبد اللّه بن أبي ربيعة-مثل ما رواه الزبير-إلا أنه قال فيه: إن جاع هرّ، و إن شبع فرّ.

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال: حدثني أبو بكر العامري عن الأثرم عن أبي عبيدة. و أخبرنا به أبو خليفة عن محمد بن سلاّم قال: أنشد عبد بني الحسحاس عمر قوله: توسّدني كفّا و تثني بمعصم # عليّ و تحوي رجلها من ورائيا

فقال عمر: ويلك إنّك مقتول.

أخبرني محمد بن جعفر الصيلانيّ قال: حدثني أحمد بن القاسم قال: حدثني إسحاق بن محمد النّخعيّ، عن ابن أبي عائشة قال: أنشد عبد بني الحسحاس عمر قوله:

كفى الشيب و الإسلام للمرء ناهيا

الإسلام أولا

فقال له عمر: لو قدّمت الإسلام على الشيب لأجزتك.

أخبرني أحمد بن عبد العزيز و حبيب بن نصر قالا: حدثنا عمر بن شبّة قال: حدثنا معاذ بن معاذ و أبو عاصم عن ابن عون عن محمد بن سيف، أن عبد بني الحسحاس أنشد عمر هذا و ذكر الحديث مثل الذي قبله.

كان قبيح الوجه

أخبرني محمد بن خلف قال: حدثنا إسحاق بن محمد قال: حدثنا عبد الرحمن، ابن أخي الأصمعي عن عمه قال: كان عبد بني الحسحاس قبيح الوجه، و في قبحه يقول: أتيت نساء الحارثيّين غدوة # بوجه براه اللّه غير جميل

فشبّهنني كلبا و لست بفوقه # و لا دونه إن كان غير قليل

كان يشبب بنساء مواليه

/أخبرني أبو خليفة، عن محمد بن سلاّم، قال: أتي عثمان بن عفان بعبد بني الحسحاس ليشتريه فأعجب به فقالوا: إنه شاعر: و أرادوا أن يرغّبوه فيه: فقال: لا حاجة لي به؛ إذا الشاعر لا حريم له، إن شبع تشبّب بنساء أهله، و إن جاع هجاهم، فاشتراه غيره، فلما رحل قال في طريقه: أ شوقا و لمّا تمض لي غير ليلة # فكيف إذا سار المطيّ بنا شهرا؟[1]

و ما كنت أخشى مالكا أن يبيعني # بشيء و لو أمست أنامله صفرا

أخوكم و مولى مالكم و حليفكم # و من قد ثوى فيكم و عاشركم دهرا[2]

فلما بلغهم شعره هذا رثوا له، فاستردّوه.

فكان يشبب بنسائهم، حتى قال:

/

و لقد تحدّر من كريمة بعضكم[3] # عرق على متن[4]الفراش و طيب

قال: فقتلوه.

أخبرني الحرميّ بن أبي العلاء قال: حدّثنا الزبير بن بكار قال: حدثني عبد الملك بن عبد العزيز عن خاله يوسف بن الماجشون بمثل هذه الرواية و زاد فيها: [1]في هج، هد: «عشرا» بدل «شهرا» .

[2]في هج:

«أخوكم و مولاكم و كاتم سركم»

.

[3]في «الديوان» :

«فلقد تحدر من جبين فتاتكم»

.

[4]في «الديوان» : «على ظهر» .

فلما استردّوه نشب يقول الشعر في نسائهم، فأخبرني من رآه واضعا إحدى رجليه على الأخرى يقرض الشعر و يشبّب بأخت مولاه و كانت عليلة، و يقول: ما ذا يريد السقام من قمر # كلّ جمال لوجهه تبع!

ما يرتجى خاب من محاسنها # آماله في القباح متّسع!

غيّر من لونها و صفرها # فزيد[1]فيه الجمال و البدع

لو كان يبغي الفداء قلت له: # ها أنا دون الحبيب يا وجع

أخبرني محمد بن خلف قال: حدثنا أبو بكر العامريّ، عن عليّ بن المغيرة الأثرم قال: قال أبو عبيدة: الذي تناهى إلينا من حديث سحيم عبد بني الحسحاس أنه جالس نسوة من بني صبير بن يربوع، و كان من شأنهم إذا جلسوا للتغزّل أن يتعابثوا بشقّ الثياب و شدّة المغالبة على إبداء المحاسن، فقال سحيم: كأن الصّبيريّات يوم لقيننا # ظباء حنت أعناقها[2]في المكانس

فكم قد شققنا من رداء منيّر[3] # و من برقع عن طفلة غير ناعس

/إذا شقّ برد شقّ بالبرد برقع[4] # على ذاك[5]حتى كلّنا غير لابس

فيقال: إنه لما قال هذا الشعر أتّهمه مولاه، فجلس له في مكان كان إذا رعى نام فيه، فلما اضطجع تنفّس الصّعداء، ثم قال: يا ذكرة مالك في الحاضر # تذكرها و أنت في الصادر

من كل بيضاء لها كفل[6] # مثل سنام البكرة المائر

قال: فظهر سيّده من الموضع الذي كان فيه كامنا، و قال له: مالك؟ فلجلج في منطقه، فاستراب به، فأجمع على قتله، فلما ورد الماء خرجت إليه صاحبته، فحادثته، و أخبرته بما يراد به، فقام ينفض ثوبه و يعفى أثره، و يلقط رضّا من[7]مسكها[8]كان كسرها في لعبه معها، و أنشأ يقول:

صوت

/

أ تكتم حييتم على النأي تكتما # تحية من أمسى بحبّك مغرما

[1]في س، ب: «فارتد» .

[2]كذا في «الديوان» و في س، ب:

«حنت أعناقهم المكانس»

و فيه الإقواء حينئذ.

[3]كذا في «الديوان» و في س، ب: «مزنر» ، و معنى منير: له نير، أي علم الثوب.

[4]في س، ب:

«نيط بالبرد برقع»

.

[5]في «الديوان» : «دواليك» و بهذه الرواية يستشهد النحويون في باب المصدر الموضوع موضع الحال المثنى المضاف إلى ضمير المخاطب.

[6]في «الديوان» : «كعشب» و ما هنا أعلى.

[7]رضا: كسرا.

[8]مسكها: من سوارها أو خلخالها. ـ

و ما تكتمين إن أتيت دنيّة # و لا إن ركبنا يا ابنة القوم محرما

و مثلك قد أبرزت من خدر أمها # إلى مجلس تجرّ بردا مسّهما[1]

الغناء للغريض ثقيل أول بالوسطى و فيه ليحيى المكي ثاني ثقيل، قال: و ماشية مشى القطاة اتّبعتها # من الستر تخشى أهلها أن تكلّما

/فقالت: صه يا ويح غيرك إنني # سمعت حديثا بينهم يقطر الدّما

فنفضت ثوبيها و نظّرت حولها # و لم أخش هذا الليل أن يتصرّما

أعفى بآثار الثياب مبيتها # و ألقط رضّا من وقوف[2]تحطّما

قال: و غدوا به ليقتلوه، فلما رأته امرأة كانت بينها و بينه مودّة ثم فسدت، ضحكت به شماتة فنظر إليها و قال: فإن تضحكي مني فيا ربّ ليلة # تركتك فيها كالقباء المفرّج

فلما قدّم ليقتل قال:

شدّوا وثاق العبد لا يفلتكم # إن الحياة من الممات قريب

فلقد تحدّر من جبين فتاتكم # عرق على متن الفراش و طيب

يحرق في أخدود

قال: و قدّم فقتل. و ذكر ابن دأب أنه حفر له أخدود، و ألقي فيه، و ألقي عليه الحطب فأحرق.

أصابهن كلهن إلا واحدة

أخبرني محمد بن مزيد بن أبي الأزهر قال: حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه، عن المدائني عن أبي بكر الهذليّ قال: كان عبد بني الحسحاس يسمّى حيّة، و كان لسيّده بنت بكر، فأعجبها، فأمرته أن يتمارض، ففعل و عصب رأسه. فقالت للشيخ: أسرح أيها الرجل إبلك، و لا تكلها إلى العبد، فكان فيها أياما، ثم قال له: كيف تجدك؟ قال: صالحا، قال: فرح في إبلك العشيّة، فراح فيها، فقالت الجارية لأبيها: ما أحسبك إلا قد ضيّعت إبلك العشية، أن وكلتها إلى حيّة، فخرج في آثار إبله فوجده مستلقيا في ظل شجرة، و هو يقول: /

يا ربّ شجو لك في الحاضر # تذكرها و أنت في الصادر

من كل حمراء جماليّة[3] # طيّبة القادم و الآخر

فقال الشيخ: إن لهذا لشأنا، و انصرف، و لم يره وجهه. و أتى أهل الماء، و قال لهم: تعلّموا و اللّه أن هذا العبد قد فضحنا، و أخبرهم الخبر، و

أنشدهم ما قال، فقالوا: اقتله، فنحن طوعك، فلما جاءهم وثبوا عليه، فقالوا له: [1]مسهما: فيه صورة السهم.

[2]وقوف: جمع وقف أي، سوار من ذبل أو عاج.

[3]جمالية: جميلة.

قلت و فعلت، فقال: دعوني إلى غد حتى أعذرها[1]عند أهل الماء، فقالوا: إن هذا صواب فتركوه، فلما كان الغد اجتمعوا فنادى: يا أهل الماء، ما فيكم امرأة إلا قد أصبتها إلا فلانة فإني على موعد منها فأخذوه فقتلوه.

و مما يغنّى فيه من قصيدة سحيم عبد بني الحسحاس، و قال: إن من الناس من يرويها لغيره: تجمّعن من شتّى ثلاثا و أربعا # و واحدة حتى كملن ثمانيا

و أقبلن من أقصى الخيام يعدنني # بقيّة ما أبقين نصلا يمانيا

/يعدن مريضا هنّ قد هجن داءه # ألا إنما بعض العوائد دائيا

فيه لحنان كلاهما من الثقيل الأول، و الذي ابتداؤه «تجمعن من شتى ثلاث» لبنان.

و الذي أوله «و أقبلن من أقصى الخيام» . ذكر الهشامي أنه لإسحاق و ليس يشبه صنعته و لا أدري لمن هو؟

مخارق يكيد لإسحاق

أخبرني جحظة عن ابن حمدون أن مخارقا عمل لحنا في هذا الشعر: و هبّت شمالا آخر الليل قرّة # و لا ثوب إلا بردها و ردائيا

على عمل صنعة إسحاق في:

/

أ ماويّ إن المال غاد و رائح

ليكيد به إسحاق، و ألقاه على عجوز عمير الباذعسي ، و قال لها: إذا سئلت عنه فقولي: أخذته من عجوز مدنية، و دار الصوت حتى غنّي به الخليفة، فقال لإسحاق: ويلك أخذت لحن هذا الصوت تغنّيه[2]كلّه، فحلف له بكل يمين يرضاه أنه لم يفعل و تضمّن له كشف القصة، ثم أقبل على من غنّاهم الصوت فقال: عمّن أخذته؟فقال: عن فلان، فلقيه، فسأله عمن أخذه فعرفه، و لم يزل يكشف عن القصة، حتى انتهت من كل وجه إلى عجوز عمير، فسئلت عن ذلك، فقالت: أخذته عن عجوز مدنية، فدخل إسحاق على عمير، فحلف له بالطلاق و العتاق و كلّ محرج من الأيمان ألاّ يكلمه أبدا و لا يدخل داره و لا يترك كيده و عداوته أو يصدقه عن حال هذا الصوت و قصته، فصدقه عمير عن القصة، فحدّث بها الواثق بحضرة عمير و مخارق، فلم يكن مخارقا دفع ذلك، و خجل خجلا بان فيه، و بطل ما أراده بإسحاق.

صوت

ثلاثة أبيات فبيت أحبّه # و بيتان ليسا من هواي و لا شكلي

ألا أيها البيت الذي حيل دونه # بنا أنت من بيت و أهلك من أهل

الشعر لجميل، و الغناء لإسحاق ماخوري بالبنصر من جامع أغانيه، و فيه رمل مجهول ذكره حبش لعلّوية و لم أجد طريقته.

[1]أعذرها: أثبت لها عذرا.

[2]س، ب «بعينه» بدل «تغنيه» .

33-متمم العبدي و الجويرية

أخبرني الحسين بن يحيى المراديّ عن حماد بن إسحاق عن أبيه قال: حدثني متمم العبديّ قال: خرجت من مكة زائرا لقبر النبي صلّى اللّه عليه و سلم، فإنى لبسوق الجحفة[1]إذا جويرية تسوق بعيرا، و تترنّم بصوت مليح طيّب حلو في هذا الشعر: ألا أيها البيت الذي حيل دونه # بنا أنت من بيت و أهلك من أهل

بنا أنت من بيت و حولك لذّة # و ظلّك لو يسطاع بالبارد السهل

ثلاثة أبيات فبيت أحبّه # و بيتان ليسا من هواي و لا شكلي

فقلت: لمن هذا الشعر يا جويرية؟قالت: أما ترى تلك الكوّة الموقّاة بالكلّة الحمراء؟قلت: أراها، قالت: من هناك نهض هذا الشعر، قلت: أو قائله في الأحياء؟قالت: هيهات، لو أنّ لميّت أن يرجع لطول غيبته لكان ذلك، فأعجبني فصاحة لسانها ورقة ألفاظها، فقلت لها: أ لك أبوان؟فقالت: فقدت خيرهما و أجلّهما، و لي أم، قلت: و أين أمّك؟قالت: منك بمرأى و مسمع، قال: فإذا امرأة تبيع الخرز على ظهر الطريق بالجحفة، فأتيتها، فقلت: يا أمّتاه، استمعي مني، /فقالت لها: يا أمّه، فاستمعي من عمّي ما يلقيه إليك، فقالت: حيّاك اللّه، هيه، هل من جائية خبر[2]؟قلت: أ هذه ابنتك؟قالت: كذا كان يقول أبوها، قلت: أ فتزوّجينها؟قالت: أ لعلّة رغبت فيها؟ فما هي و اللّه من عندها جمال، و لا لها مال، قلت: لحلاوة لسانها و حسن عقلها، فقالت: أيّنا أملك بها؟أنا أم هي بنفسها؟قلت: بل هي بنفسها، قالت: فإياها فخاطب، فقلت: لعلها أن تستحي من الجواب في مثل هذا، فقالت: ما ذاك عندها، أنا أخبر/بها، فقلت: يا جارية، أ ما تستمعين ما تقول أمّك؟قالت: قد سمعت، قلت: فما عندك؟قالت: أ و ليس حسبك أن قلت: يا جارية، أ ما تستمعين ما تقول أمّك؟قالت: قد سمعت، قلت: فما عندك؟قالت: أ و ليس حسبك أن قتلت: إني أستحي من الجواب في مثل هذا، فإن كنت أستحي في شيء فلم أفعله؟أ تريد أن تكون الأعلى و أكون بساطك، لا و اللّه لا يشدّ عليّ رجل حواءه و أنا أجد مذقة[3]لبن أو بقلة ألين بها معاي، قال: فورد و اللّه عليّ أعجب كلام على وجه الأرض، فقلت: أو أتزوجك و الإذن فيه إليك، و أعطى اللّه عهدا أني لا أقربك أبدا إلا عن إرادتك؟قالت: إذا و اللّه لا تكون لي في هذا إرادة أبدا، و لا بعد الأبد إن كان بعده بعد، فقلت: فقد رضيت بذلك، فتزوّجتها، و حملتها و أمّها معي إلى العراق، و أقامت معي نحوا من ثلاثين سنة ما ضممت عليها حوى قطّ، و كانت قد علقت من أغاني المدينة أصواتا كثيرة، فكانت ربما ترنّمت بها، فأشتهيها، [1]الجحفة: قرية كانت على طريق المدينة من مكة على أربع مراحل و هي ميقات أهل مصر و الشام.

[2]تريد خبرا يجوب البلاد متنقلا.
[3]مذقة: لبن مخلوط بالماء.

فقلت: دعيني من أغانيك هذه فإنها تبعثني على الدنوّ منك. قال: فما سمعتها رافعة صوتها بغناء بعد ذلك، حتى فارقت الدنيا، و إن أمها عندي حتى الساعة، فقلت: ما أدري متى دار في سمعي حديث امرأة أعجب من حديث هذه.

صوت

أيها الناس إن رأيي يريني # -و هو الرأي-طوفة في البلاد

بالعوالي و بالقنابل تردى[1] # بالبطاريق[2]مشية العوّاد

و بجيش عرمرم عربيّ # جحفل يستجيب صوت المنادي

من تميم و خندف و إياد # و البهاليل حمير و مراد

فإذا سرت سارت الناس خلفي # و معي كالجبال في كلّ واد

سقّني ثم سقّ حمير قومي # كأس خمر أولى النّهي و العماد

الشعر لحسّان بن تبّع، و الغناء لأحمد النصيبي خفيف ثقيل أول بالسبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق و فيه ليونس لحن من كتابه.

[1]تردى: تسرع، و المصدر الرديان و الردى.

[2]البطاريق: جمع بطريق: قائد الروم، تحت إمرته عشرة آلاف رجل.

34-أخبار حسان بن تبع

هو طوافة في البلاد

أخبرني بخبر حسّان الذي من أجله قال هذا الشعر عليّ بن سليمان الأخفش عن السكريّ، عن ابن حبيب، عن ابن الأعرابيّ. و عن أبي عبيدة و أبي عمرو، و ابن الكلبي و غيرهم، قال: كان حسّان بن تبّع أحول أعسر[1]، بعيد الهمّة شديد البطش، فدخل إليه يوما وجوه قومه-و هم الأقيال من حمير-فلما أخذوا مواضعهم ابتدأهم فأنشدهم: أيها الناس إن رأيي يريني # و هو الرأي طوفة في البلاد

بالعوالي و بالقنابل تردى # بالبطاريق مشية العوّاد

/و ذكر الأبيات التي مضت آنفا، ثم قال لهم: استعدّوا لذلك، فلم يراجعه أحد لهيبته، فلما كان بعد ثلاثة خرج، و تبعه الناس، حتى وطئ أرض العجم، و قال: لأبلغنّ من البلاد حيث لم يبلغ أحد من التبابعة، فجال بهم في أرض خراسان، ثم مضى إلى المغرب، حتى بلغ رومية[2]، و خلف عليها ابن عم له، و أقبل إلى أرض العراق، حتى إذا صار على شاطئ الفرات، قالت وجوه حمير: ما لنا نفني أعمارنا مع هذا!نطوف في الأرض كلّها، و نفرّق بيننا و بين بلدنا و أولادنا و عيالنا و أموالنا!فلا ندري من نخلف عليهم بعدنا! فكلّموا أخاه عمرا، و قالوا له: كلّم أخاك في الرجوع إلى بلده، و ملكه. قال: هو أعسر من ذلك و أنكر[3]، فقالوا: فاقتله، و نملّكك علينا، فأنت أحقّ/ بالملك من أخيك، و أنت أعقل و أحسن نظرا لقومك، فقال: أخاف ألاّ تفعلوا، و أكون قد قتلت أخي، و خرج الملك عن يدي، فواثقوه، حتى ثلج[4]إلى قولهم، و أجمع الرؤساء على قتل أخيه كلّهم إلا ذا رعين، فإنه خالفهم، و قال: ليس هذا برأي، يذهب الملك من حمير. فشجّعه الباقون على قتل أخيه، فقال ذو رعين: إن قتلته باد ملكك.

فلما رأى ذو رعين ما أجمع عليه القوم أتاه بصحيفة مختومة، فقال: يا عمرو: إني مستودعك هذا الكتاب، فضعه عندك في مكان حريز، و كتب فيه: ألا من يشتري سهرا بنوم # سعيد من يبيت قرير عين

[1]أعسر: يعمل بيده اليسرى.

[2]رومية: مدينة بالمدائن بنيت و سميت باسم أحد الملوك.

[3]في هج: «و أنكد» بدل «و أنكر» .

[4]ثلج إلى قولهم: استراح.

فإن تك حمير غدرت و خانت # فمعذرة الإله لذي رعين

قتله أخوه فامتنع منه النوم

ثم إن عمرا أتى حسّان أخاه و هو نائم على فراشه، فقتله، و استولى على ملكه. فلم يبارك فيه، و سلّط اللّه عليه السهر، و امتنع منه النوم، فسأل الأطباء و الكهّان و العيّاف، فقال له كاهن منهم: إنه ما قتل أخاه رجل قطّ إلا منع نومه، فقال عمرو: هؤلاء رؤساء حمير حملوني على قتله ليرجعوا إلى بلادهم، و لم ينظروا إليّ و لا لأخي.

فجعل يقتل من أشار عليه منهم بقتله، فقتلهم رجلا رجلا، حتى خلص إلى ذي رعين و أيقن بالشرّ، فقال له ذو رعين: أ لم تعلم أني أعلمتك ما في قتله، و نهيتك و بيّنت هذا؟قال: و فيم هو؟قال: في الكتاب الذي استودعتك.

فدعا بالكتاب، فلم يجده، فقال ذو رعين: ذهب دمي على أخذي بالحزم، فصرت كمن أشار بالخطإ، ثم سأل الملك أن ينعم في طلبه، ففعل، فأتى به فقرأه، فإذا فيه البيتان، فلما قرأهما قال: لقد أخذت بالحزم، قال:

إني خشيت ما رأيتك صنعت بأصحابي.

ذو شناتر و ذو نواس

قال: و تشتّت أمر حمير حين قتل أشرافها، و اختلفت عليه، حتى وثب على عمرو لخيعة ينوف[1]، و لم يكن من أهل بيت المملكة، فقتله، و استولى على ملكه، و كان يقال له ذو شناتر[2]الحميريّ، و كان فاسقا يعمل عمل قوم لوط، و كان يبعث إلى أولاد الملوك فيلوط بهم، و كانت حمير إذا ليط بالغلام لم تملّكه، و لم ترتفع به، و كانت له مشربة[3]، يكون فيها يشرف على حرسه، فإذا أتي بالغلام أخرج رأسه إليهم و في فيه السواك، فيقطعون مشافر ناقة المنكوح و ذنبها، فإذا خرج صيح به: أ رطب أم يباس[4]؟فمكث بذلك زمانا.

حتى نشأ زرعة ذو نواس، و كانت له ذؤابة، و بها سمى ذا نواس-و هو الذي تهوّد، و تسمى يوسف، و هو صاحب الأخدود بنجران، و كانوا نصارى، فخوّفهم، و حرق الإنجيل، و هدّم/الكنائس، و من أجله غزت الحبشة اليمن، لأنهم نصارى، فلما غلبوا على اليمن اعترض البحر، و اقتحمه على فرس فغرق- فلما نشأ ذو نواس قيل له: كأنك و قد فعل بك كذا و كذا، فأخذ سكّينا لطيفا خفيفا و سمّه، و جعل له غلافا، فلما دعا به لخيعة جعله بين

أخمصه و نعله، و أتاه على ناقة له يقال لها: سراب، فأناخها، و صعد إليه، فلما قام يجامعه كما كان يفعل انحنى زرعة، فأخذ السكين فوجأ بها بطنه، فقتله، و احتزّ رأسه، فجعل السواك في فيه، و أطلعه من الكوّة، فرفع الحرس رءوسهم، فرأوه، /و نزل زرعة، فصاحوا: زرعة يا ذا نواس، أ رطب أم يباس؟ فقال: ستعلم الأحراس، است ذي نواس، رطب أم يباس؟و جاء إلى ناقته، فركبها، فلما رأى الحرس اطّلاع الرأس صعدوا إليه، فإذا هو قد قتل. فأتوا زرعة، فقالوا: ما ينبغي أن يملكنا غيرك بعد أن أرحتنا من هذا الفاسق، و اجتمعت حمير إليه، ثم كان من قصّته ما ذكرناه آنفا.

[1]كذا في اللسان و الجمهرة و هو مأخوذ من اللخع، و هو استرخاه اللحم و ينوف من نلف الشيء إذا طال و ارتفع.

[2]شناتر: أصابع بلغة حمير.

[3]مشربة: غرفة مرتفعة.

[4]يباس: يابس أو يبيس.

485

صوت

يا ربة البيت قومي غير صاغرة # ضمي إليك رحال القوم و القربا[1]

في ليلة من جمادي ذات أندية # لا يبصر الكلب من ظلمائها الطّنبا[2]

لا ينبح الكلب فيها غير واحدة # حتى يلفّ على خيشومه الذّنبا

الشعر لمرّة بن محكان السّعديّ، و الغناء لابن سريج، رمل بالوسطى، و له فيه أيضا خفيف ثقيل بالوسطى كلاهما عن عمرو، و ذكر حبش أن فيه لمعبد ثاني ثقيل بالوسطى، و اللّه أعلم.

[1]القرب: جمع قراب ككتاب و هو غمد السيف.

[2]الطنب: الحبل الطويل يشد به السرادق و جمعه أطناب.

35-أخبار مرة بن محكان

اسمه و نسبه

هو مرّة بن محكان و لم يقع إلينا باقي نسبه، أحد بني سعد بن زيد مناة بن تميم. شاعر مقلّ إسلاميّ من شعراء الدّولة الأموية، و كان في عصر جرير و الفرزدق، فأخملا ذكره، لنباهتهما في الشعر.

و كان مرّة شريفا جودا و هو أحد من حبس في المناحرة و الإطعام.

ينحر مائة بعير

أخبرني الحسن بن عليّ قال: حدثنا أحمد بن الحارث الخرّاز، عن المدائني، قال: كان مرّة بن محكان سخيّا، و كان أبو البكراء يوائمه في الشرف، و هما جميعا من بني الرّبيع، فأنهب مرّة بن محكان ماله الناس، فحبسه عبيد اللّه[1]بن زياد، فقال في ذلك الأبيرد الرّياحي: حبست كريما أن يجود بماله # سعى في ثأى[2]من قومه متفاقم

كأنّ دماء القوم إذ علقوا به # على مكفهرّ من ثنايا المخارم[3]

فإن أنت عاقبت ابن محكان في الندى # فعاقب هداك اللّه أعظم حاتم

قال: فأطلقه عبيد اللّه بن زياد، فذبح أبو البكراء مائة شاة، فنحر مرّة بن محكان مائة بعير، فقال بعض شعراء بني تميم يمدح مرّة: /

شرى مائة فأنهبها جوادا # و أنت تناهب الحدف القهادا

-الحدف: صغار الغنم. القهاد: البيض- أخبرني أحمد بن محمد الأسديّ أبو الحسن، قال: حدثنا الرياشيّ قال: سئل أبو عبيدة عن معنى قول مرّة بن محكان: ضمّي إليك رحال القوم و القربا

[1]كذا «بالأغاني» في ترجمة الأبيرد الرياجي جزء 12 ص 14، و مثله في «الأمالي» جزء 3 ص 177، و في النسخ «زياد» ، و الصواب عبيد اللّه لقول الأبيرد: فأبلغ عبيد اللّه عني رسالة # رسالة قاض بالحكومة عالم

[2]كذا في ف، و «الأمالي» جزء 3 ص 177. و الثأي: الفساد.

[3]المخارم: جمع مخرم، و هو أنف الجبل.

ما الفائدة/في هذا؟فقال: كان الضيف إذا نزل بالعرب في الجاهلية ضموا إليهم رحله، و بقي سلاحه معه لا يؤخذ خوفا من البيات، فقال مرّة بن محكان يخاطب امرأته: ضمّي إليك رحال هؤلاء الضّيفان و سلاحهم، فإنهم عندي في عزّ و أمن من الغارات و البيات، فليسوا ممّن يحتاج أن يبيت لابسا سلاحه.

مصعب بن الزبير يقتله

أخبرني محمد بن الحسن بن دريد، قال: حدثنا أبو حاتم، عن أبي عبيدة، عن يونس، قال: كان الحارث بن أبي ربيعة على البصرة أيام ابن الزبير، فخاصم إليه رجل من بني تميم-يقال له مرّة بن محكان-رجلا، فلمّا أراد إمضاء الحكم عليه أنشأ مرّة بن محكان يقول: أ حار تثبّت في القضاء فإنه # إذا ما إمام جار في الحكم أقصدا[1]

و إنك موقوف على الحكم فاحتفظ # و مهما تصبه اليوم تدرك به غدا

فإني ممّا أدرك الأمر بالأنى[2] # و أقطع في رأس الأمير المهنّدا

[1]أقصد: أصلب في المقتل أو قتله مكانه.

[2]في هد، هج: «نانيا» ، و قد تكون محرفة عن «آنيا» . و الأني: الحلم.

36-أخبار عليّ بن عبد اللّه بن جعفر و نسبه

اسمه و نسبه

هو عليّ بن عبد اللّه بن جعفر بن إبراهيم بن محمد بن علي بن عبد اللّه بن جعفر بن أبي طالب عليهم السلام، و أمه ولاّدة بنت الحجل بن عنبسة بن سعيد بن العاصي بن أمية:

شاعر ظريف حجازي، كان عمر بن الفرج الرّخّجي حمله من الحجاز إلى سرّ من رأى مع من حمل من الطالبيّين فحسه المتوكل معهم.

يحبسه المتوكل

حدثنا محمد بن العباس اليزيديّ قال: حدثنا محمد بن الحسن بن مسعود الزّرقي قال: حدثنا عمر بن عثمان الزّهري المعروف بابن أبي قباجة قال:

رفع عمر بن الفرج عليّ بن عبد اللّه بن جعفر الجعفريّ إلى المتوكل أيام حجّ المنتصر، فحبسه المتوكل لأنه كان شيخ القوم و كبيرهم، و كان أغلظ لعمر بن الفرج.

يتديث فى شعره

قال[1]عليّ بن عبد اللّه: مكثت في الحبس مدة، فدخل عليّ رجل من الكتّاب يوما فقال: أريد هذا الجعفري الذي تديّث في شعره فقلت له: إليّ فأنا هو، فعدل إليّ و قال: جعلت فداك!أحبّ/أن تنشدني بيتيك اللذين تديّثت فيهما، فأنشدته:

و لما بدا لي أنها لا تودّني # و أن هواها ليس عني بمنجل

تمنّيت أن تهوى سواي لعلّها # تذوق حرارات الهوى فترقّ لي

قال: فكتبهما، ثم قال لي: اسمع-جعلت فداك-بيتين قلتهما في الغيرة، فقلت: هاتهما فأنشدني:

ربما سرّني صدودك عنّي # في طلابيك و امتناعك منّي

حذرا أن أكون مفتاح غيري # فإذا ما خلوت كنت التّمنّي

/فقام القرشي، فقبّل رأسه، فقال له: فدتك نفسي و أهلي، لو لم أقدم مكة لعمرة و لا لبرّ و تقوى، ثم قدمت إليها لأراك و أسمع منك لكان ذلك قليلا. ثم انصرف.

و حدثني بعض مشايخ الكتّاب أنه دخل على أبي العبيس بن حمدون يوما، فسأله أن يقيم عنده فأقام، و أتاهم [1]وردت رواية هذا الخبر في

بعض النسخ هكذا «قال: و كان علي بن عبد اللّه مكث في الحبس مدة فدخل عليه رجل من الكتاب يوما، فقال: أريد هذا الجعفري الذي تديث في شعره، فقلت.. الخ» .

أبو العبيس بالطعام، فأكلوا، ثم قدّم الشراب فشربوا، و غنّاهم أبو العبيس يومئذ هذا الصوت: ألا متّ لا أعطيت صبرا و عزمة # غداة رأيت الحيّ للبين غاديا

و لم تعتصر عينيك فكهة مازح # كأنك قد أبدعت إذ ظلت باكيا

فأحسن ما شاء، ثم ضرب ستارته و قال:

يا ربة البيت غني غير صاغرة

فاندفعت عرفان، فغنت:

يا ربة البيت قومي غير صاغرة # ضمّي إليك رحال القوم و القربا

قال: فما سمعت غناء قط أحسن مما سمعته من غنائهما يومئذ.

نسبة هذا الصوت

صوت

ألا متّ لا أعطيت صبرا و عزمة # غداة رأيت الحيّ للبين غاديا

و لم تعتصر عينيك فكهة مازح # كأنك قد أبدعت إذ ظلت باكيا

فصيّرت دمعا أن بكيت تلدّدا # به لفراق الألف كفؤا موازيا

لقد جل قدر الدمع عندك أن ترى # بكاءك للبين المشتّ مساويا

/الشعر لأعرابيّ أنشدناه الحرميّ بن أبي العلاء، عن الحسين بن محمد بن أبي طالب الدينارىّ عن إسحاق الموصليّ الأعرابيّ.

قال الدينارىّ: و كان إسحاق كثيرا ما ينشد الشعر للأعراب[1]، و هو قائله و أظن هذا الشعر له، و الغناء لعمرو ابن بانة ثقيل أول بالبنصر من كتابه.

صوت

فإن تك من شيبان أمّى فإنني # لأبيض من عجل عريض المفارق

و كيف بذكرى أمّ هارون بعد ما # خبطن بأيديهنّ رمل الشقائق

كأنّ نقا من عالج[2]أزرت به # إذا الرّل ألهاهنّ شدّ المناطق

و إنا لتغلي في الشّتاء قدرونا # و نصبر[3]تحت اللامعات الخوافق

عروضه من الطويل الشعر للعديل بن الفرخ العجليّ، و الغناء لمعبد خفيف ثقيل من أصوات قليلة الأشباه، عن يونس و إسحاق، و فيه لهشام بن

المرّيّة لحن من كتاب إبراهيم، و فيه لسنان الكاتب ثقيل أول عن الهشامي و حبش، و قال حبش خاصة: فيه للهذلي أيضا ثاني ثقيل بالوسطى.

[1]كذا في ف و في س، ب: للاعرابي.

[2]عالج: رمال بين فيد و القريات ينزلها بنو بحتر من طيئ.

[3]في ف: «و نضرب» .

37-أخبار العديل و نسبه

اسمه و نسبه

العديل بن الفرخ بن معن بن الأسود بن عمرو بن عوف بن ربيعة بن جابر بن ثعلبة بن سمى[1]بن الحارث- و هو العكابة[2]-بن ربيعة بن عجل بن لجيم بن صعب بن عليّ بن بكر بن وائل بن قاسط بن هنب بن أفصى بن دعميّ بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار.

و قال أبو عبيدة: كان العكابة اسم كلب للحارث بن ربيعة بن عجل، فلقب باسم كلبه، و غلب عليه. قال: و كان عجل من محمّقي العرب، قيل له: إن لكل فرس جواد اسما و إن فرسك هذا سابق جواد، فسمّه، ففقأ إحدى عينيه و قال: قد سمّيته الأعور، و فيه يقول الشاعر: رمتني بنو عجل بداء أبيهم # و هل أحد في الناس أحمق من عجل؟

أ ليس أبوهم عار عين جواده # فصارت به الأمثال تضرب بالجهل[3]

هو و دابغ

و العديل شاعر مقلّ من شعراء الدولة الأموية، و كان له ثمانية إخوة، و أمهم جميعا امرأة من بني شيبان، و منهم من كان شاعرا فارسا: أسود و سوادة و شملة-و قيل سلمة-و الحارث، و كان/يقال لأمهم درماء.

و كان للعديل و إخوته ابن عم يسمى عمرا، فتزوج بنت عم لهم بغير أمرهم، فغضبوا و رصدوه ليضربوه، و خرج عمرو و معه عبد له يسمى دابغا، فوثب العديل و إخوته، /فأخذوا سيوفهم، فقالت أمهم: إني أعوذ باللّه من شرّكم، فقال لها ابنها الأسود: و أيّ شيء تخافين علينا؟فو اللّه لو حملنا بأسيافنا على هذا الحنو حنو قراقر[4]لما قاموا لنا[5]فانطلقوا حتى لقوا عمرا، فلما رآهم ذعر منهم و ناشدهم، فأبوا، فحمل عليه سوادة فضرب عمرا ضربة بالسيف، و ضربه عمرو فقطع رجله فقال سوادة: ألا من يشتري رجلا برجل # تأبّى للقيام فلا تقوم

و قال عمرو لدابغ: اضرب و أنت حرّ، فحمل دابغ، فقتل منهم رجلا، و حمل عمرو، فقتل آخر، و تداولاهم، [1]كذا في «جمهرة أنساب العرب» ، و في س، ب «شتى» و في هج: «ابن سيار» .

[2]كذا في «جمهرة الأنساب» ، و في هد، س، ب: «العباب» .

[3]في هد، هج: «فسارت به الأمثال في الناس بالجهل» .

[4]قراقر: موضع حول ذي قار.

[5]ف: «لما قام لنا» .

فقتلا منهم أربعة، و ضرب العديل على رأسه، ثم تفرّقوا، و هرب دابغ، حتى أتى الشأم، فداوى ربضة بن النعمان الشيبانيّ للعديل ضربته، و مكث مدة.

ثم خرج العديل بعد ذلك حاجّا، فقيل له إن دابغا قد جاء حاجّا، و هو يرتحل، فيأخذ طريق الشأم، و قد اكترى. فجعل العديل عليه الرصد، حتى إذا خرج دابغ ركب العديل راحلته و هو متلثّم، و انطلق يتبعه، حتى لقيه خلف الركاب يحدو بشعر العديل و يقول: يا دار سلمى أقفرت من ذي قار # و هل بإقفار الديار من عار

و قد كسين عرقا مثل القار # يخرجن من تحت خلال الأوبار[1]

فلحقه العديل، فحبس عليه بعيره، و هو لا يعرفه، و يسير رويدا، و دابغ يمشي رويدا، و تقدمت إبله فذهبت، و إنما يريد أن يباعده عنها بوادي حنين، ثم قال له العديل: و اللّه لقد استرخى حقب[2]رحلي، أنزل فأغيّر الرحل، و تعنني. فنزل فغيّر/الرّحل، و جعل دابغ يعينه، حتى إذا شدّ الرّحل أخرج العديل السيف، فضربه حتى برد، ثم ركب راحلته فنجا، و أنشأ يقول: أ لم ترني جلّلت بالسيف دابغا # و إن كان ثأرا لم يصبه غليلي

بوادي حنين ليلة البدر رعته # بأبيض من ماء الحديد صقيل

و قلت لهم: هذا الطريق أمامكم # و لم أك[3]إذ صاروا لهم بدليل

جرثومة العنزي يعير العديل

و قال أبو اليقظان: كان العديل هجا جرثومة العنزيّ الجلاّنيّ فقال[4]فيه: أهاجي بني جلاّن إذ لم يكن لها # حديث و لا في الأولين قديم

فأجابه جرثومة فقال:

و إنّ امرأ يهجو الكرام و لم ينل # من الثأر إلا دابغا للئيم

أ تطلب في جلاّن وترا ترومه # وفاتك بالأوتار شرّ غريم[5]

العديل يهرب من الحجاج

قالوا: و استعدى مولى دابغ على العديل الحجاج بن يوسف، و طالبه بالقود فيه، فهرب العديل من الحجاج إلى بلد الروم، فلما صار إلى بلد الروم لجأ إلى قيصر، فأمّنه، فقال في الحجاج: أخوّف بالحجاج حتّى كأنما # يحرّك عظم في الفؤاد مهيض

[1]في هج: «ظلال» بدل «خلال» ، و الشعر من السريع، ساكن الروى.

[2]الحقب كسبب: الحزام يلي حقو البعير.

[3]في س، ب: «و لم آل» ، و في بعض النسخ «ساروا» بدل «صاروا» .

[4]في س، م: «الجلان» و هو تحريف.

[5]في البيت أقواء.

و دون يد الحجاج من أن تنالني # بساط[1]لأيدي الناعجات عريض[2]

مهامه أشباه كأن سرابها # ملاء بأيدي الراحضات رحيض[3]

/فبلغ شعره الحجاج، فكتب إلى قيصر: لتبعثنّ به أو لأغزينّك جيشا يكون أوله عندك و آخره عندي، فبعث به قيصر إلى الحجاج، فقال له الحجّاج لما أدخل عليه: أ أنت القائل: و دون يد الحجاج من أن تنالي... فكيف رأيت اللّه أمكن منك؟قال: بل أنا القائل أيها الأمير: فلو كنت في سلمى أجا و شعابها # لكان لحجّاج عليّ سبيل

خليل أمير المؤمنين و سيفه # لكلّ إمام مصطفّى و خليل

بنى قبّة الإسلام حتى كأنّما # هدى الناس من بعد الضلال رسول

فخلّى سبيله، و تحمل دية دابغ في ماله.

الحجاج يعفو عن العديل

أخبرني عمي و حبيب بن نصر المهلبيّ، قال: حدثنا عبد اللّه بن أبي سعد قال: حدثني محمد بن منصور بن عطية الغنويّ قال: أخبرني جعفر بن عبيد اللّه بن جعفر عن أبي عثمان البقطريّ[4]قال: خرج العديل بن الفرخ يريد الحجاج، فلما صار ببابه حجبه الحاجب، فوثب عليه العديل، و قال: إنه لن يدخل على الأمير بعد رجالات قريش أكبر مني و لا أولى بهذا الباب، فنازعه الحاجب الكلام، فأحفظه، و انصرف العديل عن باب الحجاج إلى يزيد بن المهلب، فلما دخل إليه أنشأ يقول: لئن أرتج الحجاج بالبخل بابه # فباب الفتى الأزديّ[5]بالعرف يفتح

فتى لا يبالي الدهر ما قلّ ماله # إذا جعلت أيدي المكارم تسنح

يداه يد بالعرف تنهب ما حوت # و أخرى على الأعداء تسطو و تجرح

/اذا ما أتاه المرملون[6]تيقّنوا # بأن الغنى فيهم وشيكا سيسرح

أقام على العافين حرّاس بابه # ينادونهم و الحرّ بالحرّ يفرح

هلموا إلى سيب الأمير و عرفه # فإنّ عطاياه على الناس تنفح

و ليس كعلج من ثمود بكفّه # من الجود و المعروف حزم مطوّح[7]

[1]بساط: أرض منبسطة مستوية.

[2]الناعجات: السريعات.

[3]الراحضات: الغاسلات، و الرحيض: المغسول و في هج: الغاسلات.

[4]نسبة إلى بقطر: موضع بصعيد مصر على شاطئ مدينة قفط شرقي النيل.

[5]يقصد بالفتى الأزدي يزيد بن المهلب.

[6]المرملون: من نفد زادهم.

[7]في س، ب «مطرح» .

فقال له يزيد: عرّضت بنا و خاطرت بدمك، و باللّه لا يصل إليك و أنت في حيّزي، فأمر له بخمسين ألف درهم، و حمله[1]على أفراس، و قال له: الحق بعلياء نجد، و احذر أن تعلقك حبائل الحجاج أو تحتجنك محاجنه[2]، و ابعث إليّ في كل عام، فلك عليّ مثل هذا، فارتحل. و بلغ الحجاج خبره، فأحفظه ذلك على يزيد، و طلب العديل، ففاته، و قال لما نجا: و دون يد الحجاج من أن تنالني # بساط لأيدي الناعجات عريض

قال: ثم ظفر به الحجاج بعد ذلك، فقال: إيه، أنشدني قولك: و دون يد الحجاج من أن تنالني

فقال: لم أقل هذا أيها الأمير، و لكني قلت:

إذا ذكر الحجاج أضمرت خيفة # لها بين أحناء الضلوع نفيض

فتبسم الحجاج، و قال: أولى لك!و عفا عنه، و فرض له.

سادات بكر يشفعون له عند الحجاج

و قال أبو عمرو الشيباني: لما لجّ الحجاج في طلب العديل لفظته الأرض، و نبا به كلّ مكان هرب إليه، فأتى بكر بن وائل، و هم يومئذ بادون جميع، منهم بنو شيبان/و بنو عجل و بنو يشكر، فشكا إليهم أمره، و قال لهم: أنا مقتول، /أ فتسلمونني، هكذا و أنتم أعزّ العرب؟قالوا: لا و اللّه، و لكنّ الحجاج لا يراغ، و نحن نستوهبك منه، فإن أجابنا فقد كفيت، و أن حادّنا في أمرك منعناك، و سألنا أمير المؤمنين أن يهبك لنا. فأقام فيهم، و اجتمعت وجوه بكر ابن وائل إلى الحجّاج، فقالوا له: أيها الأمير، إنا قد جنينا جميعا عليك جناية لا يغفر مثلها، و ها نحن قد استسلمنا، و ألقينا بأيدينا إليك، فإمّا وهبت فأهل ذلك أنت، و إمّا عاقبت، فكنت المسلّط الملك العادل. فتبسّم، و قال: قد عفوت عن كل جرم إلا جرم الفاسق العديل، فقاموا على أرجلهم، فقالوا: مثلك أيها الأمير لا يستثني على أهل طاعته و أوليائه في شيء فإن رأيت ألاّ تكدّر مننك باستثناء، و أن تهب لنا العديل في أول من تهب!قال: قد فعلت فهاتوه قبّحه اللّه، فأتوه به، فلما مثل بين يديه أنشأ يقول: فلو كنت في سلمى أجا و شعابها # لكان لحجّاج عليّ دليل

بني قبة الإسلام حتى كأنّما # هدى الناس من بعد الضلال رسول

إذا جار حكم النّاس ألجأ حكمه # إلى اللّه قاض بالكتاب عقول

خليل أمير المؤمنين و سيفه # لكل إمام صاحب و خليل

به نصر اللّه الخليفة منهم # و ثبّت ملكا كاد عنه يزول

-و يروي: به نصر اللّه الإمام عليهم-

فأنت كسيف اللّه في الأرض خالد # تصول بعون اللّه حين تصول

[1]في س، ب «و أمر له» .

[2]محاجنه: عصيه المعوجة التي يختجن الناس بها كالخطاطيف.

و جازيت أصحاب البلاء بلاءهم # فما منهم عمّا تحبّ نكول

و صلت بمرّان[1]العراق فأصحبت # مناكبها للوطء و هي ذلول

/-[2]أقام الواحد مقام الجمع # في قوله: ذلول[2]-

أذقت الحمام ابني عباد فأصبحوا # بمنزل موهون الجناح ثكول[3]

و من قطريّ نلت ذاك و حوله # كتائب من رجّالة و خيول

إذا ما أتت باب ابن يوسف ناقتي # أتت خير منزول به و نزيل[4]

و ما خفت شيئا غير ربّي وحده # إذا ما انتحيت النفس كيف أقول؟

ترى الثقلين الجنّ و الأنس أصبحا # على طاعة الحجّاج حين يقول[5]

فقال له الحجّاج: أولى لك فقد نجوت!و فرض له، و أعطاه عطاءه، فقال يمدح سائر قبائل وائل، و يذكر دفعها عنه، و يفتخر بها: صرم الغواني و استراح عواذلي # و صحوت بعد صبابة و تمايل

و ذكرت يوم لوى عتيق نسوة # يخطرن بين أكلّة[6]و مراحل[7]

لعب النعيم بهنّ في أظلاله # حتى لبسن زمان عيش غافل

صوت

يأخذن زينتهنّ أحسن ما ترى # و إذا عطلن فهنّ غير عواطل

و إذا خبأن خدودهنّ أريننا # حدق المها و أجدن سهم القاتل

/و رميني لا يستترن بجنة # إلا الصّبا و علمن أين مقاتلي

/يلبسن أردية الشباب لأهلها # و يجرّ باطلهنّ حبل الباطل

الغناء في هذه الأبيات الأربعة لابن سريج ثاني ثقيل بالوسطى من رواية يحيى المكي، و ذكر الهشامي أنه من منحول يحيى المكي إلى ابن سريج.

بيض الأنوق[8]كأنّهنّ[9]، و من يرد # بيض الأنوق فوكرها بمعاقل

[1]مران العراق: قرية كثيرة العيون و الآبار و النخيل و المزارع لبني هلال و هي على طريق البصرة.

(2-2) تكلمة من هد، هج.

[3]في البيت إقواء.

[4]في البيت إقواء أيضا.

[5]في س، ب: «يصول» .

[6]أكلة: جمع إكليل بعد حذف همزته، كدليل و أدلة.

[7]مراحل: ثياب فيها صور الرحال.

[8]الأنوق: العقاب، و يقال: أعز من بيض الأنوق لأنها تحرزه في أوكارها في القلل الصعبة فلا يكاد أحد يظفر به.

[9]في س، ب: «يكسرهن» و هو تحريف.

زعم الغواني أن جهلك قد صحا # و سواد رأسك فضل شيب شامل[1]
و رآك أهلك منهم و رأيتهم # و لقد تكون مع الشباب الخاذل
و إذا تطاولت الجبال رأيتنا # بفروع أرعن... فوقها متطاول
و إذا سألت ابنى نزار بيّنا # مجدي و منزلتي من ابني وائل
حدبت بنو بكر عليّ و فيهم # كلّ المكارم و العديد الكامل
خطروا ورائي بالقنا و تجمّعت # منهم قبائل أردفوا[2]بقبائل
إن الفوارس من لجيم[3]لم تزل # فيهم مهابة كلّ أبيض ناعل
متعمّم بالتاج يسجد حوله # من آل هوذة[4]للمكارم حامل
أو رهط[5]حنظلة الذين رماحهم # سمّ الفوارس حتف موت عاجل
/قوم إذا شهروا السيوف رأوا لها # حقّا و لم يك سلّها للباطل
و لئن فخرت بهم لمثل قديمهم # بسط المفاخر للّسان القائل
أولاد ثعلبة[6]الذين لمثلهم # حلم الحليم و ردّ جهل الجاهل
و لمجد يشكر[7]سورة عاديّة # و أب إذا ذكروه ليس بخامل
و بنو القدار اذا عددت صنيعهم # وضح القديم لهم بكل محافل
و إذا فخرت بتغلب ابنة وائل # فاذكر مكارم من ندى و شمائل[8]
و لتغلب الغلباء عزّ بيّن # عاديّة[9]و يزيد فوق الكاهل
تسطو على النّعمان و ابن محرّق[10] # و ابني قطام بعزّة و تناول
بالمقربات[11]يبتن حول رحالهم # كالقدّ بعد أجلّة و صواهل
أولاد أعوج[12]و الصريح[13]كأنّها # عقبان يوم دجنّة و مخايل[14]

[1]في هج «و قشا برأسك» بدل «و سواد رأسك» .

[2]في ت «أردفت» .

[3]الجيم بن صعب بن وائل.

[4]هو هوذة بن علي وفد على كسرى و قاتل المنذر بن ماء السماء يوم عين أباغ.

[5]من بني عجل بن لجم.

[6]هو ثعلبة بن حنظلة.

[7]يشكر بن بكر بن وائل.

[8]في س، ب: «أوائل» .

[9]في هج: «أحلام ثوت» بدل «عز بين» .

[10]هو عمرو بن هند.

[11]المقربات: جمع مقربة، و هي الفرس تدنى و تكرم.

[12]فحل من الخيل لبني هلال تنسب إليه الخيل الأعوجيات.

[13]اسم فرس كريم لعبد يغرث بن حرب و آخر لبني نهشل و ثالث للخم.

[14]كذا في ف و هي جمع المخيلة: السحابة التي تحسبها ماطرة و في بعض النسخ: تخايل، و في س، ب: تحايل.

يلقطن بعد أزومهنّ[1]على الشّبا[2] # علق[3]الشكيم بألسن[4]و جحافل

/قوم هم قتلوا ابن هند عنوة # و قنا الرماح تذود ورد الناهل

منهم أبو حنش[5]و كان بكفّه # ريّ السّنان و ريّ صدر العامل

و مهلهل الشعراء إن فخروا به # و ندى كليب عند فضل النائل

حجب المنيّة دون واحد أمّه # من أن تبيت و صدرها ببلابل

كفى مجالسة السّباب[6]فلم يكن # يستبّ[7]مجلسه و حقّ النازل

حتى أجار على الملوك فلم يدع # حربا[8]و لا صعرا لرأس مائل

في كل حيّ للهذيل و رهطه # نعم و أخذ كريمة بتناول

/بيض كرائم ردّهن لعنوة # أسل القنا و أخذن غير أرامل

أبناؤهنّ من الهذيل و رهطه # مثل الملوك و عشن غير عوامل

و قال أبو عمرو أيضا: قال: العديل لرجل من موالي الحجّاج كان وجّهه في جيش إلى بني عجل يطلب العديل حين هرب منه، فلم يقدر عليه، فاستاق إبله، و أحرق بيته، و سلب امرأته و بناته و أخذ حليّهن، فدخل العديل يوما على الحجّاج و مولاه هذا بين يديه واقف فتعلّق بثوبه و أقبل عليه و أنشأ يقول:

صوت

سلبت بناني حليهنّ فلم تدع # سوارا و لا طوقا على النّحر مذهبا

-هكذا في الشعر: سلبت بناتي، و الغناء فيه: سلبت الجواري حليهن-

و ما عزّ في الآذان حتى كأنما # تعطّل بالبيض الأوانس ربربا

/عواطل إلا أن ترى بخدودها # قسامة[9]عتق أو بنانا مخضّبا

فككت البرين[10]عن خدال[11] # كأنها برادىّ[12]غيل[13]ماؤه قد تنضّبا[14]

[1]أزومهنّ: عضهن.

[2]الشبا: اسم جمع شباة و هي حد كل شيء.

[3]علق: كل ما يعلق بغيره.

[4]الشكيم: الحديدة المعترضة في فم الفرس من اللجام.

[5]هو عوف بن عمرو بن عوف بن مالك، من الأوس.

[6]في س، ب «و أبى مجالسة الشباب» .

[7]يستب: يتشاتم.

[8]في س، ب: «حدبا» .

[9]قسامة: حسن.

[10]البرين: جمع برة و هي هنا الخلخال.

[11]خدال السوق الغليظة المستديرة جمع خدلة.

[12]برادي: جمع بردى بفتح الباء، و هو نبات مائي يكتب على أوراقه إذا جفت.

[13]غيل: أجمة و كل واد فيه ماء.

[14]تنضب: غار و ذهب ماؤه، و لعله مطاوع نضب، و لم نجده في المعاجم التي بأيدينا.

من الدّر و الياقوت عن كل حرّة # ترى سمطها بين الجمان مثقّبا

دعون أمير المؤمنين فلم يجب # دعاء و لم يسمعن أمّا و لا أبا

غنّى في الأول و الرابع من هذه الأبيات أحمد النصيبي الهمذانيّ ثان ثقيل بالسبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق، و فيهما ثقيل أول بالسّبابة و الوسطى، نسبه ابن المكي إلى عبد الرحيم الدّقّاف، و نسبه الهشاميّ إلى عبد اللّه ابن العباس.

أصاب رجل من رهط العديل أنف رجل من عجل فقال العديل في ذلك شعرا

و قال أبو عمرو الشيباني: أصاب رجل من رهط العديل من بني العكابة أنف رجل من بني عجل يقال له جبّار، فقال العديل في ذلك-و كان عدوّا له: أ لم تر جبّارا و مارن أنفه # له ثلم يهوين أن يتنخّعا[1]

و نحن جدعنا أنفه فكأنما # يرى الناس أعداء إذا هو أطلعا

كلوا أنف جبّار بكارا[2]فإنما # تركناه عن فرط من الشّرّ أجدعا

معاقد من أيديهم و أنوفهم # بكارا و نيبا[3]تركب الحزن ظلّعا[4]

/قال: و كان رجل[5]من رهط العديل أيضا ضرب يد وكيع أحد بني الطاغية، و هما يشربان، فقطعها و افترقا، ثم هرب العديل و أبوه إلى بني قيس بن سعد لما قال الشعر الأول يفخر بقطع أنف جبّار و يد وكيع؛ لأنهم حلفوا أن يقطعوا أنفه و يده دون من فعل ذلك بهم، فلجأ إلى عفير بن جبير بن هلال بن مرة بن عبد اللّه بن معاوية بن عبد بن سعد بن جشم بن قيس بن عجل، فقال العديل في ذلك: تركت وكيعا بعد ما شاب رأسه # أشلّ اليمين مستقيم الأخادع[6]

فشرّب[7]بها ورق[8]الإفال[9] وكل بها # طعام الذليل و انجحر[10]في المخادع

فقالت بنو قيس بن سعد للفرخ أبي العديل: يا فرخ؛ أنصف قومك، و أعطهم حقّهم، /فركب إليهم الفرخ، و معه حسّان بن وقّاف و دينار (رجلان من بني الحارث) فأسرته بنو الطاغية، و انتزعوه من الرجلين، و توجّهوا به نحو البصرة، فرجع حسان و دينار إلى قومهما مستنفرين لهم، فركب النفير في طلب بني الطاغية، فأدركوا منهم رجلا [1]يتنخع: يلقي أو يرمي نخاعته.

[2]بكارا: مسرعين مبادرين.

[3]في س، ب: «و شيئا» .

[4]ظلعا: غامزة في مشيتها من الإعياء، جمع ظالع.

[5]في س، ب: كان رهط العديل.

[6]الأخادع: جمع أخدع و هو شعبة من الوريد.

[7]كذا في ف و معناه أطعم بها، و في س، ب: «تشرب» .

[8]ورق: جمع أورق و هو ما في لونه بياض إلى سواد.

[9]الإفال: جمع أفيل و هو الصغير من الإبل و قد يجمع على أفائل على غير قياس.

[10]في س، ب: «انحجر» .

فأسروه[1]بدل الفرخ. ثم إن عفيرا لحق بهم[1]، فاشترى منهم الجراحة بسبعين بعيرا، و أخذ الفرخ منهم فأطلقه، فقال العديل في ذلك: ما زال في قيس بن سعد لجارهم # على عهد ذي القرنين معط و مانع

هم استنقذوا حسّان قسرا و أنتم # لئام المقام و الرماح شوارع

غدرتم بدينار و حسّان غدرة # و بالفرخ لما جاءكم و هو طائع

/فلو لا بنو قيس بن سعد لأصبحت # عليّ شدادا[2]قبضهنّ الأصابع

ألاّ تسألون ابن المشتّم عنهم # جعامة و الجيران واف و ظالع[3]

أخبرني جعفر بن قدامة قال: حدثنا الرّياشي عن الأصمعيّ قال: قال أبو النجم للعديل بن الفرخ: أ رأيت قولك: فإن تك من شيبان أمّي فإنّني # لأبيض عجليّ عريض المفارق؟

أ كنت شاكّا في نسبك حين قلت هذا؟فقال له العديل: أ فشككت في نفسك أو شعرك حين قلت: أنا أبو النجم و شعري شعري # للّه درّي ما يجنّ صدري

فأمسك أبو النّجم و استحيا.

العديل و مالك بن مسمع

أخبرني أبو دلف هاشم بن محمد الخزاعيّ قال: حدثنا الرياشيّ عن العتبيّ قال: حمل زياد إلى معاوية مالا من البصرة، ففزعت تميم و الأزد و ربيعة إلى مالك بن مسمع، و كانت ربيعة مجتمعة عليه كاجتماعها على كليب في حياته، و استغاثوا به، و قالوا: يحمل المال، و نبقى بلا عطاء فركب مالك بن ربيعة، و اجتمع الناس إليه، فلحق بالمال فرده، و ضرب فسطاطا بالمربد، و أنفق المال في الناس حتى وفّاهم عطاءهم، ثم قال: إن شئتم الآن أن تحملوا فاحملوا، فما راجعه زياد في ذلك بحرف، فلما ولي حمزة بن عبد اللّه ابن الزبير البصرة جمع مالا؛ ليحمله إلى أبيه، فاجتمع الناس إلى مالك، و استغاثوا به، ففعل مثل فعله بزياد، فقال العديل بن الفرخ في ذلك: إذا ما خشينا من أمير ظلامة # دعونا أبا غسّان يوما فعسكرا

ترى الناس أفواجا إلى باب داره # إذا شاء جاءوا دار عين و حسّرا[4]

/و أول هذه القصيدة:

(1-1) تكملة عن ف.

[2]في ف: «شديدا» .

[3]ظالع: غامز في مشيه.

[4]حسر: جمع حاسر: من لا سلاح معه.

أ من منزل من أم سكن عشيّة # ظللت به[1]أبكى حزينا مفكرا

معى كلّ مسترخي الإزار كأنه # إذا ما مشى من جنّ غيل و عبقرا[2]

يزجّي[3]المطايا لا يبالي كلينهما[4] # مقلّصة[5]خوصا[6]من الأين[7]ضمّرا

العديل شاعر بكر بن وائل

أخبرني حبيب بن نصر المهلبيّ قال: حدّثنا عبد اللّه بن أبي سعد قال: حدثني عليّ بن الحسن الشيبانيّ قال: حدثني عبدة بن عصمة بن معبد القيسيّ قال: حدثني جدي أبو أمي/فراس بن خندف، عن أبيه، عن جده عليّ بن شفيع قال: لقيت الفرزدق منصرفه عن بكر بن وائل؛ فقلت له: يا أبا فراس: من شاعر بكر بن وائل ممّن خلفته خلفك؟ قال: أميم بني عجل- يعني العديل بن الفرخ-على أنه ضائع الشعر، سروق للبيوت.

مدح أو تحريض

أخبرني جعفر بن قدامة قال: حدثني محمد بن عبد اللّه بن مالك الخزاعيّ عن إسحاق عن الهيثم بن عديّ، عن حماد الراوية قال: لما قدم الحجّاج العراق قال العديل بن الفرخ:

دعوا الجبن يا أهل العراق فإنّما # يهان و يسبى كلّ من لا يقاتل

لقد جرّد الحجاج للحقّ سيفه # ألا فاستقيموا لا يميلنّ مائل

/و خافوه حتى القوم بين ضلوعهم # كنزو القطا ضمّت عليه الحبائل

و أصبح كالبازي يقلّب طرفه # على مرقب و الطير منه دواحل[8]

قال: فقال الحجاج-و قد بلغته-لأصحابه: ما تقولون؟قالوا: نقول: إنه مدحك، فقال: كلاّ و لكنه حرّض عليّ أهل العراق، و أمر بطلبه فهرب و قال: أخوّف بالحجاج حتى كأنما # يحرّك عظم في الفؤاد مهيض

و دون يدي الحجّاج من أن تنالني # بساط لأيدي الناعجات عريض

مهامه أشباه كأنّ سرابها # ملاء بأيدي الغاسلات رحيض

[1]في س، ب: «بها» .

[2]غيل و عبقر: مكانان تزعم العرب أنهما من مساكن الجن.

[3]في س، ب: «منيخي» .

[4]في س، ب: «كلاهما» .

[5]في س، ب: «ملفصة» ، و معناها مسرعة.

[6]خوص: جمع خوصاء أي غائرة العين.
[7]من الأين: من التعب.
[8]دواحل، معناها فارة و مستترة و في س، ب: «رواحل» . ـ

فجدّ الحجاج في طلبه حتى ضاقت عليه الأرض، فأتى واسطا، و تنكّر، و أخذ رقعة بيده، و دخل إلى الحجّاج في أصحاب المظالم، فلما وقف بين يديه أنشأ يقول: ها أنا ذا ضاقت بي الأرض كلّها # إليك و قد جوّلت كلّ مكان

فلو كنت في ثهلان[1]أو شعبتي أجا # لخلتك إلا أن تصدّ تراني

فقال له الحجاج: العديل أنت؟قال: نعم، أيها الأمير، فلوى قضيب خيزران كان في يده في عنقه، و جعل يقول: إيه

بساط لأيدي الناعجات عريض

فقال: لا بساط إلاّ عفوك، قال: اذهب حيث شئت:

حوشب بن يزيد و عكرمة بن ربعي يتنازعان الشرف

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال: حدثنا أحمد بن الهيثم بن فراس قال: حدثنا العمريّ، عن الهيثم بن عديّ، عن ابن عياش قال: كان حوشب[2]بن يزيد بن الحويرث بن رويم الشيبانيّ و عكرمة بن ربعيّ البكريّ، يتنازعان الشرف، و يتباريان في إطعام الطعام و نحر الجزر في عسكر مصعب، /و كاد حوشب يغلب عكرمة لسعة يده. قال: و قدم عبد العزيز بن يسار مولى بجير-قال؛ و هو زوج أم شعبة الفقيه-بسفائن دقيق، فأتاه عكرمة فقال له؛ اللّه اللّه فيّ، قد كاد حوشب أن يستعليني، و يغلبني بماله، فبعني هذا الدقيق بتأخير، و لك فيه مثل ثمنه ربحا، فقال: خذه، و أعطاه إياه فدفعه إلى قومه، و فرّقه بينهم، و أمرهم بعجنه كلّه، فعجنوه كلّه، ثم جاء بالعجين كلّه، فجمعه في هوّة عظيمة، و أمر به، فغطّي بالحشيش، و جار برمكة[3]، فقرّبوها إلى فرس حوشب، حتى طلبها، و أفلت، ثم ركضوها بين يديه و هو يتبعها، حتى ألقوها في ذلك العجين و تبعها الفرس، حتى تورّطا في العجين و بقيا فيه جميعا، و خرج قوم عكرمة؛ يصيحون في العسكر: يا معشر المسلمين ادركوا فرس حوشب، /فقد غرق في خميرة عكرمة فخرج الناس تعجّبا من ذلك أن تكون خميرة يغرق فيها فرس، فلم يبق في العسكر أحد إلا ركب ينظر، و جاءوا إلى الفرس-و هو غريق في العجين ما يبين منه إلا رأسه و عنقه-فما أخرج إلا بالعمد و الحبال، و غلب عليه عكرمة، و افتضح حوشب، فقال العديل بن الفرخ يمدحهما، و يفخر بهما: و عكرمة الفيّاض فينا و حوشب # هما فتيا الناس اللّذا لم يغمّرا

هما فتيا الناس اللذا لم ينلهما # رئيس و لا الأقيال من آل حميرا

قال: و في حوشب يقول الشاعر:

و أجود بالمال من حاتم # و أنحر للجزر[4]من حوشب

[1]ثهلان: جبل لنمير.

[2]في جمهرة الأنساب: «هو حوشب بن ريط بن الحارث بن يزيد بن رويم» .

[3]الرمكة: الفرس و البرذونة تتخذ للنسل.

[4]في ف: البزل جمع بازل: البعير القوى في تاسع سنيه.

شعر العديل بين السهل و الفحل

أخبرني محمد بن يونس الكاتب قال: حدثنا أحمد بن عبيد، عن الأصمعيّ قال: دخلت على الرشيد يوما و هو محموم فقال: أنشدني يا أصمعي شعرا مليحا، فقلت: أ رصينا/فحلا تريده يا أمير المؤمنين أم شجيّا سهلا؟فقال: بل غزلا بين الفحل و السّهل، فأنشدته للعديل بن الفرخ العجليّ: صحا عن طلاب البيض قبل مشيبه # و راجع غضّ الطرف فهو خفيض

كأنّي لم أرع الصّبا و يروقني # من الحيّ أحوى المقلتين غضيض

دعاني له يوما هوى فأجابه # فؤاد إذا يلقى المراض مريض

لمستأنسات بالحديث كأنّه # تهلّل غرّ برقهنّ وميض

فقال لي: أعدها، فما زلت أكررها عليه، حتى حفظها.

أخبرني أبو الحسن الأسديّ قال: حدثني الرياشيّ، عن محمد بن سلاّم، قال:

موته و رثاء الفرزدق له

قدم العديل بن الفرخ البصرة، و مدح مالك بن مسمع الجحدريّ، فوصله، فأقام بالبصرة، و استطابها، و كان مقيما عند مالك، فلم يزل بها إلى أن مات، و كان ينادم الفرزدق، و يصطحبان فقال الفرزدق يرثيه: و ما ولدت مثل العديل حليلة # قديما و لا مستحدثات الحلائل

و ما زال مذ شدّت يداه إزاره # به تفتح الأبواب بكر بن وائل

صوت

إني بدهماء عزّ ما أجد # عاودني من حبابها زود

عاودني حبّها و قد شحطت # صرف نواها فإنني كمد

قوله: «عزّ ما أجد» أي. شدّ ما أجد. و حبابها: حبّها، و هو واحد ليس بجمع؛ و الزّؤد: الفزع و الذعر.

و صرف نواها: الوجه الذي تصرف إليه قصدها إذا نأت. و الكمد: شدّة الحزن.

الشعر لصخر الغيّ الهذليّ، هكذا ذكر الأصمعيّ و أبو عمرو الشيبانيّ، و ذكر إسحاق عن أبي عبيدة أنه رأى جماعة من شعراء هذيل يختلفون في

هذه القصيدة فيرويها بعضهم لصخر الغيّ، و يرويها بعضهم لعمرو ذي الكلب، و أن الهيثم بن عدي حدّثه عن حمّاد الراوية أنها لعمرو ذي الكلب.

38-أخبار صخر الغي و نسبه

اسمه و نسبه

هو صخر بن عبد اللّه الخيشمي، أحد بني خيثم بن عمرو بن الحارث بن تميم بن سعد بن هذيل. هذا أكثر ما وجدته من نسبه، و لقب بصخر الغيّ لخلاعته، و شدة بأسه، و كثرة شرّه.

فمن روى هذه القصيدة له، ذكر أن السبب فيها أن جارا لبني خناعة بن سعد بن هذيل من بني الرمداء كان جاورهم رجل من بني مزينة، و قيل: إنه كان جارا لأبي المثلّم الشاعر، و هو أخوهم، فقتله[1]صخر الغيّ فمشى أبو المثلم إلى قومه، و بعثهم على مطالبته بدم جارهم المزني و الإدراك بثأره، فبلغ ذلك صخرا فقال هذه القصيدة يذكر أبا المثلّم و ما فعله، فأولها البيتان اللذان فيهما الغناء و فيها يقول: و لست عبدا للموعدين و لا # أقبل ضيما أتى به أحد

جاءت كبير كيما[2]أخفّرها # و القوم سيد كأنهم رمدوا

في المزنيّ الذي حششت[3]به # مال ضريك[4]تلاده نكد

إن أمتسكه فبالفداء و إن # أقتل بسيفي فإنه قود

و لصخر و أبي المثلم في هذا مناقضات و قصائد قالاها، و أجاب كلّ واحد منهما صاحبه، يطول ذكرها و ليس من جنس هذا الكتاب.

الأعلم العداء

و حكى الأثرم عن أبي عبيدة أنه حدّث عن عبد اللّه بن إبراهيم الجمحيّ قال: كان الأعلم أخو صخر الغيّ أحد صعاليك هذيل، و كان يعدو على رجليه عدوا لا يلحق، و اسمه حبيب بن عبد اللّه، فخرج هو و أخواه صخر و صخير، حتى أصبحوا تحت جبل يقال له السّطاع[5]، في يوم من أيام الصيف شديد الحرّ، و هو متأبّط قربة لهم فيها ماء، فأيبستها السّموم، و عطشوا حتى لم يكادوا أن يبصروا من العطش، فقال الأعلم لصاحبيه: أشرب من القربة لعلي أن أرد الماء فأروى منه و انتظراني مكانكما، و كانت بنو عديّ بن الدّيل على [1]في س، ب: «فرآه» و لا معنى له.

[2]في س، ب: «كثيرا كيما أحقرها» .

[3]حششت: قويت.

[4]كذا في ف و «الديوان» و هو الفقير السيئ الحال و في س، ب: «طريف» .

[5]سطاع، بكسر أوله: جبل بينه و بين مكة مرحلة و نصف من جهة اليمين.

ذلك الماء و هو ماء الأطواء[1]، يتفيئون بنخل متأخّر عن الماء قدر رمية سهم. فأقبل يمشي متلثّما، و قد وضع سيفه و قوسه و نبله فيما بينه و بين صاحبه، فلما برز للقوم مشى رويدا مشتملا، فقال بعض القوم: من ترون الرجل؟ فقالوا: نراه بعض بني مدلج بن مرة.

ثم قالوا لبعضهم: الق الفتى، فاعرفه، فقال لهم: ما تريدون بذلك الرجل؟هو آتيكم إذا شرب، فدعوه فليس بمفيتنا، فأقبل يمشي حتى رمى برأسه في الحوض مدبرا عنهم بوجهه، فلما روي أفرغ على رأسه من الماء، ثم أعاد نقابه، و رجع في طريقه رويدا، فصاح القوم بعبد لهم كان على الماء: هل عرفت الرجل الذي صدر؟قال: لا، فقالوا: فهل رأيت وجهه؟قال: نعم، هو مشقوق الشّفة، فقالوا: هذا الأعلم، و قد صار بينه و بين الماء مقدار رمية سهم آخر، فعدوا في أثره، و فيهم رجل يقال له: جذيمة ليس في القوم مثله عدوا، فأغروه به، و طردوه فأعجزهم، و مرّ على سيفه و قوسه و نبله، فأخذه، ثم مرّ بصاحبيه فصاح بهما فضبرا[2]معه، فأعجزوهم، فقال الأعلم في ذلك: /

لما رأيت القوم بال # علياء دون قدي[3]المناصب[4]

و فريت[5]من فزع فلا # أرمي و لا ودّعت صاحب

/يغرون صاحبهم بنا # جهدا و أغري غير كاذب[6]

أغري أخي[7]صخرا ليعـ # جزهم و مدّوا بالحلائب[8]

و خشيت وقع ضريبة[9] # قد جرّبت كلّ التجارب

فأكون صيدهم بها # و أصير[10]للضّبع السّواغب

جزرا و للطير المربّ # ة[11]و الذئاب و للثّعالب

/و هي قصيدة طويلة.

[1]كذا في «شرح السكري لديوان الهذليين» ، و لعل المراد بالأطواء قرية باليمامة أو مياه لبني عامر، و في س، ب: «أطوافهم» ، و لم نعثر له على معنى.

[2]ضبرا معه: عدوا معه.

[3]كذا في ف و «الديوان» و معناه قدر، و في س، ب: قرى، و هو تحريف. و المناصب: الأغراض و المرامي.

[4]المناصب: المباري المنافس.

[5]فريت: تحيرت و دهشت.

[6]في هج، هد: و أغرى كل كاذب.

[7]في «الديوان» : «أبا وهب» .

[8]الحلائب: الجماعات جمع حلبة غير قياس.

[9]ضريبة: سيف.

[10]كذا في «الديوان» و في النسخ: الذئب بدل و أصير.

[11]المربة: المقيمة الملازمة.

صوت

صخر يرثي أخاه أبا عمرو

و قالوا جميعا: خرج صخر الغيّ و أخوه أبو عمرو في غزاة لهما، فباتا في أرض رملة، فنهشت أخاه أبا عمرو حيّة، فمات، فقال يرثيه: لعمر أبي عمرو لقد ساقه المنا # إلى جدث يوزي له بالأهاضب

لحيّة جحر في وجار[1]مقيمة # تنمّى[2]بها سوق المنا و الجوالب

أخي لا أخا لي بعده سبقت به # منيّته جمع الرّقي و الطبائب

و ذلك مما يحدث الدهر إنه # له كل مطلوب جثيث و طالب

-يوزي له: يمني له. و الإزاء: مهراق الدلو. و الأهضب: الجبال- و قال الأثرم عن أبي عبيدة: خرج صخر الغيّ في طائفة من قومه يقدمها خوفا من أبي المثلّم، فأغار على بني المصطلق من خزاعة، فانتظر بقية أصحابه، و نذرت به بنو المصطلق، فأحاطوا به فقال: لو أن أصحابي بنو معاوية # أهل جنوب[3]النخلة الشّامية

و رهط دهمان و رهط عادية # ما تركوني للذئب العاوية

و جعل يرميهم و يرتجز و يقول:

لو أن أصحابي بنو خناعة # أهل النّدى و المجد و البراعة

/تحت جلود البقر القرّاعة[4] # لمنعوا من هذه اليراعه[5]

و قال أيضا و هو يقاتلهم:

لو أن حولي من قريم[6]رجلا # بيض الوجوه يحملون النّبلا

لمنعوني نجدة و رسلا # سفع الوجوه لم يكونوا عزلا

مقتل صخر و رثاؤه

-يقول: منعوني بنجدة و شدّة و على رسلهم بأهون سعي. قال: فلم يزل يقاتلهم حتى قتلوه- و بلغ ذلك أبا المثلّم، فقال يرثيه: [1]الوجار: كل حجر يسكن فيه حنش من أحناش الأرض.

[2]تنمى: ارتفع.

[3]جنوب: جمع جنب بمعنى ناحية.

[4]القراعة: الصلبة.

[5]اليراعة: الضعيف، و في «الديوان» : «المراعة» .
[6]قريم: حي من هذيل.

رثاء أبي المثلم له

لو كان للدهر مال عند متلده # لكان للدّهر صخر مال قنيان[1]

آبي الهضيمة آت[2]بالعظيمة متـ # لاف الكريمة لا سقط و لا واني

حامي الحقيقة نسال[3]الوديقة[4]معـ # تاق الوسيقة[5]جلد غير ثنيان[6]

رقاء[7]مرقبة، منّاع مغلبة # ركّاب سلهبة[8]، قطاع أقران[9]

هباط أودية شهّاد أندية # حمّال ألوية سرحان فتيان/

-السرحان: الأسد في لغة هذيل و في كلام غيرهم الذئب-

يحمي الصحاب إذا جدّ الضّراب و يكـ # في القائلين إذا ما كبّل العاني[10]

فيترك القرن مصفرّا أنامله # كأنّ في ربطتيه نضخ إرقان

-الإرقان: اليرقان، يعني صفرته-/

يعطيك ما لا تكاد النفس تسلمه # من التلاد و هوب غير منّان[11]

[1]في س، ب: «قينان» تحريف.

[2]في «الديوان» و في ف «نائب» .

[3]سال: مسرع.

[4]الوديقة: شدة الحر.

[5]الوسيقة: الطريدة، يريد أنه إذا طرد عليه طريدة أنجاها و سبق بها و العرب تقول: فلان يحمي الحقيقة، و ينسل الوديعة، الرجل الشمر القوي.

[6]في س، ب: «شيبان» و هو تحريف.

[7]في «الديوان» : «رباء» بمعنى علا و ارتفع.

[8]سلهبة: جسيمة طويلة.

[9]أقران: جمع قرن، و هو الحبل، يريد أنه وصول للأخوان قطوع لمن سواهم.

[10]كذا في «الديوان» ، و في س، ب: «كيل الهاني» .

[11]في «الديوان» «ترسله» بدل «تسلمه» .

39-نسب عمرو ذي الكلب و أخباره

اسمه و نسبه

هو عمرو بن العجلان بن عامر بن برد بن منبّه، أحد بني كاهل بن لحيان بن هذيل.

قال السكريّ عن محمد بن حبيب عن ابن الأعرابي: إنّما[1]سمي ذا الكلب لأنه كان له كلب لا يفارقه.

و عن الأثرم عن أبي عبيدة أنه قال: لم يكن له كلب لا يفارقه، إنما خرج غازيا و معه كلب يصطاد به، فقال له أصحابه: يا ذا الكلب، فثبتت عليه.

قال: و من الناس من يقول له عمرو الكلب، و لا يقول فيه: «ذو» .

قال: و كان يغزو بني فهم غزوا متّصلا، فنام ليلة في بعض غزواته، فوثب عليه نمران فأكلاه فادّعت فهم قتله، هكذا في هذه الرواية.

عمرو ذو الكلب و أم جليحة

و قد أخبرني عليّ بن سليمان الأخفش، قال: حدثنا أبو سعيد السكريّ، عن محمد بن حبيب عن ابن الأعرابي و أبي عبيدة عن ابن الأعرابي عن المفضّل و غيرهم من الرواة قالوا: كان من حديث عمرو ذي الكلب الهذليّ- و كان من رجالهم-أنه كان قد علق امرأة من فهم يقال لها: أم جليحة، فأحبّها و أحبته، و كان أهلها قد وجدوا عليها و عليه، و طلبوا دمه، إلى أن جاءها عاما من ذلك، فنذروا به، فخرجوا في أثره، و خرج هاربا منهم فتبعوه يومهم ذلك، و هم على أثره، حتى أمسى، و هاجت عليه ريح شديدة في ليلة ظلماء، فبينا هو يسير على ظهر الطريق إذ رأى نارا عن يمينه، فقال: أخطأت و اللّه الطريق و إن النار[2]لعلى الطّريق، فحار و شكّ، و قصد للنّار، حتى أتاها، و قد كان يصيح، فإذا رجل قد أوقد نارا ليس معه أحد، فقال له عمرو ذو الكلب: من أنت؟قال: أنا رجل من عدوان، /قال، فما اسم هذا المكان؟قال السّدّ، فعلم أنه قد هلك و أخطأ-و السدّ شيء لا يجاوز-قال: ويلك!فلم أوقدت، فو اللّه ما تشتوي[3]، و لا تصطلي، و ما أوقدت إلا لمنية عمرو الشّقي، هل عندك شيء تطعمني؟قال: نعم، فأخرج له ثمرات قد نقّاها في يده، فلما رآها قال: ثمرات، تتبعها عبرات من نساء خفرات، ثم قال: اسقني، قال: ما ذا؟أ لبنا؟قال: لا، و لكن اسقني ماء قراحا، فإني مقتول صباحا، ثم انطلق، فأسند في السّد، و رأى القوم الذين جاءوا في طلبه أثره، حيث أخطأ، فاتبعوه، حتى وجدوه [1]في س، ب: «إنه» .

[2]في س، ب: «الناس» .

[3]في س، ب: «تشرب» .

فدخل غارا في السّد، فلما ظهروا للسّدّ علموا أنه في الغار فنادوه، فقالوا: يا عمرو، قال: ما تشاءون؟قالوا: اخرج، قال: فلم دخلت إذن؟قالوا: بلى، فاخرج، قال: لا أخرج، قالوا: فأنشدنا قولك: و مقعد كربة قد كنت منها[1] # مكان الإصبعين من القبال[2]

قال: ها هي ذه أنا فيها. قال: و عنّ له رجل من القوم، فرماه عمرو فقتله، فقالوا: أ قتلته يا عدوّ اللّه؟أجل، و لقد بقيت معي أربعة أسهم كأنها أنياب أمّ جليحة لا تصلون إليّ أو أقتل بكل سهم منها رجلا منكم، فقالوا لعبدهم: يا أبا نجاد، أدخل عليه، و أنت حرّ، فتهيأ للدخول أبو نجاد عليه، فقال له عمرو: ويلك!يا أبا نجاد، ما ينفعك أن تكون حرّا إذا قتلتك؟فنكص[3]عنه، فلما رأوا ذلك صعدوا، فنقبوا عليه، ثم رموه حتى قتلوه، و أخذوا سلبه، فرجعوا به إلى/أم جليحة و هي تتشوّف، فلما رأوها قال لها: يا أمّ جليحة، ما رأيك في عمرو، قالت: رأيي و اللّه أنكم طلبتموه سريعا، و وجدتموه منيعا[4]، و وضعتموه صريعا؟فقالوا: و اللّه لقد قتلناه، فقالت: و اللّه/ما أراكم فعلتم، و لئن كنتم فعلتم، لربّ ثدي منكم قد افترشه، و ضبّ قد احترشه[5]، فطرحوا إليها ثيابه، فأخذتها، فشمّتها، فقالت: ريح عطر و ثوب عمرو، أما و اللّه ما وجدتموه ذا حجزة[6]جافية، و لا عانة وافية، و لا ضالة[7] كافية.

أخته ترثيه

و قالت ريطة أخت عمر و ذي الكلب ترثيه:

كلّ امرئ لمحال[8]الدهر مكروب # و كلّ من غالب الأيام مغلوب

و كلّ حيّ و إن غزوا و إن سلموا # يوما طريقهم في الشّرّ دعبوب[9]

أبلغ هذيلا و أبلغ من يبلّغها # عنّي رسولا و بعض القول تكذيب

بأنّ ذا الكلب عمرا خيرهم نسبا # ببطن شريان يعوي حوله الذيب[10]

الطاعن الطعنة النجلاء يتبعها # مثعنجر[11]من نجيع الجوف أسكوب[12]

[1]في س، ب: «فيها» .

[2]القبال، ككتاب: الزمام في النعل بين الإصبع الوسطى و التي تليها.

[3]في س، ب: «نكصوا» .

[4]في س، ب: «تبيعا» .

[5]احترشه: صاده، و ذلك بأن يحرك يده على باب جحره ليظنها حية، فيخرج ذنبه ليضربها فيأخذه.

[6]الحجزة: موضع التكة من الإزار و هذا كناية عن عفته.

[7]المراد بها السلاح كله على سبيل الاتساع.

[8]محال: قوة، و يروى بطوال الدهر بمعنى طويل، و يروى بخوال الدهر أي بغيره و صروفه.

[9]ف «مكذوب» مأخوذ من كذبته نفسه إذا منته الأماني، و الدعبوب: الطريق الموطوء.

[10]موضع أو واد باليمن يقال إن به قبر عمرو.

[11]مثعنجر: سائل.

[12]أسكوب: منسكب أو مسكوب.

و التارك القرن مصفرا أنامله # كأنه من نقيع الورس[1]مخضوب

تمشي النسور إليه و هي لاهية # مشى العذارى عليهنّ الجلابيب

و المخرج العاتق العذراء مذعنة # في السّبي ينفح من أردانها الطيب

صوت

يا دار عمرة من محتهلّها[2]الجرعا[3] # هاجت لي الهمّ و الأحزان و الوجعا

أرى بعيني إذا مالت حمولتهم # بطن السلوطح[4]لا ينظرون من تبعا[5]

طورا أراهم و طورا لا أبينهم # إذا ترقّع حدج ساعة لمعا

الشعر للقيط الأيادي ينذر قومه قصد كسرى لهم، و الغناء لكردم بن معبد هزج بالبنصر من روايتي حبش و الهشامي.

[1]في س، «ب من رجيع الجوف مخضوب» .

[2]في س، ب من «يحتلها» .

[3]الجرع: الرملة لا تنبت شيئا. و هي هنا موضع.

[4]السلوطح: موضع بالجزيرة قريب من البشر.

[5]ف: «مرتبعا» .

40-خبر لقيط و نسبه و السبب في قوله الشعر

اسمه و نسبه

هو لقيط بن يعمر. شاعر جاهليّ قديم مقلّ، ليس يعرف له شعر غير هذه القصيدة و قطع من الشعر لطاف متفرقة.

غزو كسرى لإياد

أخبرني بخبر هذا الشعر عمي قال: حدثني القاسم بن محمد الأنباريّ قال: حدثني أحمد بن عبيد قال: حدثني الكليبيّ عن الشّرق بن القطامي قال: كان سبب غزو كسرى إيادا أن بلادهم أجدبت، فارتحلوا حتى نزلوا بسنداد[1]و نواحيها، فأقاموا بها دهرا حتى أخصبوا و كثروا، و كانوا يعبدون صنما يقال له: ذو الكعبين[2]، و عبدته بكر بن وائل من بعدهم، فانتشروا ما بين سنداد إلى كاظمة و إلى بارق[3]و الخورنق، و استطالوا على الفرات، حتى خالطوا أرض الجزيرة، و لم يزالوا يغيرون على ما يليهم[4]. من أرض السواد، و يغزون ملوك آل صر، حتى أصابوا امرأة من أشراف العجم كانت عروسا قد هديت[5]إلى زوجها، فولي ذلك منها سفهاؤهم و أحداثهم، فسار إليهم من كان يليهم من الأعاجم، فانحازت إياد إلى العراق و جعلوا يعبرون إبلهم في القراقير[6]و يقطعون بها الفرات و جعل راجزهم يقول: /

بئس مناخ الحلقات[7]الدّهم # في ساحة القرقور وسط اليمّ

و عبروا الفرات، و تبعهم الأعاجم، فقالت كاهنة من إياد تسجع لهم: /

إن يقتلوا منكم غلاما سلما # أو يأخذوا ذاك[8]شيخا همّا

تخضّبوا نحورهم دمّا # و تروّوا منهم سيوفا ظمّا[9]

[1]سنداد: منازل لأياد أسفل الكوفة.

[2]في هد، هج: «ذو الكعبات» .

[3]بارق: ماء بالعراق، و هو الحد بين القادسية و البصرة.

[4]في س، ب: «أهاليهم» .

[5]هديت: زفت إلى بعلها.

[6]القراقير: جمع قرقور كعصفور: السفينة الطويلة أو العظيمة.

[7]الحلقات: جمع حلقة: الإبل الموسومة بالحلقات.

[8]في هج س، ب؛ هد: «منكم» .

[9]في س و ب: «منها» و هذا القول من قبيل السجع لا من أوزان الشعر.

فخرج غلام منهم يقال له ثواب بن محجن بإبل لأبيه فلقيته الأعاجم، فقتلوه، و أخذوا الإبل و لقيتهم إياد في آخر النهار، فهزمت الأعاجم.

قال: و حدثني بعض أهل العلم أن إيادا بيّنت ذلك الجمع حين عبروا شطّ الفرات الغربيّ، فلم يفلت منهم إلا القليل، و جمعوا به جماجمهم و أجسادهم، فكانت كالتل العظيم، و كان إلى جانبهم دير، فسمّي دير الجماجم، و بلغ كسرى الخبر، فبعث مالك بن حارثة: أحد بني كعب بن زهير بن جشم في آثارهم، و وجّه معه أربعة آلاف[1] من الأساورة. فكتب إليهم لقيط.

يا دار عمرة من محتلّها الجرعا # هاجت لي الهمّ و الأحزان و الوجعا[2]

و فيها يقول-قال الشّرقي بن القطامي أنشدنيها أبو حمزة الثماليّ-: يا قوم لا تأمنوا إن كنتم غيرا # على نسائكم كسرى و ما جمعا

هو الجلاء الذي تبقى مذلّته # إن طار طائركم[3]يوما و إن وقعا

/هو الفناء الذي يجتثّ أصلكم # فمن رأى مثل ذا رأيا[4]و من سمعا

فقلّدوا أمركم للّه درّكم # رحب الذراع بأمر الحرب مضطلعا

لا مترفا إن رخاء[5]العيش ساعده # و لا إذا حلّ مكروه به خشعا

لا يطعم النوم إلا ريث[6]يبعثه # همّ يكاد حشاه يقطع الضّلعا

مسهّد[7]النوم تعنيه ثغوركم[8] # يروم منها إلى الأعداء مطّلعا

ما انفكّ يحلب هذا الدهر أشطره # يكون متّبعا طورا و متّبعا

فليس يشغله مال يثمّره # عنكم و لا ولد يبغى له الرّفعا

حتى استمرّت[9]على شزر[10]مريرته[11] # مستحكم السنّ لا قحما[12]و لا ضرعا[13]

[1]في هد: «أربعين ألفا» .

[2]في هد، هج: «الجزعا» بدل «الوجعا» .

[3]في س، ب: «طائرهم» .

[4]في س، ب: «يوما» .

[5]في س، ب: «رخى» .

[6]في س، ب: «حيث» .

[7]في س، ب: «مسهر» .

[8]كذا في منتهى الطلب و في هج س، ب، هد: «أموركم» .

[9]استمرت: استحكمت و قويت.

[10]شزر: ما يفتل على غير وجهه، أي يفتل من اليسار.

[11]المريرة: طاقة الحبل و المراد أنه قوي متين.

[12]قحما: شيخا فانيا عجوزا.

[13]ضرعا: ضعيفا ذليلا مستكينا.

كمالك بن قنان[1]أو كصاحبه # زيد القناحين لاقى الحارثين[2]معا

إذ عابه عائب يوما فقال له: # دمّث لجنبك قبل الليل مضطجعا

/فساوره[3]فألفوه أخا علل # في الحرب يختتل الرئبال و السّبعا

عبل الذراع أبيّا ذا مزابنة # في الحرب لا عاجزا نكسا و لا ورعا[4]

مستنجدا يتحدّى الناس كلّهم # لو صارعوه جميعا في الورى صرعا

هذا كتابي إليكم و النذير لكم # لمن رأى الرأي بالإبرام قد نصعا

و قد بذلت لكم نصحي بلا دخل # فاستيقظوا إنّ خير العلم ما نفعا

و جعل عنوان الكتاب:

سلام في الصّحيفة من لقيط # إلى من بالجزيرة من إياد

بأن الليث كسرى قد أتاكم # فلا يحبسكم سوق النّقاد[5]

موقعه مرج الأكم

/قال: و سار مالك بن حارثة التغلبيّ بالأعاجم حتى لقي إيادا، و هم غارّون لم يلتفتوا إلى قول لقيط و تحذيره إياهم ثقة بأن كسرى لا يقدم عليهم. فلقيهم بالجزيرة في موضع يقال له مرج الأكم، فاقتتلوا قتالا شديدا، فظفر بهم، و هزمهم، و أنقذ ما كانوا أصابوا من الأعاجم يوم الفرات، و لحقت إياد بأطراف الشأم و لم تتوسّطها خوفا من غسّان يوم الحارثين، و لاجتماع قضاعة و غسّان في بلد خوفا من أن يصيروا يدا واحدة عليهم، فأقاموا، حتى أمنوا.

ثم إنهم تطرّفوهم إلى أن لحقوا بقومهم ببلد الروم بناحية أنقرة، ففي ذلك يقول الشاعر: حلّوا بأنقرة يسيل عليهم # ماء الفرات يجيء من أطواد

صوت

اللبين يا ليلى جمالك ترحل # ليقطع منا البين ما كان يوصل؟

تعلّلنا بالوعد ثمّت تلتوي # بموعودها حتى يموت المعلّل

أ لم تر أنّ الحبل أصبح واهنا # و أخلف من ليلى الذي كنت آمل

فلا الحبل من ليلى يؤاتيك وصله # و لا أنت تنهى القلب عنها فيذهل

عروضه من الطويل، الشعر لنصيب الأصغر مولى المهدي، و الغناء ليحيى المكيّ خفيف رمل بالبنصر، و كذا نسبته تدلّ عليه.

[1]في س، ب: «سنان» .

[2]يقصد بهما الحارث بن ظالم و الحارث بن عوف المريين.

[3]في س، ب «فثاوروه» ، و معناه واثبوه .

[4]الورع: الجبان الضعيف.

[5]النقاد: جنس من الغنم قبيح الشكل مفرده نقد بالتحريك و في س، ب: «النفاد» و هو تحريف.

و ذكر عمرو بن بانة في نسخته أن خفيف الرّمل لمالك و أنه بالوسطى، و الصحيح أنه لابن المكي.

انتهى الجزء الثاني و العشرون و يليه الجزء الثالث و العشرون و أوله أخبار نصيب الاصغر

فهرس موضوعات الجزء الثاني و العشرين

الموضوع الصفحة
أخبار خالد بن عبد اللّه 271
أخبار صخر بن الجعد و نسبه 291
أخبار أبي حفص الشطرنجي و نسبه 300
ذكر الخبر في حروب الفجار و حروب عكاظ 307
أخبار مالك و نسبه 322
أخبار عبيد بن الأبرص و نسبه 325
أخبار ربيعة بن مقروم و نسبه 336
أخبار أوس و نسب اليهود النازلين بيثرب و أخبارهم 343
أخبار السموأل و نسبه 351
أخبار سعية بن عريض 353
أخبار الربيع بن أبي الحقيق 357
أخبار كعب و نسبه و مقتله 360
أخبار بيهس و نسبه 362
أخبار الكميت بن معروف و نسبه 367
أخبار يعلى و نسبه 370
نسب جواس و خبره في هذا الشعر 373
أخبار إبراهيم بن المدبر 377
ذكر الخبر في هذه الغارات و الحروب 399
أخبار محبوبة 408
أخبار عبيدة الطنبورية 411
أخبار أحمد بن صدقة 416
أخبار الحارث بن وعلة 419

أخبار مرة بن محكان/أخبار علي بن عبد اللّه بن جعفر 422
أخبار عتيبة و نسبه 424

الموضوع الصفحة
أخبار عبد اللّه بن العجلان 431
أخبار المؤمل و نسبه 436
أخبار أبي مالك و نسبه 442
أخبار أبي دهمان 444
أخبار أبي حزابة و نسبه 446
نسب زهير السكب و أخباره 453
أخبار النمر بن تولب و نسبه 455
أخبار مالك بن الريب و نسبه 464
أخبار عبد بني الحسحاس 475
متمم العبدي و الجويرية 481
أخبار حسان بن تبع 483
أخبار مرة بن محكان 486
أخبار علي بن عبد اللّه بن جعفر و نسبه 488
أخبار العديل و نسبه 490
أخبار صخر الغي و نسبه 502
نسب عمرو ذي الكلب و أخباره 506
أخبار خبر لقيط و نسبه و السبب في قوله الشعر 409
فهرس الموضوعات 513